

في هذا العدد :

- الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي في الدولة الأموية في الفترة من (41 - 132هـ / 662 - 750م)
د. سميرة بنت صقر بن غميض اليزيدي
- أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي
أ. عبد المحسن حمد مساعد العرجاني
- مدينة القدس من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب
أ. أروى عيسى محمد شماخي
- إضاءات حول حياة الإمام عبدالعزیز بن محمد بن سعود (1133-1218هـ / 1720 - 1803م) (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. خالد جبير جابر الهذلي
- طرابلس الغرب من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب (من القرن الثالث حتى القرن الثامن الهجري)
أ. أماني سعيد الحربي
- منطقة ميسان في إقليم الحجاز قبيل انضمامها للحكم السعودي (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. خالد محمد زبلان النفيعي
- التعليم في مدينة الطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية عهد الأشراف في الحجاز (12 ق. هـ - 1344هـ / 610 - 1925م) (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. جواهره غازي فالح العميري
- مدينة الإسكندرية في عيون الرحالة والجغرافيين (دراسة حضارية تحليلية مقارنة)
أ. سلوى إبراهيم عبده زبيدي

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2023
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السمانى النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د. أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا
د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُزْم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي في الدولة الأموية في الفترة من (41 - 132 هـ / 662 - 750 م).....(7-18)

د. سميرة بنت صقر بن غميض اليزيدي

أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي.....(19-28)

أ.عبد المحسن حمد مساعد العرجاني

مدينة القدس من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب.....(29-42)

أ.أروى عيسى محمد شماخي

إضاءات حول حياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (1133 - 1218 هـ / 1720 - 1803 م) (دراسة تاريخية

تحليلية) (3 - 4 - 6 - 7)

أ. خالد جبير جابر الهذلي

طرابلس الغرب من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب (من القرن الثالث حتى القرن الثامن الهجري).....(77-88)

ا. أماني سعيد الحربي

منطقة ميسان في إقليم الحجاز قبيل انضمامها للحكم السعودي (دراسة تاريخية تحليلية).....(89-104)

أ. خالد محمد زبلان النيعي

التعليم في مدينة الطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية عهد الأشراف في الحجاز (12 ق. هـ - 1344 هـ / 610

- 1925 م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(105-126)

أ. جوهرة غازي فالح العميري

مدينة الإسكندرية في عيون الرحالة والجغرافيين (دراسة حضارية تحليلية مقارنة).....(127-144)

أ. سلوى إبراهيم عبده زبيدي

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو التاسع والعشرون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار ثمانية وعشرون عدداً من المجلة الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير التحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي في الدولة الأموية في الفترة من (41 - 132هـ / 662 - 750م)

قسم التاريخ- كلية العلوم الاجتماعية -جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

د. سميرة بنت صقر بن غميص اليزيدي

المستخلص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً وبعد، فإن في هذه الدراسة والتي تهدف إلى توضيح حقبة زمنية مهمة عمل أهلها بكل إخلاص على صون العقيدة الإسلامية نقيّةً بيضاء كما أشار رسول الله ﷺ بذلك في حديثه تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فتاريخنا الإسلامي خير شاهدًا على ظهور أهل الفرق البدع والضلالات المنحرفة فكرياً منذ وقت مبكر، والتي حاولت جاهدةً تفتيت وحدة الأمة الإسلامية وتقسيمها لتحقيق أغراضهم السياسية والعقدية، وما جهود العلماء الأوائل والأئمة الكبار من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلاّ دليلاً على وجود جهود جبّارة تستحق إعادة البحث فيها، ومن هذا المنطلق تكمن أهمية الدراسة والتي تسعى إلى إيضاح الجانب المشرق لمثل تلك الأعمال الجليلة والتي عملت جاهدةً على إيقافهم حتى لا يتفشى سوء ما يحملون للمجتمع المسلم والعمل على الرد عليهم ومحاورة زعمائهم والمحاولة على إيضاح الصواب لهم، وتحذير المجتمع من عواقب اتباع مثل هذه الأفكار الدخيلة على العقيدة الإسلامية، وإن الصواب يكمن في الرجوع إلى الكتاب والسنة، والوصول أخيراً إلى جهادهم، وبناءً على ما سبق ذكره كان الاعتماد في هذه الدراسة على منهجين مهمين من مناهج البحث التاريخي، وهما المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والتحليلي، فقامت بجمع المادة العلمية من خلال كتب التراجم والطبقات، واستنباط الحقائق وتحليلها للبناء على الموضوع، ولعل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، هو الدور الجوهرى الذي قامت به الخلافة الأموية في حفظ الدين وقيادة الأمة موحدة سائرة على منهج الكتاب والسنة، وسنشير إلى صوراً من بعض الفئات الفكرية المنحرفة، وطريقة تصدي العلماء والخلفاء لها حمايةً لأفكار المجتمع حتى لا يتفشى بينهم الفساد.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، السياسي، الدولة الأموية، التوسط، المجتمع.

Security and political thought in the Umayyad state in the period from
(41-132 AH / 662-750 AD)

Dr. Samera Saqr Alyazidy

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and upon his family and companions, abundant peace and blessings. In this study, which aims to clarify an important period of time, its people worked with all sincerity to preserve the Islamic faith, pure and white, as the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, indicated in his speech, I left you

with Its night is like its day, and only one who perishes will deviate from it after me. Our Islamic history is the best witness to the emergence of intellectually deviant sects, heresies, and misguided people from an early age, who tried hard to fragment the unity of the Islamic nation and divide it to achieve their political and doctrinal goals. The efforts of the early scholars and the great imams of the Companions and Successors and those who followed them with goodness are nothing but evidence of the existence of tremendous efforts that deserve to be re-examined. From this standpoint lies the importance of the study, which seeks to clarify the bright side of such great deeds that worked hard to stop them so that evil would not spread. They carry the Muslim community and work to respond to them, dialogue with their leaders, try to clarify what is right for them, and warn society of the consequences of following such ideas that are alien to the Islamic faith, and that what is right lies in Returning to the Qur'an and the Sunnah, and finally arriving at their jihad, and based on what was mentioned above, the reliance in this study was on two important historical research methods, which are the inductive method and the descriptive and analytical method. I collected scientific material through books of biographies and classes, and extracted the facts and analyzed them to build on The subject, and perhaps the most important findings of the study, is the fundamental role played by the Umayyad Caliphate in preserving the religion and leading the nation unified, following the method of the Qur'an and the Sunnah. We will point to images of some deviant intellectual groups, and the way the scholars and caliphs confronted them in order to protect the ideas of society so that they would not Corruption is rampant among them.

Keywords: intellectual, security, political, Umayyad state, mediation, society

المقدمة:

من المعلوم أن المسلمين يرجعون في كل أمورهم ومنها الفكرية والثقافية الى الكتاب والسنة، فهما مصدر الأمن الفكري لديهما، فإذا أردنا أن نصوغ تعريفاً للأمن الفكري لدى هذه الأمة الإسلامية فإننا نقول: أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة. وسنناقش في هذا البحث الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي في عصر بني أمية، ومن الضروري أن نلقي الضوء على دولة بني أمية كونها محور البحث، فبنو أمية هم أحد القبائل القرشية التي يرجع نسبها إلى عبد شمس بن عبد مناف، وأشهر رجالها مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى

عنه صحابي جليل وواحد من الرجال الذين كتبوا الوحي لرسول الله ﷺ، تولى الخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما خامس الخلفاء الراشدين سنة 40 هـ في العام المسمى بعام الجماعة، وتميزت فترة خلافته بالقدرة، واستمرار سلسلة الجهاد ونشر الإسلام، واستمرت الدولة الأموية من عام 41 هـ حتى سقوطها عام 132 هـ.

أولاً: الأمن الفكري في عصر بني أمية:

التعريف اللغوي:

يعد الأمن الفكري من المصطلحات المعاصرة، فلم يرد في معاجم اللغة العربية تعريفاً لهذا المصطلح، نظراً لحدثه، ولكونه مركباً من كلمتين هي الأمن والفكر، ولذا يقتضي تعريف كل منهما على حدة .

ويعرف الأمن لغة: أنه مصدر للفعل أمن يأمن ، والأمن ضد الخوف⁽¹⁾

ويعرف الأمن اصطلاحاً: بأنه الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن الانسان ، فرد أو جماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي والأخروي⁽²⁾.

أما مصطلح الأمن الفكري:

فهو الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية⁽³⁾.

على أية حال لقد وضعت الشريعة الاسلامية أسساً ربانية لتحقيق الأمن الفكري يكون فيها حفظ الحقوق من خلال النصوص الواردة في القرآن والسنة النبوية المطهرة، المتعلقة بالأمن والتي ترتبط إلى حد كبير بين مفهوم الأمن وحفظ الضروريات الخمس لأن الشريعة الاسلامية جاءت لتحقيق مصالح الخلق ودفع المفاسد عنهم⁽⁴⁾. والأمن الفكري مبني على أسس أرساها الاسلام ومن هذه الأسس والتي قام بتحقيقها بني أمية.

سلامة الاعتقاد والثبات على الحق:

تعد سلامة الاعتقاد والثبات على الحق من أهم أسس الأمن الفكري، وقد مدح القرآن الكريم الثابتين على عقيدتهم فقال تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» فصلت الآية 30. أي وحدوا الله واستقاموا على طريقتهم، فلم يشركوا به شيئاً. والتوحيد من أسسه الثبات على الحق، قال تعالى: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة». إبراهيم الآية 27. والقول الثابت هو قول التوحيد بلا شرك ولا ازدواجية⁽⁵⁾. وقد حقق بني أمية هذا المبدأ وبذلوا أنفسهم في تحقيقه، فقد بذل معاوية ورجاله جهوداً كبيرة للحفاظ على نضاعة العقيدة الإسلامية، وصحتها دون تحريف أو مغالاة، وعلمنا أن نشير هنا أن اختلاط العرب بغيرهم من شعوب البلاد المفتوحة ذوي الأديان المتعددة، والتصورات الدينية المتباينة كان لا بد لهم أن يتركوا أثراً سلبياً على التصور الصحيح للإسلام عند بعض أبنائه، فلنا أن نتوقع منذ البداية أن هذه الحضارات المهزومة والأمم المدحورة، وإن فاتها النصر في ساحات القتال لن تعدم وسيلة ما للدس والكيد والتآمر، ومحاولة تخريب عقائد المسلمين والتشويش عليها حتى لا تتحد صفوفهم ويخيب رجاءهم، وبناءً على ذلك، لم يتوانى الأمويون عن مواجهة أي تحرك يعمل على هدم العقيدة الإسلامية، والتشويه فيها ابتداءً بالخوارج لشناعة أعمالهم وحربهم للمسلمين، بما في ذلك الصحابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قد جعلهم من

أهل الفساد والضرر على العقيدة وأمتها، كما ظهر من صلبهم فرق ضاله كالأزارقة، وتركز حضورهم في الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية في العراق وفارس وخراسان، حيث كان التأثير واضحاً بالديانات الفارسية القديمة، وما يتصل به من مظاهر مخالفة للإسلام، وقد حاربت الخلافة الأموية هذه الطائفة التي تحمل الأفكار الضالة عندما بدأ ينتشر أمرهم وفسادهم في المجتمع الإسلامي، فوضعوا خمسمائة فارس مرابطة يغيرون على الخوارج حتى ضعف أمرهم⁽⁶⁾.

التوسط والاعتدال:

ومن أسس الأمن الفكري التوسط والاعتدال، وعدم الافراط والتفريط في الفكر، فقال ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا»⁽⁷⁾. ونهي النبي ﷺ أيضاً عن الغلو في الدين الذي يؤدي إلى الانحراف الفكري، فقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»⁽⁸⁾.
إذاً لا يتحقق الأمن الفكري إلا بالتوسط في الفكر والاعتدال، واعتناق ما جاءت به الشريعة السمحاء، لذا عمل بنو أمية على تحقيق ذلك المبدأ من خلال الحوار مع الفرق التي ظهرت في عصرهم، وكانت لها آراء ومعتقدات دينية شاذة، بعيدة عن ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

فقد عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على محاورة الخوارج⁽⁹⁾ وحاول يرحمه الله أن يردّهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة⁽¹⁰⁾، كما تصدى لهم عدد من العلماء بالنصح وبيان للبقية عن ضلالتهم حرصاً لهم من الوقوع فيها ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن أبي أوفى⁽¹¹⁾، وخالد بن عرفطة⁽¹²⁾، وبعد ذلك بزمن ظهرت فرقة أخرى شكلت خطراً كبيراً على المجتمع المسلم والتي عُرفت بالمرجئة⁽¹³⁾، فهم أهل فكر ونقاش، ويؤثرون أكثر في العامة، فقال عنها إبراهيم النخعي: لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة⁽¹⁴⁾، فكان للعلماء إبراهيم النخعي⁽¹⁵⁾ جهوداً جبارة فيهم حيث كان يحذر من مجالسة مثل أهل هذا الرأي المحدث يعني المرجئة، وكان يمنع الأشخاص ممن يحمل مثل تلك الأفكار من مجالسته، ويمنع المجتمع من مجالستهم ويحذر منهم لما يحملونه من بدع وانحراف، كما كان يبغضهم أكثر من أهل الكتاب⁽¹⁶⁾، والعالم سعيد بن جبير كان يحذر من يجالس مرجئاً ويقول له: لا تجالسه⁽¹⁷⁾. وعمل عمر بن عبد العزيز يرحمه الله على محاورتهم⁽¹⁸⁾، ليبين لهم الحق ويزيل الغمة عن بصيرتهم، وهكذا نرى موقف أئمة العلماء آنذاك في مواجهة البدع والفرق الضالة التي تمثلت في الإنكار على أهلها، وتغليظ القول فيهم، وتبديع مقاتلتهم، وردّها، وبيان ما تحمله من خطر عظيم على الدين.

كما ظهرت فرقة أخرى عرفت بالأزارقة⁽¹⁹⁾، وهي فرقة من الخوارج شكلت خطراً كبيراً، ولكنها كانت أقل خطراً من الفرق سابقة الذكر؛ لأنهم كانوا واضحون ويحاربون المسلمين.

كما كان للعلماء جهود تذكر في الرد ومحاورة عدد من الفرق الأخرى كالقدرية⁽²⁰⁾ والمعتزلة⁽²¹⁾، والسبئية⁽²²⁾، وتوعية المجتمع وتحذيرهم من أفكارهم، والتبرّي منهم⁽²³⁾.

ثانياً: الأمن الاجتماعي في عصر بني أمية:

التعريف الاصطلاحي: عرف الدكتور محمد عمارة الأمن الاجتماعي بقوله: هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن الانسان فرداً أو جماعة في سائر ميادين العمران الديني والأخروي⁽²⁴⁾. وقد تميزت الشريعة الإسلامية بالحفاظ على سلامة المجتمع ككل، وحماية أفرادها من الضياع الاجتماعي، ولا يتأتى ذلك

إلا بالتعاون مع أفراد المجتمع على البر والتقوي، فيعين بعضهم بعضاً على كل عمل ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويدفعون بها عن أنفسهم المفساد والمضار التي تدعوا وتؤدي إلى البغضاء والشقاق والتنافر⁽²⁵⁾.

فالأمن الاجتماعي يحقق الأمن للفرد والجماعة وإن اختلفت الأديان والأعراق والأنساب والألوان والألسنة وتفاوتت المستويات المعيشية⁽²⁶⁾. وقد حاول بني أمية بشتى الطرق والوسائل تحقيق الأمن الاجتماعي في دولتهم من خلال النظر إلى احتياجات المجتمع وتلبيتها، فحثوا ولاتهم في مختلف الأمصار على بذل المزيد من الرعاية الاجتماعية للمسلمين، وغير المسلمين حتى يضمّنوا ولائهم لهم، وتمثلت رعاية الأمويون لعامة المسلمين في توفير الأرزاق ومنحهم العطاء بصورة منتظمة، وإقامة العدل بينهم.

فقد شهد العصر الأموي توسعاً في دائرة العطاء، حيث زادت أعداد المسلمين وتضخمت أعداد الجنود الفاتحين، وقد روي أن معاوية كان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلاً يدور في المجالس كل يوم فيسأل الناس: هل ولد فيكم مولود، هل نزل بكم نازل؟ ويأخذ أسماء هؤلاء إلى الديوان لتسجل به، ويفرض لهم العطاء⁽²⁷⁾. وكان الوليد بن عبد الملك يخصص الرزق للفقهاء والضعفاء والفقراء، ويحرم عليهم سؤال الناس، ويفرض لهم ما يكفيهم، كما فرض للعميان والمجذومين⁽²⁸⁾. وكذلك فرض سليمان بن عبد الملك لثمانية آلاف رجل من قریش وحدها⁽²⁹⁾، وحتى عمر بن عبد العزيز الذي عرف بالحرص الشديد على بيت مال المسلمين والاقتصاد في النفقات لم يشذ عن هذا الاتجاه، فقد جعل مرتب العامل من عماله ثلاثمائة دينار، ولما سئل عن ذلك، قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة⁽³⁰⁾، ولما ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك أجرى على مرضى أهل الشام وعميانهم، وكساهم، وأمر لكل إنسان بخادم، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة⁽³¹⁾. وحرص الأمويون على إعتاق الرقيق أملاً في إصلاح أحوالهم الاجتماعية، على أن ينال المزيد من الحقوق في الدولة عندما ينال حريته، لذلك شجع الخلفاء الأمويون ذلك الاتجاه، فقد اعتق خالد بن يزيد أربعمائة عبد بعد انتهائهم من بناء مسجد بحمص⁽³²⁾.

كما اشركوا المرأة في مهمة نشر العلم بين أفراد المجتمع النسوي فكان لهن دوراً جوهرياً ومجهودات في نشر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية بشكل عام حتى عرفت المرأة علمها واعطت دورها فنشأ العديد من النساء الأفاضل والتي دوّن التاريخ ذكرهن ابتداءً بأمهات المؤمنين واللواتي عاصرن فترة خلافة بني أمية وعدد من الصحابات ومن سار على نهجهن والأمثلة على ذلك كثير يمكن الرجوع إليها في بحث بعنوان جهود المرأة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وهكذا طبق الأمويون الأمن الاجتماعي في دولتهم من أجل سلامة المجتمع ووحدته صفه، ومن أجل المساواة والعدل الاجتماعي الذي حث عليه الشرع الحنيف.

ثالثاً: الأمن السياسي في العصر الأموي:

يعرف الأمن السياسي من حيث الاصطلاح: بأنه الشعور بالاستقرار وانعدام الخوف في المجتمع، فالأمن بهذا المعنى مرتبط بالشعور بالطمأنينة وقدرة النظام السياسي على السيطرة على مصادر الخوف ومسببات عدم الاستقرار⁽³³⁾. وقد عمل بني أمية منذ توليهم الخلافة على تحقيق الأمن السياسي في الدولة بكافة السبل، فقد تعرضت الدولة الأموية منذ نشأتها إلى الكثير من المعارضة والمؤامرات، والتي استمرت طوال فترة حكمهم، ما بين حركات الخوارج والعلويين، والطوائف الأخرى، ومنهم من كان دافعه الطموح الشخصي الذي سيطر على بعض حكام الولايات والأقاليم، كل تلك الحركات عملت على زعزعت الأمن السياسي للدولة⁽³⁴⁾.

فعمل الصحابي معاوية بن أبي سفيان منذ توليه الخلافة على التودد لآل بيت النبي ﷺ، فكان رحيماً بهم مغدقاً بالعطاء عليهم وذلك من أجل أن يأمن جانبهم، كما كان للعلماء دور بالغ الأثر في لحمة الصف الإسلامي والمحافظة على وحدة الدولة، فوجَّهوا بالنصح إلى عدم الخروج عن جماعة المسلمين والانقياد تحت خليفة واحد، وبينوا عواقب ذلك من تمزيق كلمة المسلمين وطمع الفاسدين فيهم⁽³⁵⁾

كما عمل الخلفاء على حُسن معاملة أهل الذمة وأهل البلاد المفتوحة وترك حرية الدين لهم ودفع الجزية عن المقتدر، وإسقاطها عن أسلم، وإقامة العدل فيهم، ومراقبة الولاة والعمال. وفي بعض الأحيان كانت الدولة تلجأ للقوة في دحر المناوئين لهم والمعارضين لحكمهم، فعندما توفي معاوية بن أبي سفيان، وأعلن أهل المدينة رفضهم لخلافة يزيد بن معاوية، أرسل إليهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري، فهزمهم في موقعة الحرة عام 63هـ وأجبرهم على بيعته يزيد، تحت تهديد السلاح⁽³⁶⁾. ومثل خروج عبد الله بن الجارود عام 75هـ على الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق، الذي تبعه خلق كثير، فقام الحجاج بمقاتلته فقتله هو وجماعة من أصحابه⁽³⁷⁾. وقضى هشام بن عبد الملك عام 105هـ على حركة مصعب بن محمد الوالبي الذي ثار هو وجماعة من أتباعه من خوارج العراق، بمدينة الموصل فقاتله الخليفة قتالاً شديداً حتى قضى على حركتهم وأمن الموصل من الناحية السياسية⁽³⁸⁾. ولا ننسى حركات المعارضة الشيعية التي كانت لها أثراً كبيراً على الأمن السياسي لدولة بني أمية، وكان أولها ثورة الحسين بن علي ﷺ والتي قتل فيها وكانت هذه الثورة بداية للعديد من الثورات التي قاومت الأمويين⁽³⁹⁾. وأعقبها ثورة المختار بن عبيد الثقفي عام 67هـ الذي ثار علي بني أمية وكانت هذه الثورة جزء من المعارضة الشيعية للأمويين، وقد قامت الدولة الأموية بما يلزم من مواجهة تلك الحركة التي كانت تهدد الأمن السياسي لدولتهم⁽⁴⁰⁾.

كما واجهت الدولة الأموية أيضاً ثورة عبد الرحمن بن الأشعث عام 84هـ والتي قامت في وجه الدولة الأموية، من أجل الانتصار للحسين بن علي، وانتقد عبد الرحمن بن الأشعث ولاية بني أمية، لاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي، وأعلن خلع عبد الملك بن مروان، وعاهد أتباعه علي خلع الخلفاء الأمويين جميعاً لكن الدولة قامت بمحاربته هو وأتباعه حتى قضت على حركته⁽⁴¹⁾. وهكذا عملت الدولة الأموية منذ توليها الخلافة على مواجهة كافة أنواع الخروج على السلطة، من أجل تحقيق الأمن السياسي في الدولة، حتى تستطيع التفرغ لحماية حدودها من الهجومات الخارجي ومواصلة الجهاد ونشر الإسلام، وأن يعم الرخاء والاستقرار في البلاد. وعلى أية حال نلخص من خلال ما سلف ذكره الآن في نقاط الوسائل التي سار عليها أهل القرن الأول للتصدي لأصحاب الأهواء والبدع والضلالات وكيفية معالجتها وحماية المجتمع منها:

المناصحة والموعظة الحسنة⁽⁴²⁾:

فمن حق المسلم على أخيه أن ينصحه إن رأى منه انحرافاً أو معصية أو غلوّاً أو ابتداءً، والأمثلة على ذلك كثيرة ذكرت فيما قبل.

الحوار:

إن المحاورة لأهل الانحراف الفكري سبيل من سبل كشف الشبهة، ووقاية للناس من شر أقوالهم، وفي حياة السلف - رحمهم الله - شواهد على محاورة أهل الضلال، ومن أشهرها مناظرة عبد الله بن عباس للخوارج، مما كان سبباً في رجوع كثير منهم إلى الحق، وحوار عمر بن عبد العزيز t للخوارج. الرد: وقد رد الكثير من الصحابة والتابعين على أهل الأفكار المنحرفة⁽⁴³⁾.

العقوبة⁽⁴⁴⁾: حيث إن من المشكلات والانحرافات التي يقع فيها بعض الناس ما يستعصي على العلاج الفكري، فيستلزم نوعاً من العقوبات، ردعاً للمنحرف وحفظاً للأمة من الانحرافات، كما فعل بنو أمية، حيث ولّوا المهلب لمحاربة الخوارج، وفيما بعد الأزارقة وغيره العديد من الفرق الضالة.

آثار تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي على الفرد والمجتمع الإسلامي:

مما يظهر في سياق البحث إلى الجهود العظيمة التي بذلتها الدولة الأموية لتحقيق الأمن الفكري والسياسي والاجتماعي في دولتهم كان له آثاره الملموسة على المجتمع ومن تلك الآثار ما يلي:

المحافظة على الدين من الابتداع فيه، والفتوى بلا علم، والغلو في الدين، ولولا تلك الجهود لخسر المسلمون رمز عزتهم وقوتهم.

- أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الأمة وتشردمها شيعاً وأحزاباً وتنافر قلوب أبنائها، فيجعل بأسهم بينهم، فتذهب ريح الأمة ويتشتت شملها، وتختلف كلمتها مما يطمع العدو بها.

- أن الأمن السياسي يقود إلى بناء المجتمع وتطويره.

- وأن اهتمام بني أمية بتحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع من خلال رعايتهم للفرد والمجتمع ككل، جعل حكمهم مقبولاً لدى كثير من الناس، بسبب ما قدموه للفقراء والمساكين من رعاية، وكذلك ما قدموه لأهل الذمة والموالي والرقائق، كل ذلك كانت له آثاره الإيجابية في استقرار المجتمع، في أكثر فترات حكمهم لاسيما في عهد عمر بن عبد العزيز. ومن آثار تحقيق الأمن عمومًا بصوره المختلفة، هو أن الفرد سيكون فاعلاً إيجابياً في مجتمعه، وسيؤدي ذلك الأمر إلى نهضة الأمة في جميع مجالاتها، واستقرارها وطمأنينتها، والازدهار العلمي والحضاري وهو المنادى به للبشرية بعبادة الله وحده، وإعمار الأرض.

الخاتمة:

أدرك المجتمع الأموي أن الاهتمام بالأمن الفكري هو في حقيقته أمن للعقيدة، والخلق، والمبدأ الإسلامي الذي لا غنى عنه ولا قيمة للحياة دونه، فهو يسعى إلى تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف، أو الخروج عن الوسطية والاعتدال.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. إن رجال القرن الأول الهجري أسهموا بشكل كبير بعد عناية الله تعالى في حفظ الدين ونشره وقيادة الأمة.
2. عملت الدولة الأموية ممثلةً بخلفائها وعلماءها على نبذ كل ما يشوه صحيح العقيدة الإسلامية.
3. إن اعداء الأمة الإسلامية عند فشلهم في ساحات القتال عمدوا الى دس سمهم بين صفوف المجتمع الإسلامي بمحاولات بائسه هدفت الى تشويه الدين وتمزيق الأمة الى فرق وأحزاب.
4. للعلماء الأوائل جهوداً عظيمة في نشر الدين الصحيح ونصح الأمة وتوعيتهم حيال أهل الفرق الفاسدة والرد عليه.
5. عملت الدولة الأموية على وضع مرابطة من مجاهدين وعلماء لفتح المدن ونشر الإسلام الصحيح.

التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بأبحاث الأمن الفكري ونشرها وبيان جهود الأئمة والعلماء الأوائل فيها.
- ضرورة التأصيل الاسلامي للكثير من القيم والمضامين المعاصرة مثل: السلم المدني والأمن الفكري والهوية والمواطنة وغيرها من المصطلحات الهامة التي تهتم حياة الناس.
- ضرورة تربية النشأ وتدريبهم علي أهمية الأمن الفكري والسياسي والاجتماعي الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- أن ضوابط الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تمثل الركيزة التي ينبغي للإنسان المسلم الاعتماد عليها لحماية أمنه الفكري.
- إلقاء المزيد من الضوء على مثل تلك الأبحاث لأن أهم ما يواجه الجيل الحديث هو الغزو الفكري المتمثل في دس العديد من الأفكار، والتي تهدم الدين والخلق والعادات الاجتماعية السليمة.

الهوامش:

- (1) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، مادة أمن؛ الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص56.
- (2) الزاوي، الطاهر أحمد: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، تونس، ص30.
- (3) المالكي، عبد الحفيظ بن عبد الله: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه، مجلة البحوث الأمنية، مج18، ع43، 2009م، ص25.
- (4) العوامة، نهاد محمد حسين: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية دراسة تحليلية، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، ع56، 2015م، ص249.
- (5) العوامة، نهاد محمد حسين: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية دراسة تحليلية، ص257.
- (6) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج9، ص323.
- (7) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الإيمان، حديث رقم (38).
- (8) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتاب العربية، بيروت، د.ت، كتاب مناسك الحج، حديث رقم (3057).
- (9) الخوارج: كلمة الخوارج أطلقت على أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قبوله التحكيم عقب معركة (صفين)، إذ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره، وقد قبل الخوارج هذه التسمية، لأنهم فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهاداً في سبيل الله، وفقاً لقوله تعالى: { ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله } [النساء: 100]، وقد أطلق على الخوارج أيضاً مسمى (الشرارة)، ورما يكونون هم الذين وصفوا أنفسهم بذلك؛ لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله، كما سمو بالحرورية، لانحيازهم في أول الأمر إلى قرية «حرواء» بالقرب من الكوفة، وسموا أيضاً بالمحكمة لرفعهم شعار (لا حكم إلا لله) والتفاهم حوله، وعند خروج الخوارج على علي عليه السلام سألهم ابن عباس عن الأسباب التي دفعتهم لذلك، فقالوا: إنهم نقموا على علي ثلاثة أمور:
- قبوله التحكيم، فقد حكم الرجال في أمر الله، الذي يقوله عنه تعالى { إن الحكم إلا لله } فأخطأ بهذا، وكان ينبغي عليه أن يستمر في القتال، حتى يظهر حكم الله.
- أنه قاتل أصحاب (الجمل) وقتلهم، وفي نفس الوقت لم يسبهم، ولم يأخذ غنائمهم، بل إنه نهى عن قتل مديبرهم، والإجهاز على جريحهم، وغنيمة أموالهم وذرائعهم .
- وأخيراً، فإن علياً بقبوله «التحكيم» قد محا نفسه عن إمرة المؤمنين، وفي رأيهم أنه إن لم يكن أمير المؤمنين، فإنه أمير للكافرين. وقد بين لهم ابن عباس حبر هذه الأمة وأعلمها بكتاب الله وتفسيره خطأهم في هذه الآراء، وما استنتجوه منها من نتائج، وما بنوه عليها من أحكام. وهكذا بعد أن خرج الخوارج عزم علي t على قتالهم، وهم من قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب وعقروا بطن جاريته، ولكن معركة النهروان لم تضع حداً للخوارج، بل أذكت فيمن بقي منهم روح القتال، وكانت ذكرى تلك الموقعة دافعاً لهم إلى مزيد من العنف، الأمر الذي أدى بهم إلى التخطيط لاغتيال (علي) وتنفيذ ذلك، ولما جاءت الدولة الأموية استمر الخوارج كقوة مناهضة لها، وخاضوا كثيراً من المعارك ضد جيوش الأمويين وولاتهم، وظهرت فرق خارجية عديدة، كالأزارقة، والنجدات، والصفرية، والإباضية، وغيرهم، وهكذا استمر

الخوارج شوكةً في جنب الدولة الأموية يقاتلون في سبيل إسقاطها وتقويض أركانها، واستطاعوا في بعض الأحيان من أن يسيطروا نفوذهم على أرض فارس والعراق، وبعض مناطق اليمن والجزيرة، وقابلهم الأمويون عنفاً بعنف على يد أمهر قوادهم وهو المهلب بن أبي صفرة، وغيره من القادة العظام حتى استطاعوا من كسر شوكتهم. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص31/30، ج9، ص323، 142، ج8، ص352، ج6، ص26، 27، 339؛ الإسفراييني: عبد القاهر بن ظاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (ت429هـ): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط2، 1977م، ص72؛ جلي، أحمد محمد أحمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج-الشيعة، ط3، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1429هـ/2008م، ص70.

(10) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص370.

(11) هو عبد الله بن أبي أوفى، واسم أبي أوفى علقمة، يكنى أبا معاوية، شهد مع النبي ﷺ عدة غزوات منها خيبر، كنا بالمدينة حتى قبض النبي ﷺ، ثم تحول إلى الكوفة، وابتنى بها داراً، وتوفي بها في سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ في الكوفة. ابن سعد: المصدر السابق، ج5، ص206، 208.

(12) هو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان، صحب النبي ﷺ وروى عنه، وكان سعد بن أبي وقاص ولاة القتال يوم القادسية، وهو الذي قتل الخوارج يوم النخيلة، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً وله بقية وعقب. ابن سعد: المصدر السابق، ج5، ص273.

(13) المرجئة: تتميز الطائفة باسم رجالها، أو بنعت أحوالها، والمرجئة من الطوائف التي تميزت بنعت أحوالها، مثلها في ذلك مثل الشيعة، والقدرية، والخوارج، والناظر فيما جاء عن السلف - رحمهم الله - في التعريف بالمرجئة يجد أن النعت الجامع لأحوال هذه الفرقة هو إخراج العمل من الإيمان، فكل من قال بذلك، فهو مرجئ، وقد ذكر ابن سعد في كتابه «الطبقات» تلك الفرقة، وقد نشأ الإرجاء في أواخر عصر الصحابة، وتأكيدهم لذلك يقول شيخ الإسلام: «ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريباً من ذلك، وأما الجهمية فإنما حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز». وقد ذكر الذهبي في ترجمته لقتادة بن دعامة السدوسي قال: «وإنما حدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث». وقد استنتج الدكتور: عبد الله بن محمد السند، وقتاً لتحديد ظهور بدعة الإرجاء بأنه في أواخر العقد السابع وأوائل العقد الثامن من المائة الأولى للهجرة، والله أعلم. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص484؛

الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص276؛ السد: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز: آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية عرض ونقد، دار التوحيد، الرياض، ط1، 1428هـ/2007م، ص600، أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة ط1، 1416هـ/1996م، ج7، ص218؛ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الأوقاف السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، 1425هـ/2004م، م13، ص47.

(14) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص388.

(15) هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود، يكنى أبا عمران، وكان أعور، كان عالماً فقيهاً، أثنى عليه كثير من العلماء منهم ابن جبير، كان يخاف على أمته من فرقة المرجئة، وكان له مجلس علم ويجتمع عليه الكثير لسؤاله

- لما عرف به من علم ودين، قال عنه الشعبي حيث عرف بوفاته: «أحمد الله أما إنه لم يخلف خلفه مثله، قال: وهو ميتاً أفقه منه حياً» توفي سنة ست وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة، وهو ابن تسع وأربعين سنة، لم يستكمل الخمسين. ابن سعد: المصدر السابق: ج8، ص388.
- (16) ابن سعد: المصدر السابق: ج8، ص388.
- (17) فقد كان طلق بن حبيب العنزي مرجئاً، وكان سعيد بن جبير يحذر من مجالسته، فقد قال لأبيوب: جلست إلى طلق بن حبيب فقال: ألم أرك جلست إليه، لا تجالسه! قال: وكان ينتحل الإرجاء. ابن سعد: المصدر السابق: ج9، ص226.
- (18) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص409، 370.
- (19) الأزارقة: زعيم هذه الفرقة هو نافع بن الأزرق المشهور بمسألة لابن عباس، وقد ذكره بهذا الاسم كل من كتب في التاريخ والفرق، وكنيته أبو راشد، وسبق أن ترجم لهذه الفرقة في الصفحات السابقة في فتوحات المهلب بن أبي صفرة، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310 هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993 م، ج5، ص564، 567: الإسرائيبي: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها، ص80.
- (20) القدريّة: ظهرت في أواخر عهد الصحابة وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره ونهيه، ووعدوه ووعدته، وظنوا أن ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه، ووعدته، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر، وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروا إنكاراً عظيماً وتبرّءوا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر: أخبر أولئك أي برئ منهم وأنهم مني برآء، ومر القاسم بن عبد الرحمن لقوم يذكرون القدر، فقال: كفوا عما كف الله عنه، وكان القاسم يلعن القدريّة، كما كان سالم بن عبد الله يلعن القدريّة أيضاً الذين يكذبون بالقدر حتى يؤمنوا بخيره وشره، وكان إبراهيم بن عون لا يسلم على القدريّة إذا مرّ بهم، كما كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يحذر في الحديث عن القدر ويقول لمكحول: إياك أن تقول في القدر ما يقول هؤلاء يعني غيلان وأصحابه، كما كان الحسن بن أبي الحسن يحدثهم ويخالفهم القول، وأيضاً الإمام محمد بن سيرين، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، ثم وضع أصبعي يديه في أذنيه وقال: إما أن تخرج عني وإما أن أخرج عنك فخرج الرجل، كما كان بكر بن عبد الله لا يحب سماع القوم بذكر القدر، كما كان أشعث بن عبد الله ممن يحضر مجالس الرد على أهل القدر، وعبد الله بن عون كان يقول عن القدر: ذاك شر، وقد كان أكثر الخوض في القدر بالبصرة والشام وبعضه في المدينة، والخشبية هم قوم من الجهمية. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج4، ص158، ج7، ص194، 187، 370، ج9، ص192، 196، 208، 248، 261، 276؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ص36، 37.
- (21) المعتزلة: الاعتزال معناه: الانفصال والتنحي والمعتزلة هم المنفصلون، أما اصلاً: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وقد سعت تلك الفرقة للإيقاع بعبد الله بن عون، وقد خاض المعتزلة مع الخوارج في تكفير أهل الذنوب، فقال المعتزلة فيهم لا هم مسلمون ولا كفار، بل لهم منزلة بين المنزلتين، وهم مخلصون في النار، فوافقوا الخوارج على أنهم

- مخلدون، ولكن لم يسموهم كفاراً كالخوارج. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج9، ص261، ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ص37، 38.
- (22) السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء الذي غلا في علي t، وزعم أنه نبي، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، وقد حارب علي t هذه الفئة، وعندما قتل زاد أمرهم ودعوا أنه من قتل ليس علي، إنما هو شيطان تمثل على هيئته، وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي دون غيرهم. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص312؛ الإسفراييني: الفرق بين الفرق، ص205، 206.
- (23) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج9، ص261، ج8، ص388.
- (24) عمارة، محمد: الاسلام والامن الاجتماعي، دار الشروق، بيروت، ط1، ص12.
- (25) الكيلاني، إبراهيم زيد: خصائص الأمة الاسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط1، 2004م، ص26.
- (26) قطب، محمد: العلمانيون والاسلام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994م، ص64؛ الجيزاني، خديجة بنت محمد: الأمن الاجتماعي في ميزان العدل والاحسان، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، ع28، 2014م، ص168.
- (27) ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت212هـ. سيرة عمر بن عبد العزيز، صححها وراجعها أحمد عبيد، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م، ص146.
- (28) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص496.
- (29) اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن واضح، ت292هـ: تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة المطبوعات، بيروت، 2020م، ج2، ص298.
- (30) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص46.
- (31) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص217-218.
- (32) ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير، ت774هـ: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ/1992م، ج9، ص86.
- (33) المبارك، معصومة صالح: الأمن السياسي والتربية، مؤتمر الأمن الوطني، جامعة الكويت، 1998م، ص146.
- (34) سلامة، صلاح بن عبد العزيز: المعارضة السياسية في العصر الأموي وموقف الأمويين منها، مجلة كلية الآداب، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية، دت ص362.
- (35) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج9، ص165، ج7، ص106، 107، ج4، ص133، 134، 161، 195.
- (36) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص95.
- (37) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص551.
- (38) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص367.
- (39) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص352.
- (40) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص146.
- (41) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص146.
- (42) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص146.
- (43) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج9، ص291، ج8، ص388.
- (44) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج9، ص323.

أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. عبد المحسن حمد مساعد العرجاني

مستخلص:

تتناول الدراسة أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي، وتتناول الكشف البرتغالية باعتبار أن البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حركة الكشف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية حكامها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، وبعد حروب الاسترداد، حاول البرتغاليون أن يتخلصوا من التأثير الإسلامي عليهم؛ لذلك بحثوا عن طريق يوفر لهم التجارة مع الهند من دون أن يمر ذلك الطريق بمراكز القوى الإسلامية في ذلك الوقت، ونجحوا في ذلك الأمر، في هذه الفترة استطاعت مملكة هرمز بسط سيطرتها على سواحل الخليج التي كانت منقسمة إلى عدة إمارات تخضع لهم القبائل. وقد كانت مملكة هرمز تجني المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها، وبعد الاحتلال البرتغالي لعمان توالى الاشتباكات، وكان لدولة اليعاربة - التي قامت عام 1624م - الدور الأكبر في تحرير عمان من الاستعمار البرتغالي، الذي ظل في سجال مع العمانيين حتى تم طرد البرتغاليين بشكل نهائي في عام 1649م على يد سلطان بن سيف اليعربي الذي أعلن الحرب على البرتغاليين لنقضهم بنود المعاهدة، وتمكن خلال أقل من سنة في حكمه من تحرير عمان وأنهى الحكم البرتغالي على أراضيها.

كلمات مفتاحية: عمان، البرتغال، الاستعمار، الصفوي

The impact of the Portuguese invasion of Oman in the establishment of the Portuguese-Safavid alliance

Abdul Mohsen Hamad Mosaed Al-Arjani

Abstract:

The study deals with the impact of the Portuguese invasion of Oman on the establishment of the Portuguese-Safavid alliance, and deals with the Portuguese discoveries, considering that Portugal was the first European country to begin the movement of geographical discoveries. This idea of discovery received the support and sponsorship of its rulers in the fourteenth and fifteenth centuries AD, and after the wars of reconquest, the Portuguese tried to get rid of From the Islamic influence on them; Therefore, they searched for a route that would provide them with trade with India without that route passing through the centers of Islamic power at that time, and they succeeded in doing so. During this period, the Kingdom of Hormuz was able to extend its con-

trol over the coasts of the Gulf, which was divided into several emirates subject to the tribes. The Kingdom of Hormuz collected duties and taxes from its cities and ports, and after the Portuguese occupation of Oman, clashes continued, and the Ya'ariba state - which was established in 1624 AD - had the largest role in liberating Oman from Portuguese colonialism, which remained in debate with the Omanis until the Portuguese were completely expelled. Final in 1649 AD at the hands of Sultan bin Saif Al Yarubi, who declared war on the Portuguese for violating the terms of the treaty. Within less than a year of his rule, he was able to liberate Oman and end Portuguese rule on its lands.

Keywords: Oman - Portugal - Colonialism - Safavid

مقدمة:

قامت الكشوف الجغرافية الأوروبية في عصر كانت فيه السلطة السياسية والسلطة الدينية تشكل وجهين لعملة واحدة في أوروبا، وتعتبر حركة الكشوف البرتغالية فاتحة الاستعمار الأوروبي لآفريقيا وآسيا تحديداً خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وقد بدأتها البرتغال، واستفادت الملاحة البرتغالية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من علوم العرب الفلكية والبحرية والخرائط والأدوات الملاحية، مما كان له أثر كبير في السبق الذي حققه البحارة البرتغاليون في مجال الكشوف الجغرافية. وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية، عربية كانت أو أوروبية فضل البحارة والفلكيين العرب في تطور فن البحرية البرتغالية.⁽¹⁾ كانت البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حركة الكشوف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية الأمير البرتغالي المعروف هنري الملاح (1394- 1460) وكان هنري يتخلى بصفات جيدة فهو شجاع وملم بالجغرافيا والرياضيات التي عرفت آنذاك، كما كان مسيحياً متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الأفريقية وبعد أن سيطر البرتغاليون على ساحل شرق إفريقيا، وجهوا اهتمامهم صوب عُمان، التي كانوا يعتبرونها المنافس التجاري لهم في المحيط الهندي، فأرسل ملك البرتغال حملة بحرية بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك عام 1506 إلى جزيرة سوقطرة اليمنية فتم الاستيلاء عليها. وتقول دائرة المعارف البريطانية إن البرتغاليين استولوا على مسقط عام 1507 وسرعان ما سيطروا على الساحل العماني بأكمله، وبعد ذلك بعام استولوا على هرمز في مدخل الخليج، وقد أرسلت دولة المماليك في مصر والدولة العثمانية حملات بحرية للتصدي للبرتغاليين، ولكن دون جدوى، وحقق البرتغاليون هدفهم بتأمين الطريق إلى الهند فوصلوا إلى غوا، التي باتت لاحقاً مركز إمبراطوريتهم في الشرق، في عام 1510، وبعد أن استولى عليها ألفونسو دي ألبوكيرك باتت غوا بمثابة القاعدة البرتغالية الرئيسة في الشرق لمدة أربعة قرون ونصف.

الكشوف البرتغالية:

بعد نجاحهم في طرد المسلمين من ديارهم وفيما يعرف بحروب الاسترداد، حاول البرتغاليون أن يتخلصوا من التأثير الإسلامي عليهم؛ لذلك بحثوا عن طريق يوفر لهم التجارة مع الهند من دون أن يمر ذلك الطريق بمراكز القوى الإسلامية في ذلك الوقت، وبالذات دولة المماليك، وساعدهم على البحث الاستقرار

السياسي الأمر الذي حفزهم من أجل العمل على اكتشاف طريق يوصل للهند فاتجهوا بمحاذاة غرب القارة الإفريقية قاصدين جنوبها ، وبدأ المحاولات الكشفية الأمير هنري الملاح في رحلته التي قصد منها الوصول للأراضي الواقعة جنوب جزر الكناري ومن ثم رأس بوجادور، وكذلك قصد تسهيل تجارة الإمبراطورية البرتغالية ، وتوسيع مساحتها . والاستمرار في طرد المسلمين والقضاء على قوتهم والبحث عن مكان القس بريسترجون .^(٢)

هذا وقد بدأ هنري الملاح رحلاته منذ عام 1415م مستغلاً التحسينات التي قام بها البرتغاليون في بناء السفن واستخدام البوصلة في الملاحة البحرية بعد التعديلات عليها. وبعد عدة رحلات قام بها البرتغاليون تمكنوا من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول للهند. حيث كانت تلك الرحلات مقسمة إلى خمس مراحل، المرحلة الأولى بدأها هنري الملاح منذ عام 1415م إلى سبته. ومن ثم الدوران حول رأس بوجادور عام 1434م. والمرحلة الثانية تمتد ما بين عامي 1434 - 1462م تم فيها اكتشاف نهر السنغال والوصول للرأس الأخضر. المرحلة الثالثة تبدأ منذ عام 1470م حتى عام 1482م وفيها تم اكتشاف الجزء المتبقي من ساحل غانة. المرحلة الرابعة استمرت خمسة عشر عامًا في الفترة الواقعة ما بين 1482-1497م وفيها برز ديجو كام الذي أوصل النفوذ البرتغالي إلى مصب نهر الكنغو وبرز كذلك بارثولومبويداز الذي وصل نهر ميريت فيش. والمرحلة الخامسة هي مرحلة فاسكو دي جاما الذي تمكن من الوصول للهند. (٣)

الأوضاع السياسية في عمان:

تعتبر عمان امتداداً لشبه الجزيرة العربية من جهة الشرق في الجنوب وكان يحكمها ولمدة طويلة -حتى قدوم البرتغاليين- أسرة النبهانيين. ظلوا يحكمون عمان حوالي خمسة قرون. وكانت عمان حالها كحال بلاد الخليج العربي الأخرى تخضع للقوى القريبة منها حيث تمكنت مملكة هرمز من بسط سيطرتها على سواحل الخليج التي كانت منقسمة إلى عدة إمارات تخضع لهم القبائل. وقد كانت مملكة هرمز تجني المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها حيث كانت قلها تدفع سنوياً مبلغ ألف ومائة دينار أشرفي (دينار من الذهب ضرب في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي 842-825هـ / 1438-1421م) بينما كانت مسقط تدفع أربعة آلاف دينار، وصحار وخور فكان تدفعان ثلاثة آلاف دينار سنوياً بالتساوي فيما بينهما. إلا أن مملكة هرمز بدأت تضعف مع مرور الزمن حتى أن حاكمها استنجد بأمير البحرين ضد أقاربه الطامعين في الحكم. ونتيجة لذلك فرضت البحرين سيطرتها على عمان سنة 893هـ / 1487 م وقامت بأخذ الكثير من محاصيلها كل عام. (٤) وبالنسبة للوضع السياسي بشكل عام كانت تحكم العالم الإسلامي « فيما يعرف حالياً بالشرق الأوسط » ثلاث دول وهي:

الدولة العثمانية في آسيا الصغرى (الأناضول) وأجزاء كبيرة من شرق أوروبا.

الدولة المملوكية في مصر والشام والحجاز

الدولة الصفوية في معظم بلاد فارس (إيران) وشرق العراق.

أسباب الغزو البرتغالي لعمان:

قبل أن نعدد أسباب الغزو البرتغالي لعمان لا بد أن نتعرف على الدوافع أو الأسباب التي أدت إلى حركة الكشوف البرتغالية خلال القرن الخامس عشر وأخرجت البرتغاليين من ديارهم تجاه البلاد الإفريقية والآسيوية وفيما يلي استعراض لأهم العوامل التي أدت إلى الكشوف الجغرافية:

العامل الديني:

عامل قوي ومهم جداً لإلهاب حماس العامة للاشتراك في الرحلات الكشفية. لذلك عد المؤرخون الرحلات امتداداً للحروب الصليبية ضد الإسلام، والتي قامت انتقاماً من الإسلام وأهله وحقاً على المسلمين بعد انتصاراتهم بالذات في الشام، وكان عندهم هدف يسعون من أجله ألا وهو مهاجمة الإسلام في عقر داره. والهدف ترعاه روحياً البابوية والكنيسة الكاثوليكية، حتى أن البابا نيقولا الخامس أصدر منشوراً عام 1459م/1454م يؤيد ويبارك جهود هنري الملاح في غزو جميع البلاد التي يسكنها أعداء المسيح وكذلك فعل البابا كاليكستوس الثالث عام 861 هـ / 1456م، والبابا اسكندر السادس الذي أصدر ثلاثة مراسيم عام 1493م/1493م حتى أن البرتغاليين طمعوا في تحويل المسلمين إلى النصرانية ما استطاعوا كما ذكر المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين. خاصة وأن الأوروبيين زاد خوفهم من الإسلام بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة 897 هـ / 1453م. وانتشرت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي أسطورة برسترجون أو القديس يوجنا⁽⁴⁾

العامل الاقتصادي:

العامل الاقتصادي كان أكثر العوامل فعالية في تحركات البشر، فالرغبة في الربح التجاري تشغل الهاجس البشري. لذلك تدفقت رحلات الكشوف عند البرتغاليين بحثاً عن الكسب المادي والحصول على المجد. وهذا يدل على أن العائد من الكشوف لم يكن علمي فقط، بل غلب العامل الاقتصادي على غالبية العوامل.⁽⁵⁾

كيف لا والتوابل والذهب ضمن الغنائم الاقتصادية التي تحصل عليها البرتغاليون خلال رحلة الكشوفات بعدما كانت البرتغال تشتكي في بداية القرن الخامس عشر من تدهور اقتصادها.

عوامل أخرى:

هناك عوامل أخرى كانت دافعة لحركة الكشوفات لعل في مقدمتها العامل السياسي، حيث ساهم التحول من النظام الإقطاعي إلى نظام الوحدة الوطنية في دفع حركة الكشوفات بعد لم الصف والقضاء على النزاعات الداخلية. وهناك أيضاً العامل الحضاري حيث استفادت أوروبا من الحضارة العربية التي تسربت إليها عبر البحر الأبيض المتوسط. وأخيراً وليس آخراً نذكر العامل الجغرافي حيث تتميز البرتغال بموقع جغرافي مميز في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وشبه جزيرة أيبيريا. وكذلك استفادت من طبيعة أوروبا، لوجود الأنهار وغابات الأخشاب وآجام القنب والكتان، والثلاثة تعتبر من المواد الخام لبناء السفن.⁽⁶⁾

أما بالنسبة للأسباب الخاصة بعمان والخليج العربي فهي كالتالي:

أولاً: ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي حيث إن الموقع الجغرافي للخليج والذي يبدأ من عمان كان بمثابة أحد أذرع المحيط الهندي الذي كان البحر الأحمر الذراع الثاني له في جنوب غرب آسيا. والخليج العربي يوجد به العديد من الجزر الصغيرة التي تلجأ لها السفن وقت العواصف البحرية. ولم يكن الخليج معبراً للتجارة فقط، بل كان مركزاً من مراكزها المهمة لتعدد الموانئ التجارية الصالحة لرسو السفن وبالذات في عمان حيث صحار ومسقط وقلهات.⁽⁷⁾

ثانياً: حركة الملاحة البحرية بين الخليج بشكل عام وعمان خاصة والشرق التجاري المتمثل في الهند والصين. حيث إن السفن الخليجية التابعة للتجار العرب و المسلمين تقوم بنقل البضائع التجارية من الهند

والصين عبر خطوط الملاحة البحرية في المحيط الهندي لذلك عزم البرتغاليون على السيطرة عليه. ثالثاً: الأحوال السياسية في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وجود إمارات صغيرة تحكم في الخليج ليس بينها وحدة سياسية ولا توجد بها قوة عسكرية مشتركة بحكم أنهم مسلمون، تتصدى لأي اعتداء خارجي كما حدث من البرتغاليين. رابعاً: كان العمانيون هم المسيطر على التجارة والناقل الحصري لها في المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا؛ لذلك أراد البرتغاليون القضاء على المنافس الحقيقي لهم في تجارة الشرق بعد اكتشاف الطريق المؤدي للهند. (٨)

استيلاء البرتغاليين على عمان:

إن المتتبع لحركات الكشوف الجغرافية البرتغالية حتى وصولها للهند، سوف يجد أن المنافس الحقيقي للبرتغاليين هم العمانيون الذين كانوا على علاقة قوية بالهند وشرق إفريقيا بالذات من الناحية التجارية؛ لذلك لا غرابة في أن يقوم البرتغاليون بعمليات عدوانية ضد العمانيين في أي مكان يتواجدون فيه من باب الحرص على المصلحة المرجوة من وصولهم للهند والاستحواذ عليها ألا وهي تجارة بلاد الشرق. ولفرض وجودهم وبسط هيمنتهم على التجارة في المحيط الهندي قام البرتغاليون بأعمال قرصنة من مهاجمة السفن في المحيط والاستيلاء على بضاعتها وقتل من فيها من طاقمها وكذلك قاموا بإحراق البلدات التي تبدي نوعاً من المقاومة لهم من أجل إرهاب الناس. ولما رأوا ما لعمان والخليج العربي من أهمية في تجارة الشرق، وأنها تعتبر من المراكز المهمة في المحيط الهندي قرروا الاستيلاء عليها. حيث كانت من أهدافهم السيطرة على الطرق التجارية في المحيط الهندي، وكان القصد في بعض الفترات إغلاق طرق التجارة في وجه التجار العرب والمسلمين من أجل إضعاف العالم الإسلامي؛ ولذلك عمدوا إلى تخريب الموانئ العربية سواء في الخليج العربي أو في جنوب الجزيرة العربية، أو حتى على سواحل شرق إفريقيا. وقد تأخر قدوم البرتغاليين لعمان بسبب أن نائب الملك البرتغالي في الهند فرانسيسكو دالميدا 1505م - 1509م، وكان يرى أنه من الأفضل إقامة مراكز للبرتغاليين على سواحل شرق إفريقيا وسواحل الهند بالإضافة إلى القيام بأعمال القرصنة في المحيط الهندي دون الحاجة للسيطرة على المراكز العربية في الخليج. إلا أن ألفونسو البوكيرك كان له فكر مغاير، مدعوم بأوامر عامة من الملك البرتغالي عمانويل الأول في تنفيذ أفكاره وضم مناطق عديدة في الشرق من أجل احتكار التجارة، وكان معه خطاب سري لتعيينه نائباً للملك في الهند إلا أنه اضطر لإخفائه من عام 1506 إلى عام 1609م.

كانت نقطة الانطلاق لغزو جنوب الجزيرة العربية، جزيرة سوقطرة التي احتلوها في أغسطس عام 1507م وأعادوا بناء قلعتها وسموها قلعة القديس توماس، وإن كان البرتغاليون هجروها عام 1511م لعدم الاستفادة منها. وبعد الاستيلاء على سوقطرة توجه البوكيرك إلى جزر كوربا موريا. ومن ثم إلى رأس الحد التي فيها ما يقارب من 40 سفينة، وبعدها توجه بأسطوله إلى قلعات مركز الحكم الهرمزي في ساحل عمان التي عقد مع حاكمها صلحاً بالآلهاجم السفن البرتغالية ببلدته وغادر البوكيرك قلعات متوجهاً إلى قريات التي قصفها في اليوم التالي لوصوله، ونشب قتال بين البوكيرك بأسطوله ضد أهل بلدة قريات ولم يتمكن البرتغاليون من السيطرة عليها إلا بعد أن احتلوا جزيرة صغيرة مقابل قريات، وأخذوا يقصفون البلدة بالمدفعية حتى

دمروا جزءاً كبيراً منها، ومن ثم نزل الجنود للساحل وقاموا بقتل من وجدوه من أهل البلدة ولم يستثنوا أحداً حتى النساء والأطفال وأمر البوكيرك الجنود بأن يجدهوا أنوف وآذان النساء والأطفال والرجال لتكون شاهداً على بطشهم في المناطق التالية حتى يدخل الرعب في نفوس أهلها. كان الخراب الذي لحق بقريات بسبب مقاومتها، وعدم التعرض لقلها بسبب رزوخها لمطالب الغزاة هو ما دفع أهل مسقط لإرسال وفد إلى ألفونسو البوكيرك من أجل كسب وده، إلا أنه رفض التفاوض مع هذا الوفد بسبب أنه لم يكن معه تفويض خطي من حاكم مسقط، ولما جاءوا بالتفويض الرسمي فاجأهم بطلبه إمداده في استعدادة لغزو هرمز، ولما تحفظوا على نقطة الإمداد قطع المحادثات معهم، وبدأت الأوضاع تتجه نحو المواجهة وهو ما يرغب فيه ألفونسو البوكيرك مدعوماً بالسلاح الفتاك المتمثل في المدافع بعكس أهل مسقط الذين كان سلاحهم أقل كفاءة من سلاح البرتغاليين، حيث كانوا يعتمدون على السيوف والرماح والسهام، وعلى الرغم من وصول مدد للعمانيين اختلفوا في مصدره هل هو من الجبور أو من مملكة هرمز، وهل عدده ألفان أم عشرة آلاف مقاتل.⁽⁹⁾

لكن الإمداد على أية حال لم يصمد أمام المدفعية البرتغالية، حيث انهارت القوات المدفعية عن مسقط بسرعة وكانت الغلبة أيضاً للبرتغاليين في الاشتباك المباشر، وقد قتل خلق كثير من أهل مسقط ودمرت المدينة بالكامل واحرقت السفن الراسية. وبعد الانتهاء من تدمير مسقط توجه الأسطول البرتغالي إلى صحرار التي فضلت الاستسلام وعين حاكمها نائباً لملك البرتغال ورفع على قلعتها علم البرتغال، ومن ثم توجه إلى خورفكان التي دمرت كسابقتها قريات ومسقط، وبعد عودته من هرمز عام 1508م دمر قلها بالرم من عقد الصلح مع حاكمها أول قدومه للساحل العماني، وقد كانت المدن العمانية تدير السلطات البرتغالية في هرمز.

مع العلم أنهم جردوا المناطق من الأسلحة، وكانوا يراقبون بناء السفن كي لا يتم تسليحها أثناء تصنيعها. وبالذات في عهد ألفونسو البوكيرك، أما في عهد لوبو سواريز نائب الملك في الهند كانت سياسته تستهدف إنعاش التجارة البرتغالية الوسائل السلمية، وإن كانت هذه السياسة تعتمد على قيام ضباط عسكريين بتحصيل ضرائب المدن التجارية في عمان. ونتيجة لطمع الضباط وانغماسهم في التجارة بحكم عملهم ولسوء إدارتهم للموانئ قام العمانيون مع الهرامزة بثورة عام 1521م، ونظراً لاختلافات عديدة بين أن العرب والهرامزة، لم تنجح الثورة بل زادت من تشديد القبضة العسكرية والتجارية في المنطقة.

تحرير العمانيين بلادهم من الاستعمار البرتغالي:

لقد كان لدولة اليعاربة - التي قامت عام 1624م - الدور الأكبر في تحرير عمان من الاستعمار البرتغالي وبخاصة منذ عهد الإمام ناصر بن مرشد الذي أولى الأسطول والجيش اهتمامه وجعل تنمية الموارد الاقتصادية في مقدمة ركائز الدولة، وكان الإمام ناصر بن مرشد قد وضع خطة بعيدة المدى تقوم على تجريد البرتغاليين من قواعدهم على طول الساحل العماني قبل مواجهتهم في قاعدتهم الأساسية مسقط.⁽¹⁰⁾

ولم يعتمد العمانيون في بادئ الأمر على مساعدات أو تحالفات خارجية. إلا من الهولنديين، ولم تكن مباشرة ولا موجهة بسبب الصراع البرتغالي الهولندي على تجارة الشرق، ولانشغال بريطانيا بالساحة الأوروبية وقيام علاقاتها مع البرتغال على مبدأ التحالف، ولم تساند العمانيين في البداية حتى أن مساعدتهم في آخر

الأمر كانت إمدادهم بالخبراء في الملاحة البحرية بدون إمدادات عسكرية، وبالنسبة للفرس فقد كانت علاقتهم مع البرتغاليين تقوم على الاتفاق الحسن، لذلك حين بدأ العمانيون في جهادهم ضد المستعمر كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية بمواجهة البرتغاليين والفرس في جلفار؛ حيث أحرزت القوات العمانية نصراً على القوات الأجنبية في أغسطس 1633 م وهو الأول على البرتغاليين والفرس بعد قيام دولة اليعاربة، وهذا ناتج طبعاً من توحيد الصفوف بالداخل والسير خلف قيادة موحدة ووطنية. وتمكن العمانيون بعد ذلك من تحرير صور وقریات من أيدي البرتغاليين واستعصت عليهم صحار ومسقط حتى جاء عام 1644م ودخلت قوات الإمامة حروباً متقطعة مع القوة البرتغالية، لكن عجز العمانيون عن اختراق السور الخارجي المحيط بمسقط الذي كان البرتغاليون قد بنوه في الوقت الذي كانوا قد بنوا فيه قلعتي الميراثي والجلالي.

ثم في عام 1648م جهز العمانيون حملة بقيادة مسعود بن رمضان وخميس بن سعيد وذلك بغرض فرض حصار على مسقط وتحريرها. وفي 16 من أغسطس ضربوا حصاراً على مسقط حتى 11 من سبتمبر حيث رضخ البرتغاليون وقبلوا الشروط التي وضعها الإمام، وفي 31 من أكتوبر وقع اتفاق من خمسة بنود، ينص واحد منها على إلغاء القانون المتعلق بفرض ضريبة على العمانيين من قبل البرتغاليين، وشكل هذا الاتفاق نصراً سياسياً بقدر ماكان نصراً معنوياً. ولكن البرتغاليين لم يأسوا، فقد طلبوا تعزيزات جديدة من قادتهم في الهند، وذلك لإدراكهم أنهم إذا فقدوا السيطرة على مسقط فسوف يفقدون السيطرة على الخليج كله. وفي عام 1649م توفي الإمام ناصر بن مرشد واستلم الإمامة من بعده سلطان بن سيف اليعربي وانهز البرتغاليون المرحلة الانتقالية وخرقوا بنود المعاهدة وذلك بفرضهم الضريبة على العمانيين، فما كان من الإمام سلطان إلا أن أعلن الحرب على البرتغاليين وخلال ستة أشهر أرغم الحاكم البرتغالي بالتخلي عن القلعتين للقوات العمانية في 23 من يناير عام 1650م وتمكن خلال أقل من سنة في حكمه من تحرير عمان وأنهى الحكم البرتغالي على أراضيها.⁽¹¹⁾

خاتمة:

بعد استعراض هذا الحدث الفارق في تاريخ العرب والمسلمين من خلال بدايات الاستعمار الأوروبي للعالم عامة وللمنطقة العربية بشكل خاص نلاحظ أن البرتغاليين قاموا بأول حملة استعمارية في العصر الحديث، وأنها في طريقها للوصول إلى الهند كانت تخطط للاستيلاء على الدول الإسلامية لثأر قديم يتمثل في الفتح العربي للأندلس، ولذلك يعدها البعض امتداداً للحملات الصليبية، وخلف الأمر الديني كانت الرغبة في الاستيلاء على خيرات الشرق وتوابل الهند ماثلة أمامهم، وكانت هذه الحملات مخططة بمباركة شعبية ودينية.

على جانب آخر وفي فترة الدراسة كانت منطقة عمان تمثل المسيطر على التجارة والناقل الحصري لها في المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا؛ لذلك أراد البرتغاليون القضاء على المنافس الحقيقي لهم في تجارة الشرق بعد اكتشاف الطريق المؤدي للهند. وعلى حين كانت أسلحة العمانيين في حربهم مع البرتغاليين تمثل الأسلحة القديمة من السيوف والسهام بينما البرتغاليون يستخدمون أسلحة حديثة، على الرغم من ذلك أحرز العمانيون انتصارات كبيرة عليهم وصمدت مناطق مثل قريات أمامهم حتى تحقق النصر وتمت هزيمتهم على يد الإمام سلطان بن سيف اليعربي وأنهى الحكم البرتغالي لعمان. ويرى الباحث أن الموضوع

يستحق مزيداً من الدراسات لبيان أثر الاحتلال البرتغالي لعمان ، مع طرح أسئلة من قبيل أن الاستعمار الحديث لم يتعرض لمعظم دول الخليج العربي رغم أن الحملة الاستعمارية الأولى كانت لعمان ، وهذه الأسئلة تفتح الباب للدارسين للتعمق في هذا الموضوع.

الهوامش:

- (1) السلطان، محمد حميد ، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507 - 1525م ، مركز زايد للنشر والتوزيع ، -2000.1
- (2) ابد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص111 ، الجوهرى، يسري ، الكشوف الجغرافية، ص 127-131
- (3) الصيرفي، نوال ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي) ، ص 52 - 54
- (4) الصيرفي، المرجع السابق، ص 65 - 70
- (5) سيّد ، أشرف صالح محمد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، ص 69 .
- (6) حمدان، جمال ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص 52 - 54
- (7) الصيرفي، نفسه ، ص 29
- (8) سيّد ، المرجع السابق ، ص 143.
- (9) السلطان، المرجع السابق، ص 21
- (10) الهاشمي، سعيد محمد، دراسات في التاريخ العماني ، ص 283
- (11) غباش، حسين ، عمان - الديمقراطية الإسلامية - تقاليد الإمامة والتاريخ ، ص 109 - 110

المصادر والمراجع:

- (1) الكشوف الجغرافية، يسرى الجوهرى.
- (2) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، نوال حمزة يوسف الصيرفي.
- (3) أصول التاريخ الأوروبي الحديث، أشرف صالح محمد سيّد.
- (4) استراتيجية الاستعمار والتحرير، جمال حمدان.
- (5) الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، محمد حميد السلطان.
- (6) عمان - الديمقراطية الإسلامية - تقاليد الإمامة والتاريخ، حسين غباش.
- (7) صلاح العقاد، التيارات السياسية، القاهرة، 1974 م
- (8) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 1
- (9) عمان في صفحات التاريخ، روبين بيدويل، العدد السابع
- (10) السلطان، محمد حميد ، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507 - 1525م ، مركز زايد للنشر والتوزيع ، 2000

مدينة القدس من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب

باحثه دكتوراه - قسم التاريخ-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ.أروى عيسى محمد شماخي

المستخلص:

مما هو مؤكد ومتعارف عليه أن القدس مدينة مقدسة عند جميع الديانات والحضارات فهي الملتقى لها جميعاً؛ لذا فقد حظيت القدس باهتمام تاريخي على مدى القرون والعصور المختلفة. ومن خلال بحثنا هذا أردنا تسليط الضوء على امتازت به هذه المدينة من شواهد تاريخية حضارية من خلال عناصرها المختلفة (الموقع، التضاريس، السكان، الأنشطة، المنشآت الدينية)، وبعيون رحاله عرب وثقوا مشاهداتهم في هذه المدينة، وعن طريقهم وقفنا على عدد من الآثار الحضارية والتاريخية والأحداث السياسية التي تركت بصماتها على مدينة القدس. وقد تتعنا فيه منهج البحث التاريخي التحليلي لإبراز أهم ما امتازت به هذه المدينة من نواحي مختلفة بشكل عام وحرصنا على بيان الأهمية الدينية خلالها بشكل خاص وقد تجلى ذلك من خلال الدور الحضاري الذي لعبه الخلفاء المسلمون في القدس خلال العصور الإسلامية المختلفة. هذا وقد الحقنا البحث بخاتمة تحتوي على نتائج بما خلصت إليها هذه الدراسة منها: أولاً التأكيد على أهمية كتب الجغرافيا والرحلات باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ فهي كالمادة الخام بما حوته من معلومات، تشمل كافة المظاهر السياسية والاقتصادية والعمرانية والحضارية والاجتماعية. ثانياً: أبرزت كتب الرحلات أهمية مدينة القدس من الناحية الحضارية وذلك عائد لتعاقب الإمبراطوريات والحضارات المختلفة على المدينة.

الكلمات المفتاحية: القدس، بيت المقدس، رحالة، خسرو، المقدسي، العبدري .

The city of Jerusalem through the writings of Arab travelers and geographers

Mrs. Arwa Issa Muhammad Shamakhi- Doctoral researcher - History Department - College of Sharia & Islamic Studies - Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia.

Abstract:

It is certain and well-known that Jerusalem is a holy city for all religions and civilizations, as it is the meeting Point for them all. Therefore, Jerusalem has got historical attention over the centuries and different eras. Through this research, I wanted to shed light on the historical and cultural evidence that has distinguished this city through its various features. (location, terrain, population, activities, religious facilities), and through the eyes of Arab travelers they documented their observations on this city, and through them we came upon a number of cultural and historical monuments and political events that left has their mark

on the city of Jerusalem. I have followed the analytical historical research approach to highlight the most important features that distinguished the city from different aspects in general and In order to highlight the religious importance in particular that was demonstrated by the cultural role played by the Muslim caliphs in Jerusalem during the various Islamic eras. I have supplemented the research with a conclusion containing the results of this study. Some of them are as follows: Firstly, emphasizing the importance of geography and journeys books as an important source of history. It is like raw material with the information it contains, including all political, economic, urban, cultural and social aspects. Secondly: Travel books highlighted the importance of the city of Jerusalem from a cultural standpoint, due to the succession of different empires and civilizations over the city.

Keywords: Jerusalem, Jerusalem, traveler, Khusraw, Al-Maqdisi, Al-Abdri.

مقدمة:

تعتبر مدينة القدس ذات اهمية تاريخية منذ القدم لما حظيت به من مكانة دينية لدى جميع الاديان السماوية وقد تناولها الكثير من الرحالة والمؤرخين اليهود والنصارى والعرب في كتاباتهم لما حظيت به وفقاً لذلك ،بل كانت أول المدن الدينية والتاريخية والثقافية والاقتصادية التي عرفتها البشرية ، وقد عنا المؤرخين العرب والمسلمين بالكتابة عنها فضلاً عن زيارتها بمقاصد دينية. ودونوا رحلاتهم فيها ، فيأتي في اولى تلك الكتابات ما اورده المقدسي بقوله: «كنت يوماً في مجلس القاضي المختار أبي يحيى بن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر ،الى أن سُئلت : أي بلد أجل؟ قلت : بلدنا. قيل : أيها أطيب ؟ قلت بلدنا. قيل : أيها أفضل؟ قلت بلدنا . قيل: أيها أحسن؟ قلت بلدنا. قيل : فأيتها أكثر خيرات؟ قلت: بلدنا. قيل : فأيتها أكبر؟ قلت: بلدنا. فتعجب أهل المجلس من ذلك ، وقيل : أنت رجل محصل ،وقد ادعيت ما لا يقبل منك ،وما مثلك إلا كصاحب الناقة مع الحجاج! قلت: أما قولي أجل ؛ فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

الأسماء التي اطلقت على المدينة :

هذا وقد برزت أسماء عديدة لمدينة القدس عبر الازمنة التاريخية نظراً لمكانتها الدينية والثقافية والتجارية عند الامبراطوريات القديمة ،كما تعد من أقدم المدن التاريخية فهي أقدم من مدن بابل⁽²⁾ ونيوى⁽³⁾، ويأتي اسم ييوس الذي يدل على القوة والصلابة من البيوسيين بناء القدس الأولون عام 3000 قبل الميلاد ،وهم من بطون العرب الأوائل الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها ، ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية ، ويعود لهم الفضل في بناء قلعة صهيون التي كانت موجودة في مدينة القدس⁽⁴⁾.وما أن استقر وضع البيوسيين في المدينة الجديدة حتى أرسى ملكهم (ملكيسادق) قواعد العدل وعرف بالثقوى حتى لقب بملك السلام ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم) و(شالم) و أور « كلمة تعني المدينة والأصل الآرامي (أورشالم) أو (أور سالم) ومنها جاءت اسم أورشليم الذي ذكر في التوراة لما يزيد على

ستمائة مرة⁽⁵⁾. وقد بقيت المدينة تعرف بإسم أورشليم ويوبس حتى بدأ عهد الإمبراطور أديانوس الذي قام بهدم القدس بعد ثورة باركوخبا اليهودية ما بين عامي 132م / 135م، وأمر ببناء مدينة جديدة مكانها أطلق عليها اسم ايليا كابيتولينا⁽⁶⁾، وبقيت مدينة القدس تعرف باسم ايليا حتى نهاية العصر الأموي⁽⁷⁾، حيث ظهر الاسم في العهدة العمرية⁽⁸⁾، وفي العلامات الحجرية التي وضعت من قبل عبد الملك بن مروان (86هـ) لبيان المسافات بين مدينة القدس ومدينة دمشق ومدينة الرملة، ووضع في مواضع معينة حجارة نقش عليها اسم الذي امر بتعمير الطريق⁽⁹⁾، كما ان عبد الملك كان يثق بالنصارى الى درجة انه استخدمهم في المسجد الأقصى وسمح لهم بتوارث الخدمة فيها⁽¹⁰⁾ وهذا يدل على تسامح المسلمين وتعايشهم السلمي مع جميع الديانات الاخرى بل وثقتهم فيهم بدليل بقاء اسم ايليا للمدينة، وفي شعر الفرزدق الشهير:

وبيات بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى ايلياء مشرف

ويعني اسم القدس المطهر، أو المكان الذي يطهر الذنوب، كما ذكر في لسان العرب أن القدس يعني التَّقْدِيسُ و الطهر والتطهير بمعنى التَّنَزُّه عن العُيُوب والنِّقَاص أي السلامة والسلام وقريب منه (العافية) و (البركة). فالمقدس طاهر ومطهر ، منزّه عن العُيُوب والنِّقَاص ، سالم وسليم ، معافي ، مبارك⁽¹¹⁾. قال تعالى : إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى⁽¹²⁾، وقال : ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، أي المطهرة⁽¹³⁾. وقد أطلق هذا الاسم على المدينة في العصر العباسي زمن ابو جعفر المنصور ، حيث اصبحت المدينة بزلزال عام 747م أضر بالمسجد الأقصى فأمر بإعادة بنائه ولم يكن معه من المال ما يكفي لذلك ، فأمر بنزع صفائح الذهب والفضة التي على الأبواب ، فصكت النقود باسم مدينة القدس⁽¹⁴⁾، وذكرت العديد من المصادر التاريخية أن أهل الشام يطلقون عليها اسم القدس، بينما أطلق عليها أهل العراق والمشرق اسم بيت المقدس.

احتلت مدينة بيت المقدس في الدعوة الإسلامية من البداية مكاناً هاماً فقد أُشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية، وكانت قبله الإسلام الأولى وإليها كان إسراء النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنها كان عروجه⁽¹⁵⁾.

موقع المدينة :

تقع مدينة القدس في وسط دولة فلسطين، حيث تبعد عن البحر الأبيض المتوسط حوالي 52 كم، وعن البحر الميت 22 كم، وتبلغ مساحتها 44500 دوماً⁽¹⁶⁾، ويعتبر المسجد الأقصى وكنيسة القيامة⁽¹⁷⁾ من أهم معالمها، كما تتميز المدينة بأبوابها السبعة، وأسواقها وأبراجها القديمة، وقد أطلق عليها الكثير من الأسماء في العصور التاريخية المختلفة التي توالى عليها، حتى باتت تعرف اليوم باسم مدينة القدس. وقد أجمع الرحالة على أن مدينة القدس مدينة جبلية حصينة يحيط بها سور من صخور غليظة، فيقول العبدري «والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة على نشر غليظ مقطوع بجهات الاودية»⁽¹⁸⁾، كما أُحيطت المدينة بالكثير من الخنادق، ومما أتفق الرحالة على مشاهداتهم له هو السور الذي تعرض للهدم فيذكر العبدري «وسورها مهدوم هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها»⁽¹⁹⁾ ووجود هذا السور يدل على كثرة ما تعرضت له المدينة من حروب عبر التاريخ. أما مناخها فوقع المدينة وسط سلسلة من الجبال منحها مناخاً لطيفاً صيفاً وبارداً شتاءً ومن ذلك قوله المقدسي في وصفه « لاشديد البرد وليس بها حر وقل مايقع فيها ثلج»⁽²⁰⁾. والجدير ذكره أن أغلب الرحالة بعد العبدري يكادون على ذات الوصف حتى من جاء في فترة

متأخرة منهم⁽²¹⁾. أما في العصر الحديث فقد نقل لنا الرحالة الحضارم صورة عن القدس القديمة تشابه في وصفها الوصف الأولي لأغلب الرحالة، فكانت القدس في وصفهم ذات شوارع ضيقة جداً ومرصعة بالحجارة، ومن ضيق شوارعها العربات لا تستطيع دخولها، باستثناء شارع الواد، كما كان لها سوق مسقوف، ويحيط بها من جميع جوانبها سور من الحجر، ولها خمسة أبواب: باب النصر، باب الخليل، باب داود، باب الأسباط. أما القدس الحديثة فكانت منازلها مرتفعة تُصَبُّ أحياناً أربعة ادوار. ومن مشاهدتهم فيها حارة لليهود بدأوا عمارتها حديثاً حيث لم يكونوا اليهود قد بدأوا في استيطانها بشكل مكثف قبل ذلك⁽²²⁾.

سكانها وأنشطتهم:

أولاً: النشاط التجاري:

يورد ناصر خسرو أن عدد سكانها بلغ عشرون ألفاً، ويشير البلوي أن أغلبهم من الاثرياء فيقول انها «ضخمة البناء واسعة الفناء تشهد لسكانها بالثراء والسناء»، وفي هذا الصدد نذكر أن المدينة عرفت أنواع مختلفة من الصناعات والصناعات مما عكس ازدهار الحالة الاقتصادية والتجارية بها، فكان لكل صناعة سوق خاصة بها، ولعل هذا ما جعل البلوي يصفها بقوله «أحسن المدائن أرقة وأسواقاً»⁽²³⁾ يتفق معه في هذا الرأي المقدسي حين يُشيد بأسواقها فيقول: «ولأطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها» هذا وقد أسهب خسرو في وصف النشاط الاقتصادي فيقول «اسعارها معتدلة، زيتها كثير، كثير من رؤسائها يملك الواحد منهم خمسين الف (يقابل 4200 تنكة) من زيت الزيتون، يحفظ الزيت في الآبار والاحواض، ويصدر الى خارج البلاد، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الاجزاء السفلى من الاشجار لحفظها من الديدان، ويستعمله الصيادلة من اجل صيانة العقاقير من الحشرات»⁽²⁴⁾، والجدير بالذكر انه كان يستفاد من الزيت لإمداد مصابيح المسجد بالزيت اللازم لإضاءتها، حيث يبلغ عدد المصابيح أكثر من سبعمائة مصباح⁽²⁵⁾.

ثانياً: النشاط الزراعي:

عُرفت القدس منذ القدم بندرة مائها فمصادر المياه فيها كانت شحيحة وهو ما أوردته أغلب الرحالة العرب والأجانب، فيذكر ابن بطوطة ان جلب الماء اليها تم عن طريق الامير سيف الدين تنكيز⁽²⁶⁾ أمير دمشق⁽²⁷⁾. وهو ما أكدته ناصر خسرو الذي زار القدس في فترة سابقة له، ومع ذلك فهو يشير إلى اكتفاءها الذاتي من المياه، حيث تعتمد المدينة على مياه الأمطار التي تجري في مجار مائية مبطنة ومستوية تميل من أعلى إلى أسفل ويتجمع فيها ماء المطر، ويخزن في أماكن معدة لتخزين المياه فوق أسطح المنازل أو في أحواض أو صهاريج كما وجدت قنوات لصرف المياه وهو ما عكس تقدم المدينة ودقة تنظيمها⁽²⁸⁾. وبالرغم من قلة ماءها فقد اشتهرت القدس بزراعة المحصولات التي لا تحتاج لوفرة المياه وفق ما ذكره «ناصر خسرو» ومنها الزيتون والتين والجميز والحنطة والكثير من الفواكه بل هي من أخصب البلاد ولقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى في بركة أرضها قال تعالى «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»⁽²⁹⁾.

الحياة العلمية:

أظهر الرحالة بعد العبدري الذي أشار إلى إنعدام الحياة العلمية في القدس في الفترة التي كان متواجد بها⁽³⁰⁾ التطور الكبير في الحياة العلمية في القدس من خلال المحدثين والقضاة والخطباء والمدرسين

والمتصوفين الذين التقاهم أبن بطوطة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر المفتي شهاب الدين الطبري، والشيخ كمال الدين المراغي، والخطيب عماد الدين النابلسي ومنهم مدرس المالكية أبو عبدالله بن محمد الغرناطي وهذا مما يدل على التنوع المذهبي الذي شهدته تلك الفترة⁽³¹⁾. ويؤكد ذلك ما أورده المقدسي «وفيها كل حاذق وطبيب، وإليها قلب كل لبيب، ولاتخلو كل يوم من غريب»⁽³²⁾.

إذاً نستنتج مما سبق الازدهار العلمي الذي شهدته العهد المملوكي وظهر جلياً في عدد المنشآت الدينية والمدنية التي كانت آية في العمارة، حيث أجروا إصلاحات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وقد بلغ عدد المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة وسبعين رباط وعشرات الزوايا⁽³³⁾. وبالرغم أن العبدري نقل لنا صورة مغايرة عن الحياة العلمية في القدس أوجزها بقوله «ولم أر في هذا البلد، مع شرفه اشتهاه من هو أهل لأخذ العلم عنه ولا معنيا به»⁽³⁴⁾ إلا أنه في موقع آخر من رحلته يُشيد بجهود الظاهر بيبرس (ت 676 هـ / 1277 م) في عنايته بالأوقاف وإنشاء المساجد حيث أوقف قرية دنا للحرم وأمر بتجديد مسجد الخليل كما أشار إلى اهتمامهم بإنشاء الأربطة فيقول «وبها رباطان غاية في الإتقان، بنى أحدهما الملك المنصور، وبنى الآخر الأمير علاء الدين. وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل»⁽³⁵⁾ والحقيقة التي تجب الإشارة إليها أن هذه الرحلتين بالرغم من قلة ما أورثتهم من معلومات في هذا الشأن إلا أنها عكست واقعاً ميّز تلك الفترة من العهد المملوكي تمثل في إكثارهم من الأوقاف والأربطة والمدارس والزوايا.

الحياة الصحية:

يعتقد أن أول مستشفى أسس في القدس يعود للعهد العبيدي سنة 1005/395م، ويعد في ذات الوقت معهداً علمياً، وكان يقع على حافة وادي جهنم في القدس، ووادي جهنم قريب من سور الأقصى من الجهة الشرقية، وقد جاء خسرو، على ذكره بل يكاد ينفرد به بأنه «مستشفى عظيم، عليه أوقاف طائلة، ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والدواء، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف»، ولم يورد خسرو أي معلومات إضافية عن ذلك المستشفى، فلم يتحدث عن أقسامه، أو عدد المرضى الذين يُمكنه استيعابهم أو أسماء الأطباء العاملين فيه، ولا يُستبعد أن يكون هذا المستشفى قد شُيد في أثناء تواجد خسرو بالقدس، خاصة أن القدس شهدت ازدهاراً واضحاً في مجال الطب في عصر الدولة الفاطمية وشهدت وجود أحد أشهر الأطباء المقدسيين وهو التميمي المقدسي⁽³⁶⁾.

منشآتها الدينية:

تنوع الديانات بها أنعكس بدوره على منشآتها الدينية عبر التاريخ، فعرفت مدينة القدس أحد أهم المساجد الإسلامية وهو المسجد الأقصى، كما شُيدت فيها عدد من الكنائس منها كنيسة القيامة.

أولاً: مسجد القدس:

مسجد القدس ثالث الحرمين الشريفين في الفضل، وأتفق الرحالة على أنه من أعجب المباني في تصميمه الهندسي المعماري و أثنى أغلب الرحالة عرباً وأجانب على حسن بناءه وبديع صنعه فذكر الشريف الإدريسي: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه ولا يباهية قدراً المسجد قرطبة في الاندلس⁽³⁷⁾، أما في صفته بالرغم من أن أغلب الرحالة أوردوا مقاسات المسجد الأقصى إلا أننا نكتفي هنا بما أورده الحنبلي في هذا الشأن حيث يذكر أنه حرص على أن تكون تلك المقاسات التقريبية في حضوره حرصاً على الدقة.

فبيلغ طوله حسب ما أورده من الشمال حيث محراب داود عليه السلام الى باب الأسباط ستمائة وستين ذراعاً، ويبلغ عرضه من السور الشرقي المطل على باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي أربعمائة ذراع وستة أذرع، ويبلغ عرضه من القبلة إلى الجوف أربعمئة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً، وله خمسة عشر باب في جهاته الثلاث⁽³⁸⁾.

أما قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ / 691 م، فهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، وهي قائمة على نشر في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، وهي الباب القبلي، وباب اسرافيل، وباب الصور، وباب النساء. والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً، محكم الصنعة، وكذلك داخلها. كما زُين خارجها بالذهب⁽³⁹⁾. وأقام الوليد بن عبد الملك الجزء المغطى⁽⁴⁰⁾ في المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل، حوالي سنة 90 هـ⁽⁴¹⁾. وقد تعرض الجزء المغطى للتخريب بسبب الزلازل فأدخل المهدي بعد ذلك سلسلة من الإصلاحات والترميمات، فأركزت أجزاء المغطى على دعائم إسطوانية الشكل، كان متوسط قطرها 90 سم، وهي مبنية على مداميك حسب ما تبين بعد إزالة الطبقة الجصية التي تغطيها، وهو ما أشار إليه المقدسي بقوله: «وما كان من الأساطين المشيدة فهو محدث»⁽⁴²⁾.

أما سقف المسجد القبلي بحسب وصف ناصر خسرو فهو مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف، وعلى باب المقصورة، وحائطها المطلين على الساحة خمسة عشر رواقاً، عليها أبواب مزخرفة بتيجان الأعمدة والمقصورة، وقوسها وفرشها، وبعدد محاريبها وأروقتها وأبوابها، وما أشتملت عليه جميعاً بدقة تامة، وذكر أن أحد الأبواب الخمسة عشر «بغاية الزين، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب، وقد نقش بالفضة، وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ويقال أنه هو من أرسله من بغداد»⁽⁴³⁾. وفي المسجد الجامع عدد من المشاهد يذكرها المقدسي «محراب مريم، وزكريا، ويعقوب، والخضر، ومقام النبي، وجبرئيل، وموضع النملة، والنور والكعبة والصراط، متفرقة فيه، وليس على الميسرة أروقة»⁽⁴⁴⁾. ويُشير خسرو إلى ميزة معمارية تدل على براعة المسلمين، وهي أن المسجد يستمد إضاءته نهائراً من ضوء الشمس سواءً كانت الابواب مفتوحة أو مغلقة «وحين تفتح الأبواب كلها يُنير المسجد حتى لتظن إنه ساحة مكشوفة، أما حين تعصف الرياح وتمطر السماء تُغلق الابواب؛ فإن النور ينبعث للمسجد من الكوات، وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون»⁽⁴⁵⁾. والجدير بالذكر برجعنا لأغلب مصادرنا المعتمد عليها في هذا البحث من خلال كتب الرحالة أن جميعهم تناولوا المسجد الأقصى من الناحية الفنية، كما أنها لا توفر معطيات كافية من الناحية العمرانية باستثناء البعض منهم كنصر خسرو والمقدسي، في حين المقدسي كان أكثرهم دقة وتفصيلاً في ذلك، وهذا ربما لأنه ابن المدينة والاكثر إحاطة بأحداثها وتفصيلها. ويذكر البلوي بعض المساجد الأخرى الملاصقة للمسجد الأقصى منها مسجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويقع شرقي المدينة، ومسجد عيسى الواقع خارج المسجد الأقصى من ناحية المشرق وله قبتين، وفي غرب المسجد الأقصى مسجد حسن للمالكية يسمى بمسجد المغاربة⁽⁴⁶⁾.

كنيسة القيامة:

أورد الادريسي عدد من الكنائس⁽⁴⁷⁾. في القدس إلا أننا نكتفي هنا بأشهرها وأعظمها وهي كنيسة القيامة أو كما يعرف بكنيسة القمامة⁽⁴⁸⁾ وهي كنيسة كبيرة تتسع لثمانية آلاف رجل، زُين داخلها بالزخارف

والرخام الملون ،كما تزخر جدرانها بصور الأنبياء عيسى وإبراهيم ويعقوب وأبنائهم ،وقد ذكر خسرو قولاً مفصلاً في وصفها ،فنستنتج مما ذكره في سفر نامة التسامح الديني الذي منحه المسلمين لسكانها من الديانات الأخرى فلم يكتفوا بالسماح لهم بالحج ،بل زادوا على ذلك أن سمحوا لهم بإعادة تجديدها حتى أصبحت من أعظم كنائس الشرق في حُسْنِها.

الأودية والعيون:

أورد الرحالة عدد من العيون التي كانت في القدس ومنها ما ذكره خسرو والهروي عن « عين سلوان » بأن مائها مبارك يشفي من الأمراض والاسقام حتى أُوقفت عليها الكثير من الأوقاف وأقيمت حولها الكثير من المباني والبساتين، ونكتفي بوصف الهروي لها بقوله «ماؤها كماء زمزم، وهي تخرج من تحت قبة الصخرة ،وتظهر الوادي قبلي البلد». كذلك من الآبار بئر كنيسة يعاقبة حيث يقال أن المسيح أغتسل منها ،وأمّنت السامرية على يده عندها ويزورنها ويعتقدون بها⁽⁴⁹⁾.

هذا وقد ذكر أغلب الرحالة من الأودية وادي جهنم وتنسب تسميته حسب ما ذكر خسرو لعمر بن الخطاب فيقول «وقد سألت عمن اطلق عليه هذا اللقب ف قيل :إن عمر بن الخطاب أنزل جيشه أيام خلافته في سهل الساهرة هذا ،فلما رأى الوادي قال :هذا وادي جهنم» وبه قبر مريم أم عيسى عليه السلام ،ينزل عليه في ستة وثلاثين درجة، وبه من العمدة المانع والرخام تحت القبة ستة عشر عاموداً من الرخام ،ثمانية حُمر وثمانية حُضر ،وله أربعة أبواب على كل باب ستة عمد من الرخام المانع وبها كنيسة .وهي الآن مشهد لإبراهيم الخليل عليه السلام ⁽⁵⁰⁾. وفي سنة (922 هـ/ 1516 م) وضع السلطان سليم العثماني الملقب بياوز القدس الذي وضع حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق وفي السنة التالية ضم اليه القدس. ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (927 هـ/ 1520 م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً فأقيمت الدروس وحلقات العلم في المسجد الأقصى⁽⁵¹⁾، كما أقام فيها منشآت كثيرة منها سور القدس الذي دامت عمارته خمسة أعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد و أسبله، وعمر كذلك قبة الصخرة⁽⁵²⁾.

الخاتمة:

بعد ومضات جميلة صورتها لنا أعين الرحالة لمدينة الحضارات التي تضم بين جنباتها مقدسات دينية جعلت منها موطن قدم لكل من معتنقي الديانات السماوية الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام. هذا الإرث التاريخي الحضاري الديني خلق منها أهمية عظيمة لذا فقد حرص عدد من الرحالة سواءاً عرب أو أجنب على زيارتها والوقوف على ما تميزت به هذه المدينة عن سواها من المدن وقد تعرفنا مع الرحالة العرب على الشواهد التاريخية والحضارية والدينية .

النتائج:

ختاماً فقد توصلت الباحثة لعدد من النتائج منها:
أولاً: تعد كتب الجغرافيا والرحلات مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ فهي كالمادة الخام بما حوته من معلومات، تشمل كافة المظاهر السياسية والاقتصادية والعمرانية والحضارية والاجتماعية.
ثانياً: امتاز عصر المماليك (1517-1250هـ) بكثرة عدد الرحالة سواء كانت للعلم أو للتجارة أو للحج والعمرة

وغيرها، بسبب التسهيلات التي منحتها دولة المماليك فضلاً عن تأمين الطرق والمرافق العامة التي تخدم ذلك.

ثالثاً: تعد مدينة القدس رمزاً حضارياً بما احتوته عمارتها من الفنون المعمارية والنحت كانت غاية في الإبداع. وذلك عائد لتعاقب الإمبراطوريات والحضارات المختلفة على المدينة . وهو ما لمسناه من إجماع أغلب الرحالة من خلال كتاباتهم عن المدينة.

رابعاً: أقتصر تناول أغلب الرحالة في وصفهم لمدينة القدس من الناحية الدينية لاحتوائها على الأماكن المقدسة. واغفلوا في المقابل التفصيل في المعلومات المتعلقة بالمدينة من حيث سكانها أنشطتهم، مبانيها، تجارتها، وكافة أوجه الحياة بها.

الملاحق



الرواق الابراهيمي



قبة الصخرة والسلسلة وهي جزء من المسجد الأقصى

الهوامش:

- (1) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م ص151.
- (2) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، 1995 م، ج1، ص309.
- (3) نينوى : وهي قرية يونس بن متى، عليه السلام، بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص339.
- (4) الهروي، مصدر سابق، ج1، ص31. عارف باشا العارف، تاريخ القدس، مصر ، دار المعارف، 1951م، ص11. أحمد يوسف القرعي، عروبة القدس في عيون الرحالة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006. ص71؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج3، بيروت، دار التراث، 1387م. ص 607.
- (5) عارف باشا العارف، تاريخ القدس، مصر، دار المعارف، 1951م، ص11 .
- (6) باشا، مرجع سابق، ص36.
- (7) محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي أبو عبد الله، إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م ، ج1، ص93.
- (8) العهدة العمرية : معاهدة كانت بزمان عمر بن الخطاب وبطريق القدس اتفق فيها على شروط تسليم المدينة واعتبرت تلك الوثيقة من الآثار الخالدة الدالة على عظمة تسامح المسلمين وأهمية القدس لديهم ، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ط2، ج3 ، مصر ، دار المعارف، 1976م، ص610-605 .
- (9) باشا، مرجع سابق، ص51 - 52.
- (10) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: 928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، عمان ، مكتبة دنديس، ج1، ص281.
- (11) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة - 1414 هـ ، ج15 ، ص40 - 41 .
- (12) سورة طه : الآية 12 .
- (13) سورة المائدة : 21 .
- (14) الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص281-282؛ الحموي، مصدر سابق، ج5، ص166؛ عارف باشا ، مصدر سابق ، ص54.
- (15) الهروي، الاشارات في معرفة الزيارات ، ج1، ص31.
- (16) الحموي، مصدر سابق، ج5، ص170.

- (17) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، وتوفي سنة 611 هـ، الاشارات في معرفة الزيارات، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423 هـ، ج1، ص34-33.
- (18) العبدري، مصدر سابق، ص228؛ خسرو، مصدر سابق، ص56.
- (19) العبدري، الرحلة المغربية، ص228.
- (20) أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني المعروف بالشريف الادريسي، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، ج1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002. ص358؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص166-165.
- (21) ومنهم الرحالة المغاربة زمن الحكم العثماني في وصفة لمدينة القدس لم يأتي بجديد عما ذكره العبدري. ابي سالم لعياشي، ماء الموائد، ج2، الرباط: المطبعة الحجرية، د.ت. ص217-216.
- (22) القرعي، مصدر سابق، ص58.
- (23) تاريخ القدس، ص65. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المشهورة ب(رحلة ابن بطوطة)، دار صادر، بيروت، د.ت. ص54.
- (24) خسرو، مصدر سابق، ج1، ص56؛ باشا، مصدر سابق، ص65؛ البلوي، مصدر سابق، ص15.
- (25) القرعي، مصدر سابق، ص57.
- (26) سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، اشتراه السلطان حسام الدين لاجين ثم أنقل للسلطان الناصر وشهد معه معارك الخازندار وشقج ضد المغول، تولى النيابة سنة 712هـ، وكانت له أعمال جليلة منها اعمار جامع حكر السماق، إنشاء تربة حمام، وعمر دار للقرآن، وأنشأ بالقدس رباطاً وبالجمله كان كريماً أمر بالمعروف، توفي سنة 714هـ. صلاح الدين خليل ابيك الصفدي، الوافي الوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ج10، بيروت، دارا التراث، 2000، ج10، ص266.
- (27) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج2، ص302؛ أحمد الطرييق أحمد، القدس بحث عن معالم الصورة من خلال الرحلة المغربية، طنجة، سليكي إخوان، 2009، ط1، ص51، 74-73.
- (28) ناصر خسرو، مصدر سابق، ص55، 64-63؛ محمد محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، د.ن. ص161-160؛ محمد بن حوقل البغدادي الموصل، صورة الأرض، ج1، بيروت: دار صادر، 1938م. ص172-171. القرعي، مصدر سابق، ص75.
- (29) سورة الاسراء، الآية 1.
- (30) العبدري، مصدر سابق، ص230.
- (31) القرعي، مصدر سابق، ص51.
- (32) المقديسي، مصدر سابق، ص166.
- (33) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، الدمام، مكتبة المتنبي، 2011م، ص73-72؛ باشا، مصدر سابق، ص88-92.
- (34) العبدري، مصدر سابق، ص230.
- (35) العبدري، مصدر سابق، ص228.

- (36) خسرو، مصدر سابق، ص57.
- (37) الادريسي، مصدر سابق، ص359.
- (38) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج2، عمان: مكتبة دنيس، 2010م، ص13-11، 24؛ المقدسي، مصدر سابق، ص 168-169.
- (39) الادريسي، مصدر سابق، ص360؛ الحنبلي، مصدر سابق، ص 273-272؛ المقدسي، مصدر سابق، ص159، 169؛ العبدري، مصدر سابق، ص232.
- (40) هو المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى، ويقع في منتصف الجهة القبليّة، حيث درجت العادة على إطلاق ام المسجد الأقصى على هذا المبنى تمييزاً له عن مسجد قبة الصخرة والمعالم الأخرى المنتشرة في ساحات المكان. عدنان أبو دية، المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي 648-583هـ/1250-1187م، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن، عشر، عدد2، يونيو، 2010، ص1054؛ وقد سمي بالأقصى؛ لأنه أبعد المساج التي تزار. محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمد الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، غزة: مكتبة السوادي للتوزيع، 2003م، ص195.
- (41) المقدسي، مصدر سابق، ص168.
- (42) المقدسي، مصدر سابق، ص169 - 170.
- (43) خسرو، مصدر سابق، ص61 - 65.
- (44) المقدسي، مصدر سابق، ص169-170.
- (45) خسرو، مصدر سابق، ص61 - 65.
- (46) البلوي، مصدر سابق، 6؛ الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص13-12، 15.
- (47) لما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها . باشا، مصدر سابق ، ص38
- (48) الادريسي، مصدر سابق، ص358.
- (49) الهروي، مصدر سابق، ص33،
- (50) الادريسي، مصدر سابق، ص362؛ خسرو، مصدر سابق، ج1، ص57؛ الهروي، مصدر سابق، ص33.
- (51) العياشي، مصدر سابق، ج2، ص347-346.
- (52) باشا، تاريخ القدس، ص104-103.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- (53) الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني المعروف بالشريف ، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، ج1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
- (54) البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، د.ن، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م .
- (55) البعلي، محمد بن ابي الفتح بن أبي الفضل المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق :محمد الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، غزة، مكتبة السوادي للتوزيع، 2003م، ص195.
- (56) البغدادى، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، القاهرة: دار الحديث، د.ن.
- (57) البلوي، خالد بن عيسى ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، ج1، د.م: اللجنة المغربية الاماراتية المشتركة ، د.ت.
- (58) الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج2، عمان، مكتبة دنيس، 2010م.
- (59) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان، ج1، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، 1995 م .
- (60) الحيحي، محمد بن عبدالله ، الرحلة المغربية، (رحلة العبدري)، الرباط، د.ن، 1968م.
- (61) السيوطي، محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، ج1، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982م .
- (62) الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي الوفيات، تحقيق :أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ج10، بيروت، دارا التراث، 2000م.
- (63) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار التراث، 1387هـ.
- (64) الطنجي، ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاشعار، تحقيق: عبدالهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية ، د.ت.
- (65) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج2، بيروت، دارالكتب العلمية، د.ن.
- (66) الإفريقي ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ.
- (67) المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، سفر نامه، ج1، ط3، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1983م.
- (68) الموصللي، محمد بن حوقل البغدادي ، صورة الأرض، ج1، بيروت، دارصادر، 1938م.
- (69) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي ، الاشارات في معرفة الزيارات ، ج1، ط1، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ.

ثانياً المراجع:

- (1) أحمد الطرييق أحمد، القدس بحث عن معالم الصورة من خلال الرحلة المغربية، ط1، طنجة، سليكي إخوان، 2009م.
- (2) العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، مصر، دار المعارف، 1951م.
- (3) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، الدمام، مكتبة المتنبي، 2011م.
- (4) القرعي، أحمد يوسف، عروبة القدس في عيون الرحالة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006م.

الدوريات:

- (1) الفرائي، عبد الحميد جمال، كتب الرحلات مصدراً لمنشآت العمرانية في فلسطين في القرنين (5-4هـ/ 10 - 11م)، المنهل، مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، د.ت.

إضاءات حول حياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (1133 - 1218هـ/1720 - 1803م) (دراسة تاريخية تحليلية)

باحث ماجستير - قسم التاريخ والآثار - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. خالد جبير جابر الهذلي

مستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على حياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود منذ ولادته سنة 1133هـ/1720م حتى وفاته سنة 1218هـ/1803م، وذلك بتسليط الضوء على حالة البلاد الدينية ومحلت عليها من بدع وخرافات، والتي كانت تحتاج إلى مصلح ديني ينقذها من الجهل وشوائب الشرك. والحالة السياسية التي اتسمت بالتفكك السياسي والصراع الدائم حول السلطة بين الإمارات والقبائل، والذي بدوره جعلها تعيش في حالة خوف ورعب مستمر. والحالة الاقتصادية التي كانوا يعتمدون فيها على عوامل الجذب والخصب لاستقرار أمن وسلامة الحياة في المنطقة. والحالة الاجتماعية التي تتسم بصفة الاستقرار بالنسبة للحضر، وصفة الترحال بالنسبة للبدو. وتتجلى أهمية الدراسة في التحديث عن ولادته التي اختلفت فيها الروايات، وأسرته التي امتد تاريخها إلى وقتنا الحاضر، ونشأته التي تعلم فيها الرماية والفروسية، واهتمامه وطلبه للعلم إذ كان يزور الشيخ محمد بن عبد الوهاب مرتين صباحاً ومساءً مع والده الإمام محمد بن سعود، غير الدروس الخاصة التي كانت تعطى له ولأخواته. وقد اتسم الإمام عبدالعزيز بصفات ميزته عن غيره من الناس، إذ امتاز بالصفات النبيلة، فكان ذا خلق كريم، عطوفاً على الفقراء، ناصراً للضعفاء، كارهاً للظلم والظالمين، شديداً عند حدود الله متواضعاً زاهداً سهلاً، عادلاً حازماً، يحب العلماء، وطلبة العلم وحملة القرآن. وأدت تلك الصفات إلى تكوين رجل أحبه العلماء وعامة الناس، فكان قريباً منهم، ملازماً لهم وقت حاجتهم، قاضياً لحوائج الرعية. وقد كان كثيراً ما يكتب لأهل النواحي يحضهم على تعلم القرآن، ويجعل لهم راتباً، ويعطي كثيراً لرعيته، ويحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن المواقف الأخرى التي امتاز بها. وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي بغية الوصول لحقائق توضح كيفية ظهور تلك الشخصية على مسرح الأحداث، ومناقشة وفاته وأسبابها من خلال المصادر والمراجع الخاصة بتلك الفترة.

كلمات مفتاحية: الدولة السعودية الأولى، حياة الإمام عبدالعزيز، نجد، الدرعية.

Highlights on the life of Imam Abdulaziz bin Muhammad bin Saud (1133-1218 AH/1720-1803 AD) (Analytical historical study)

Khalid Jubayr Jaber Alhuthali

Abstract:

The study aims to identify the life of Imam Abdulaziz bin Muhammad bin Saud since his birth in the year 1133 AH/1720 AD till his death in the year 1218 AH/1803 AD, by shedding light on the country's religious situation with its heresies and superstitions, which required a religious reformer to save it from ignorance and polytheism. The study also highlighted the political situation that was characterized by political disintegration and constant struggle over power between the emirates and the tribes, leaving people in a state of constant fear and terror. It also demonstrated the economic situation in which stability, security and safety of the region depended on factors of barrenness and fertility. Moreover, the study touched on the stable social situation of the urban population compared to the nomadic status for Bedouin. The importance of the study is manifested in talking about the birth of Imam Abdul Aziz (in which the accounts differed), his family (whose history extends to the present day), his upbringing (in which he learned archery and horsemanship), and his interest and desire for knowledge, demonstrated by his recurrent visits to Sheikh Muhammad bin Abdul Wahhab (He visited him twice a day: morning and evening) with his father, Imam Muhammad bin Saud, in addition to the private lessons he and his brothers were given. Imam Abdulaziz was characterized by many noble qualities that distinguished him from other people. He was generous, kind to the poor, supportive of the weak, hateful of injustice and oppressors, strict, humble, ascetic, easy-going, just, and firm. He loved scholars, learners, and those who knew Qur'an by heart. Those traits qualified him to gain the love of scholars and the general public. He was close to them, supportive in time of trouble, careful to meet their needs. He often wrote to the people of the suburbs urging them to learn the Holy Qur'an, giving them a salary if they do. He gave a lot to his subjects, and was keen on advocating good and forbidding evil, in addition to many other traits that distinguished him. The study followed the his-

torical, descriptive, and analytical approach in order to reach facts that illustrate how this character appeared on the scene of events, discussing his death and its causes documenting everything by sources, documents and references related to that period.

Keywords: *The first Saudi state, the life of Imam Abdulaziz, Najd, Diriyah.*

المقدمة:

فعند ظهور الدعوة الدينية واقتنائها بالقوة السياسية، وظهور أسرة آل سعود في القرن الثاني عشر الهجري- القرن الثامن عشر الميلادي على مسرح الأحداث؛ ظهرت لنا دولة ناشئة تمكنت من مد نفوذها من نجد إلى خارج الجزيرة العربية، فاستطاعت هذه الأسرة أن تكون عاملاً مهماً في إبراز تاريخ الجزيرة العربية عامة، ومنطقة نجد خاصة. وتعد مبايعة الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب 1157 هـ/ 1744 م على نصرته دين الله ورسوله ﷺ، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ البذرة الأولى لقيام دولة جديدة تعتمد على منهج ديني وسياسي واضح، يدعو إلى العقيدة الصحيحة، والتمسك بأهداب الدين الحنيف، وبذلك أبطل الأسلوب العشائري الذي كان يحكم به الناس، وحل محله حكم نظامي دستوره الإسلام. ولما للدور الكبير للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من أهمية بارزة في تأسيس الدولة السعودية الأولى، ومساهمته الكبيرة في تركيز دعائم الدولة خلال عهد والده، وخلال عهده، ألقى هذا البحث الضوء على حياة الإمام عبدالعزيز.

أحوال البلاد خلال فترة حكم الإمام محمد بن سعود:

كانت أحوال البلاد الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزيرة العربية عامة وفي نجد خاصة قبل دعوة التوحيد الإصلاحية متردية جداً، وبحاجة إلى مصلح يصلح شأنها، وإلى حاكم يحكم بعدل وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويناصر الضعيف، ويساعد الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ويساهم في نشر الدعوة وسن القوانين العادلة، ويجمع الأمة على التوحيد بالله ﷻ، ودحض البدع والخرافات التي كانت سائدة بين معظم الناس؛ لذا فقد تجسّد فكر الدعوة من الأحوال العامة التي سادت الجزيرة العربية⁽¹⁾، فكانت أوضاع نجد العامة ذات أثر في مسار الدعوة.

أولاً: الحالة الدينية:

حلت الضلالات والبدع والخرافات والأساطير محل القيم الإسلامية الصحيحة، واضمحلت من نفوس معظم الناس تعاليم الإسلام، وتنظيماته الحكيمة، حتى أصبحت نسياً منسياً، ولم يكن هذا خاصاً بمنطقة نجد؛ وإنما شمل معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية؛ بل البلاد العربية بكاملها⁽²⁾. ولقد كانت الأمة في نجد وغيرها في حاجة إلى من يوحدها، وإلى مصلح ديني ينقذها من الجهل وشوائب الشرك، ويوضح للخارجين عن طاعة الله طريقهم المستقيم، وإلى حكومة قوية تعاقب الفسقة، فكانت الدعوة تركز على أساس عظيم؛ هو تصحيح العقيدة الإسلامية وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه، وتطبيق أحكامه وإقامة شعائره الظاهرة والباطنة⁽³⁾. وخلال تلك الفترة استطاع الشيخ محمد إرسال الرسائل الكثيرة التي شرح فيها عقيدته ورد على خصومه، وتبيان أنواع الشرك، وتحقيق إزالة البدع، وقطع الأشجار التي كان يعتقد بها العامة، وهدم القباب المبنية فوق القبور⁽⁴⁾. ولعل

أول مظهر لمحاولات الدعوة هو تصحيح الوضع الديني لدى بادية نجد بعد إعلان ولائها للدولة وبعث العلماء الذين يقومون بدور التوجيه والإرشاد والتعليم لمن لم يكن لديه أية معرفة بمعتقدات وشعائر الدين، كما أن إرسال العلماء لهذا الهدف سمة من سمات انتشار الدعوة وتحقيق سيادة الدولة في نجد عامة⁽⁵⁾. وكان الهدف من ذلك هو الدعوة لدين الله، والعودة بالإسلام إلى نفاذه الأول في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، وإقامة مجتمع إسلامي متكامل يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة؛ ولذا كان على الإمارات النجدية أن تختار أحد أمرين: إما أن تدخل في الدعوة عن قناعة وإيمان، وإما أن يحملها على ذلك عن طريق الجهاد⁽⁶⁾. وكانت الظروف السياسية تقف بجانب الدعوة؛ إذ إن المنطقة في تلك الفترة بعيدة عن أي سلطة قوية؛ ولهذا كانت ميداناً قابلاً لتحقيق كثير من النجاح العسكري دون تدخل خارجي. وكان في بادئ الأمر يدخل الإمارات القريبة منه في الدعوة حتى يأمن جانبها. وكان العامل الديني يأتي في المقام الأول من بين العوامل التي كانت وراء انضمام بعض البلدان أو معارضة البعض الآخر، وقد أثمرت جهود الدولة في ميدان الدعوة؛ إذ أبدت بعض بلدان نجد استعدادها للانضمام للدعوة، بينما عارضت بلدان أخرى⁽⁷⁾. ولقد مرت الدعوة بمراحل؛ وهي: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في حريملاء والعيينة والدرعية. ومرحلة التطبيق العملي لمبادئ الدعوة في العيينة. ومرحلة الجهاد بالسيف في الدرعية⁽⁸⁾. ولعلنا نشير إلى مرحلتين مهمتين؛ وهما:

مرحلة الجهد الفردي: ويقصد بها الفترة التي كان الشيخ يقف فيها وحيداً في الميدان محاولاً كسب الأنصار، وقد بدأها منذ فترة مبكرة وفي أثناء طلبه للعلم.

مرحلة الجهد الجماعي: وهذه المرحلة هي التي لم يعد الشيخ فيها وحيداً؛ إنما أصبح له كثير من التلاميذ والأتباع، وانتقل مبادئه من ميدان الدعوة النظري إلى التطبيق العملي؛ إذ استطاع أن يهدم كثيراً من القباب والقبور والأشجار، وتطبيق الأحكام الشرعية؛ ومنها: حادثة رجم المرأة⁽⁹⁾.

ثانياً: الحالة السياسية:

اتسمت الحالة السياسية في منطقة نجد بالتفكك السياسي والصراع الدائم حول السلطة بين حكام المنطقة من أمراء مدن وشيوخ قبائل، فلم يكن عند ظهور الدعوة الإصلاحية دولة قوية تستطيع أن توحيدها بكاملها وتحكم بالشريعة الإسلامية العادلة، فقد كانت معظم هذه الإمارات والقبائل في صراع دائم فيما بينها، وكانت الحروب مستمرة بينهم؛ مما جعل كل إمارة تعيش في حالة خوف ورعب مستمر⁽¹⁰⁾.

أهم إمارات نجد في تلك الفترة هي:

إمارة آل سعود في الدرعية: وهي أقدم الإمارات في نجد، تأسست على يد مانع المريدي⁽¹¹⁾ وعلي بن درع⁽¹²⁾ حوالي عام 850هـ/1446م. وهي أكثر الإمارات استقراراً؛ خاصة في فترة ولاية الإمام محمد بن سعود عام 1139هـ/1744م.

- إمارة آل معمر في العيينة: وهي من أقدم وأقوى الإمارات في نجد أيضاً؛ خاصة في عهد أميرها عبدالله بن محمد بن معمر⁽¹³⁾، الذي تولى الإمارة في 1096هـ/1685م إلى 1138هـ/1726م.

- إمارة دهام بن دواس⁽¹⁴⁾ في الرياض.

- إمارة آل زامل⁽¹⁵⁾ في الخرج واليمامة.

- إمارة آل حجيلان (16) في القصيم.

- إمارة آل علي (17) في حائل (18).

وقد بذلت كثير من الجهود لتوحيد منطقة نجد استمرت أكثر من أربعين عامًا، ويبدو أن من أسباب ذلك: ما تعمق في نفوس كثير من أمراء بلدان المنطقة ومشايخ قبائلها من نزعة استقلالية محلية وشعور سلبى تجاه الوحدة الإقليمية. وحدثت كثير من الوقائع خلال مراحل التوسع لتوحيد نجد، شهدت فيها انضمام بلدان نجدية إلى الدولة الجديدة بطريقة سلمية، وشهدت أيضًا حدوث مشكلات داخلية متعددة؛ أولها: مشكلة الأمير النجدي عثمان بن معمر الذي كان من أوائل من ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب⁽¹⁹⁾.

فاتضح موقف الإمارات النجدية للإمام محمد بن سعود، وكان عليه أن يجمع شتات الإمارات المؤيدة للدعوة حول الدرعية، وبذلك استطاع أن يغير ميزان القوى لصالحه⁽²⁰⁾. ولقد سلك الإمام مسلكًا سياسيًا حكيمًا، فكان كلما استولى على بلد ولى عليه أحد أبنائه. وكانت الصلة بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود سببًا في اتساع ملك آل سعود وتمكين نفوذهم. وعلى ضوء ذلك أصبح التفكير السياسي في نجد سمة طبيعية، فعدت كل بلدة تشكل إمارة مستقلة بذاتها، لها علاقتها الودية والعدائية مع من يجاورها من إمارات، وتحتّم على كل أمير وشيخ أن يجمع قواته وأعوانه ويصبح في حالة استعداد عسكري دائم للدفاع عن إمارته⁽²¹⁾. ولقد كان لقبائل البادية دور سياسي كبير في نجد؛ سواء على حاضرتها أو باديتها؛ إذ كانت تشكل السواد الأعظم في ذلك المكان، وقد اكتسبها الإمام محمد بن سعود إلى جانبه، فاستطاع تشكيل قوات كبيرة ساهمت في انتشار الدعوة⁽²²⁾، وكان يبقى أمراء القبائل في مناصبهم، وفي حال تمرد أحد منهم عزله ونصب أخاه أو ابن عمه مكانه؛ وذلك لأن القبائل لا ينقادون أتم الانقياد إلا لكبير منهم، ويجعلون في كل قبيلة قاضيًا أو مفتيًا وإمام صلاة⁽²³⁾. ومن الأساليب الناجحة التي اتبعتها الدولة السعودية في أعمالها العسكرية: سرعة الحركة، وسريتها، وتضليل الخصوم، إضافة إلى بناء القصور أو القلاع قرب البلدان التي تطول مقاومتها؛ لمضايقتها اقتصاديًا وعسكريًا، فكانت تلك أحد الأساليب التي ساهمت في فرض السياسة السعودية⁽²⁴⁾. وفيما يبدو أن القوة كانت هي الحل الوحيد لكثير من المشاكل؛ إذ بالقوة يمكن الحصول على الغنائم، وفرض سيطرة الأمير والإمارة، فكان قيام الحركة الإصلاحية مهمًا في ذلك الوقت؛ وخاصة من الناحيتين الدينية والسياسية. وبإمكان أي حركة سياسية محلية أن تقوم في نجد، وأن تحرز نجاحًا أوليًا قبل أن تلتفت إليها الأنظار الخارجية؛ خاصة أن النفوذ العثماني في الجزيرة العربية قد تقلص إلى درجة كبيرة آنذاك⁽²⁵⁾. وتميزت فترة حكم الإمام محمد بن سعود بانتشار الدعوة وما صاحبها من تصاعد لنفوذ الدرعية السياسي في نجد على حساب القوى المجاورة، فاستمرت الدولة السعودية في الازدياد والتوسع، فكلما ازدادت الدولة تناقص خصومها وتراجعوا. فترك الإمام محمد لأبنائه وأحفاده نواة دولة أصبحت مرهوبة الجانب بين القوى النجدية وبعض القوى المجاورة، وانتشر دعايتها وأنصارها في البلدان والقبائل النجدية المختلفة يهدون السبيل لانضمامها واتحادها مع الكيان الجديد⁽²⁶⁾.

ثالثًا: الحالة الاقتصادية:

كانت الموارد في معظم الجزيرة العربية عامة ومنطقة نجد خاصة محدودة جدًا، وكان غالب الاعتماد على المطر؛ إذ إن المطر يعتبر من أهم العوامل الاقتصادية المؤثرة على حياة السكان في تلك المناطق؛ إذ إن

نزول الأمطار يوفر لهم المياه في الآبار والعيون، فتزدهر الزراعة في الأودية والواحات التي يعيش عليها سكان المدن والقرى، وأيضاً تكثر المراعي التي يستطيع من خلالها سكان المناطق الصحراوية الرعي والاستقرار في مكان واحد⁽²⁷⁾. وتحكم عوامل الجذب والخصب في استقرار وأمن وسلامة الحياة في المنطقة؛ ذلك لأن حالة الجذب تجعل البدو يغير بعضهم على بعض، أو على من حولهم من الحاضرة في المدن والقرى؛ للحصول على ما يحتاجونه من مواد غذائية كالتمور والحبوب، فيأخذ سكان المناطق الذين تتوفر لديهم المحاصيل بكثرة حذرهم الشديد لأي اعتداء خارجي مفاجئ؛ لصد أي تحرك يهدف إلى سلب ما لديهم من موارد⁽²⁸⁾. ولقد كان سكان الدرعية عند بداية الدولة السعودية الأولى قبلي العدد، وكانت مواردها الاقتصادية محدودة، وبعد أن أصبحت عاصمة لتلك الدولة وفد إليها كثير من أنصار دعوة الشيخ محمد، وكان هؤلاء الوافدون من طبقات مختلفة؛ لكن كثيراً منهم كانوا فقراء، ومع مرور الوقت ازداد عدد السكان ازدياداً كبيراً، واتسعت رقعتها، وأصبحت مقصد طلاب العلم، وقبلة التجار، وموئل الباحثين عن الرزق؛ بسبب انتعاش نشاطها الاقتصادي⁽²⁹⁾.

كما اكتسبت تلك البلدة أهمية بكونها مقر حكم أئمة الدولة، ابتداء بالإمام محمد بن سعود، وقدر عدد سكانها بثلاثين ألف نسمة، ونشطت أسواقها بحركة البيع والشراء، وازدهر مركزها التجاري، فكانت القوافل تنطلق منها وتعود إليها محملة بالبضائع والسلع من المناطق والبلدان المختلفة⁽³⁰⁾. وكان التواصل التجاري مرتبطاً بحسب وضع الناس ذلك الوقت داخلياً ومع جيرانهم. وأهم وسيلة نقل تجارية في تلك الفترة: القوافل؛ إذ تعتبر شريان الحياة الاقتصادية، وكانت تحت حماية القبائل؛ إلا أن الاعتراض وارد الحدوث⁽³¹⁾.

أحدثت الدولة السعودية نظاماً اقتصادياً مشابهاً للنظام الاقتصادي للدولة الإسلامية في الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام، كان له أثر بعيد على حياة سكان المناطق التي خضعت لنفوذها، ونظمت أمور هذه المناطق الاقتصادية والمالية، وأصبح للدولة موارد دخل معلومة، وأوجه صرف معلومة، وكان هناك موظفون مسؤولون على كل من أمور الدخل وأمور الصرف، فأصبح كل قادر يشارك في دخل الدولة بدفع الزكاة والضرائب الشرعية⁽³²⁾. وقد كان بيت المال الذي تتكون حصيلته من موارد الدخل يقوم بالصرف على كل الأمور التي تحتتمها الشريعة الإسلامية والتضامن الاجتماعي. وفي ظل هذا النظام الاقتصادي أمن كل فرد على عيشه وعيش أسرته. وبامتداد نفوذ الدولة وانتشار الأمن بين ربوعها راجت التجارة الداخلية وازدهمت أسواقها، وازدهر اقتصادها، فكان للتغيير الاقتصادي الذي أحدثته الدولة السعودية الأولى -بلا ريب- بالغ الأثر في حياة معظم سكان الجزيرة العربية⁽³³⁾. ونشير إلى أن القبائل كانت تعتقد أن الزكاة صورة من صور الولاء السياسي؛ إلا أن أئمة الدولة حرصوا على تركيز المفهوم الشرعي لهذا الركن، فالزكاة من أهم الركائز الاقتصادية في الإسلام. ونظراً لما كانت تمارسه القبائل من أخذ الإتاوات من الممارين بمواطنهم من حجاج أو قوافل تجار أو عابري سبيل فقد منعت الحكومة كل تلك الإتاوات واستبدلت بها الزكاة الشرعية⁽³⁴⁾. ومن أهم مصادر دخل الدولة:

الزكاة:

وفي طليعة ما يُزكى الثروة الحيوانية كالإبل والغنم، والمحاصيل الزراعية من تمر وحبوب، وزكاة النقدين الذهب والفضة، وزكاة عروض التجارة، وغيرها⁽³⁵⁾.

الغنائم:

خلال نشر الدعوة وكثرة الغزوات والانتصارات كانت الدولة تأخذ خمس الغنائم التي تغنمها من الخصوم، فيوزع الباقي على أفراد الجيش المحارب وفق أحكام الشريعة. وأيضاً الفيء⁽³⁶⁾، ويدخل الفيء كله إلى بيت مال الدولة.

العقوبات:

منها: النكال لنكث عهد أو مطاولة حرب. ومنها: المعاقبة على الإخلال بالأمن، أو عدم الوفاء بالتزامات التجنيد. وازدهار اقتصاد الدولة ينعكس نسبياً على أوجه إنفاقها، فينفق على الهدايا والهبات والضيافة؛ لأنها من المتطلبات الضرورية للحكم، ويتم صرف مرتبات على الولاة والقضاة وعمال الزكاة والحرس في العواصم والحصون العسكرية، والإنفاق على الغزوات، ومكافآت للمعلمين وطلاب العلم، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ومن تحل بهم الكوارث⁽³⁷⁾.

رابعاً: الحالة الاجتماعية:

كان السكان في الجزيرة العربية ينقسمون إلى قسمين رئيسيين؛ هما: البدو، والحضر. فالبدو هم الذين يعيشون في بيوت من الشعر، ويرتحلون من منطقة لأخرى طلباً للمرعى لأغنامهم وإبلهم ومواشيهم، ويمتازون بالخشونة والصبر وقوة التحمل، وهم أكثر عدداً من سكان الحاضرة⁽³⁸⁾.

أما الحضر: فهم سكان المدن والواحات والقرى، ويتمتعون بصفة الاستقرار، ويعملون عادة بالزراعة والتجارة والصناعة اليدوية المحدودة، وكانت لهم صلات تجارية واجتماعية وثيقة مع البادية. ومعظم أصول الحضر من البادية؛ لكن استقرارهم في المدن والواحات والقرى أعطاهم صفة التحضر والاستقرار، ومعظم الحضر ينتمون إلى قبائل عريقة⁽³⁹⁾.

فلكل من البدو والحضر عاداتهم الاجتماعية التي تختلف باختلاف البيئة، فما يعتاده أهل البادية ويتعارفون عليه قد لا يلقى قبولاً واثلاً لدى أهل الحاضرة، فكانت الفوارق الاجتماعية مختلفة بين القبائل وبين الحضر والبدو⁽⁴⁰⁾. ويخضع البدو لتنظيمات قبلية وأعراف وتقاليدها بعضها يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وينقسم البدو إلى عدة قبائل تحتل مناطق محدودة، ولكل قبيلة شيخ له السلطة الكاملة على أفراد قبيلته، وهو المسؤول عن كل ما يحدث في القبيلة، وعليه يترتب الدفاع عن أفراد قبيلته عندما تتعرض لأي أخطار من قريب أو بعيد، وعليه أيضاً تقوم مسؤولية تنظيم أمور القبيلة؛ سواء ما يتعلق منها بالقبيلة نفسها، أو بعلاقتها بالقبائل المجاورة له⁽⁴¹⁾. وعليه أيضاً المحافظة على سمعة القبيلة ومكانتها بين القبائل، وقد يلجأ بعض شيوخ القبائل إلى تحكيم بعض الأعراف والتقاليد في الأمور الخاصة بالقبيلة جهلاً منه بأحكام الشريعة الإسلامية. أما بالنسبة لسكان المدن والواحات والقرى فإنهم يخضعون لأمر أو حاكم، ويعتبر صاحب السلطة العليا في إدارة شؤون المدينة أو الواحة أو القرية، ومن أهم مسؤولياته: نشر الأمن والعدل في مدينته أو قريته، وصد الأخطار عن السكان الذين هم تحت حكمه قدر المستطاع⁽⁴²⁾. والبادية هي الأصل الاجتماعي لأي وجود حضري في أي أمة وخاصة العرب؛ كمال قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وأوصيه بالأعراب خيراً؛ فهم أصل العرب، ومادة الإسلام»⁽⁴³⁾. وتعتبر هذه الحقيقة من أبر معالم الاجتماع التاريخي؛ إذ إن البدو أصل للحضر، وسابقون عليهم، والمراحل الأولية للتحضر ناشئة عن

البداوة؛ حيث تتداخل تلك المراحل بالمرحلة الأخيرة للبدو، فيحدث أن يمارس البدوي في البداية حياة متداخلة بين البداوة والتحضر، حتى إذا تغلبت مظاهر التحضر تناسى باديته، وعاش في القرى والبلدان، وأصبح حضرياً بطبعه المكتسب، بدوياً بأصله ومنشئه⁽⁴⁴⁾.

على كل حال كان سكان المدن أكثر التزاماً بالأحكام الشرعية من البادية، ويعتمدون في تطبيق هذه الأحكام على بعض العلماء كمدرسين وقضاة ودعاة. والحياة في المدينة مستقرة وثابتة، وتحيط بكل مدينة أسوار منيعة عليها بوابات تفتح نهائياً فقط؛ وذلك لحماية المدينة من أي اعتداء خارجي⁽⁴⁵⁾.

لذا فقد كانت الأمة في نجد بحاجة إلى من يوحدتها، وإلى حكومة تعاقب الفسقة، وتطبق أحكام الشريعة الإسلامية، وتنشر الأمن والاستقرار والطمأنينة بين شعوب المنطقة⁽⁴⁶⁾. فاستطاع آل سعود نتيجة تأييدهم لمبادئ الدعوة إقامة دعائم مجتمع واحد متماسك ومتراپ اجتماعياً يجمع بين القبائل والبلدان المتفرقة تحت لواء واحد. وما من شك أن منطقة نجد في تلك الفترة كانت تشكل وحدة اجتماعية مميزة؛ تشابه عاداتها وتقاليدها، وتتماثل مظاهرها الاجتماعية، وما ينقصها إلا إيجاد مجتمع موحد يجمع شتات بلدانها وقبائلها بالرغم من وجود بعض الاختلافات في التفاصيل الدقيقة بين إقليم وآخر داخل منطقة نجد؛ بل أحياناً بين بلد وآخر في هذه المظاهر؛ ولكن الاختلافات لا تؤثر في تلك الحقيقة الاجتماعية التاريخية⁽⁴⁷⁾. وعند اكتمال دعائم هذا المجتمع اندثرت كثير من العادات التي كانت تشوب العلاقات الاجتماعية قبل قيام الدولة، وأصبح كل فرد يشعر أنه عضو في مجتمع أكبر، له خصائصه التي تميزه، وأصبح يشعر بأن عليه التزامات لا بد أن يوفي بها للمحافظة على هذا الكيان الاجتماعي، وعدم التخلف عن أداؤها، نظير الحقوق التي تقدمها له الدولة؛ من حماية وضمانات اجتماعية كافية لأمنه وأمن أسرته. ونتيجة تطبيق الأنظمة التي وضعتها الدولة حدث تغير اجتماعي كبير في العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة بين أفراد المجتمع من قبل⁽⁴⁸⁾.

ولادته ونشأته:

أولاً: ولادته:

ولد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في بلدة الدرعية (قاعدة إمارة أبيه)⁽⁴⁹⁾، ولقد اختلف القول في السنة التي ولد فيها الإمام عبدالعزيز، فيذكر ابن بشر وابن عيسى في أحوال سنة 1133هـ/1721م: « وفيها ولد عبدالعزيز بن محمد بن سعود »⁽⁵⁰⁾. ويخالف الزركلي⁽⁵¹⁾ وجون فيليبي في سنة الولادة، فيذكرون أنه ولد في عام 1132هـ/1720م⁽⁵²⁾. ويرى الباحث أن الاختلاف يمكن أن يكون اختلافاً نسبياً؛ إذ إن التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي يختلفان باختلاف الأشهر والأعوام، وربما استقصى ابن بشر ما وجده من لسان السكان، واتبعه على ذلك ابن عيسى⁽⁵³⁾، أما بالنسبة لخير الدين الزركلي وجون فيليبي فلم يجد الباحث ما استدلا به على قولهما. وقد اطلع الباحث على ما ذكره ابن ربيعة⁽⁵⁴⁾ وابن عباد⁽⁵⁵⁾ في أحوال سنة 1132-1133هـ/1720-1721م ولم يذكر فيها أي معلومات تخص ولادة الإمام عبدالعزيز. وأيضاً ابن غنام لم يرد لديه ذكر لولادة الإمام. والراجح ما ذكره ابن بشر وابن عيسى أن الولادة سنة 1133هـ/1720م.

ثانياً: نشأته:

قال ابن بشر: «واعلم أن أهل نجد وعلماءهم القديمين والحديثين لم يكن لهم عناية بتاريخ أيامهم وأوطانهم، ولا من بناها، ولا ما حدث فيها، وسار منها وسار إليها، إلا نواذر يكتبها بعض علمائهم». ويذكر أيضاً: «لأنهم إذا ذكروا السنة قالوا: قتل فيها فلان بن فلان، لا يذكرون اسمه ولا سبب قتله...»⁽⁵⁶⁾. والباحث

في تاريخ نجد يجد أن ذلك معدوم في تاريخهم. وقد نشأ الإمام عبدالعزيز وترعرع في كنف والديه وبين إخوته، ولا بد لنا من ذكر أسرته لمعرفة حالة نشأته.

والده:

محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، وهو الإمام الأول للدولة السعودية الأولى، وأول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة. ولد محمد بن سعود بالدرعية عام 1100هـ/1687م. وكان للإمام زوجتان: الأولى: موزي بنت أبي وهطان من آل كثير، والثانية: ابنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وله من الأولاد أربعة⁽⁵⁷⁾، قتل منهم اثنان قبل وفاته؛ وهما: فيصل وسعود، قتلًا في معركة دارت بين محمد بن سعود وأمير الرياض دهام بن دواس، وخلف اثنين آخرين؛ هما: عبدالعزيز وعبدالله⁽⁵⁸⁾.

والدته:

ذكرت الجوهرة المنيع في رسالتها عن الإمام عبدالعزيز: «ويتبادر إلى الذهن سؤال عن والدته الإمام عبدالعزيز من هي؟ وإلى من تنسب؟ وفي ضوء ما توفر لنا من المصادر لا نجد إشارة صريحة إلى والدته الإمام عبدالعزيز، وإن كان عدد من تلك المصادر يشير إلى زوجة الإمام محمد بن سعود التي تدعى موزي بنت أبي وطبان، وتميزت إلى جانب الحكمة بسداد الرأي وبعد النظر، فرمًا تكون هي والدته الإمام عبدالعزيز»⁽⁵⁹⁾.

إخوته:

كما ذكرنا سابقًا أن للإمام عبدالعزيز من الإخوة ثلاثة؛ وهم: فيصل وسعود وعبدالله، أما فيصل وسعود فقد قتلًا - كما ذكرنا سلفًا -، وعبدالله بقي بجوار والده وأخيه عبدالعزيز، وكان عونًا لأخيه في كثير من المعارك والغزوات، وقد قاتل معه أشد القتال، وقاتل الفرسان والأبطال، واشتهر بالبسالة والشجاعة⁽⁶⁰⁾.

نشأته:

كان عمر الإمام عبدالعزيز حين تولى والده الإمارة قرابة ست سنوات، فكانت نشأته وتربيته لا تختلف كثيرًا عن نشأة أمثاله من أبناء حكام الإمارات النجدية في تلك الفترة، فكان غالب اهتمامهم أن يعلموا أبناءهم الفروسية والرماية، فضلًا عن أن ظروف الحياة في ذلك الوقت كانت تفرض على الحكام تكوين أبنائهم على الرماية والفروسية بغرض الدفاع عن بلدانهم، وتهيئتهم لتحمل أعباء الحكم والقيادة⁽⁶¹⁾.

طلبه للعلم ومواقفه وصفاته وتولييه الإمامة:

أولاً: طلبه للعلم:

قبل الدعوة كانت هناك حركة علمية متنامية لا بأس بها؛ مثل: الجهود الفردية لسكان المنطقة، ووقف بعض العلماء، والرحلة إلى طلب العلم داخل وخارج نجد، وحرص بعض العلماء وطلبة العلم على توفير الكتب العلمية، واستضافة بعض العلماء المشهورين. فالدولة السعودية منذ قيامها هي دولة تعليمية الجوهر، يركز فيها الجهاد على التعليم ونشر الدعوة الإصلاحية، مع توفر عوامل أخرى ساهمت في تأسيس قاعدة التعليم، وتوسيع نطاقه على مستوى الدولة⁽⁶²⁾؛ وأبرز تلك العوامل هي:

تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية على التعليم.

إنفاق الدولة الكبير على التعليم، وتشجيعها للعلماء وطلبة العلم.

اتصال علماء الدولة بغيرهم من العلماء في المناطق الأخرى.

تأثير المعارضة الفكرية للدعوة الإصلاحية⁽⁶³⁾. وذكر ابن غنام أن «الأمير عبدالعزيز -حفظه الله تعالى- كتب له - للشيخ محمد بن عبد الوهاب- وهو إذ ذاك في بلد العيينة يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام»⁽⁶⁴⁾. فيتبين لنا مدى حب وشغف الإمام عبدالعزيز للعلم وحماسه للتعليم منذ الصغر؛ إذ إنه بعد قدوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية واتفاقه المشهور المسمى بـ(ميثاق الدرعية) مع الإمام محمد بن سعود أصبح الإمام عبدالعزيز أحد تلاميذ الشيخ، وكان لدعم الإمام والشيخ أكبر الأثر في تشجيع العلم والحث عليه⁽⁶⁵⁾. ويقول ابن بشر: «ولما استوطن الشيخ الدرعية، وكان أهلها في غاية الجهالة، ورأى ما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر، والتهاون بالصلوات والزكاة، ورفض شعائر الإسلام؛ جعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنى (لا إله إلا الله) ...»⁽⁶⁶⁾.

فبمجرد عقد الاتفاق نجد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يبادر إلى عقد حلقات الدروس في الدرعية، وهذه الدروس في البداية كانت عن العقيدة وتعليم الناس معنى التوحيد ومعنى كلمة لا إله إلا الله. ولتحقيق أهداف الدعوة شرع الشيخ وحكام الدرعية في بناء مسجد كبير يتسع لجميع سكان الدرعية؛ ليؤدوا فيه الصلاة جماعة، ولإقامة حلقات تعليمية للقراءة والمطالعة فيه⁽⁶⁷⁾. وكان الشيخ يلقي درس التوحيد في ذلك المسجد صباح ومساء كل يوم، ويأمر النساء والصبيان بحضور حلقات الدرس ليستمعوا قواعد الحديث، وكان الإمام عبدالعزيز من أحرص الناس على حضورها⁽⁶⁸⁾؛ ذلك أن الإمام محمد بن سعود وأبنة عبدالعزيز وبقية أولاده معتادين على زيارة الشيخ مرتين صباحاً ومساءً، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنفه⁽⁶⁹⁾. وأيضاً كان أبناء الإمام محمد يعطى لهم دروساً خاصة على حدة في التاريخ وأصول الحكم لتهيئتهم دينياً وسياسياً وتاريخياً حتى يكونوا على درجة من الكفاءة تمكنهم من تسيير دفة الحكم⁽⁷⁰⁾.

جد الإمام عبدالعزيز في طلب العلم والتعلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلازمه وحرص على التعلم منه وحضور حلقاته⁽⁷¹⁾، وكان معتزاً بزعامته، واعياً لدعوته، سريعاً في تحقيق رغباته؛ حتى أصبح من أقرب الناس إلى قلب الشيخ، وأكثرهم تمسكاً بمبادئه، واحتراماً له، واستجابة لنصحه وتوجيهه، فأحبه الشيخ حباً كبيراً، وكان يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة ثناء كثيراً⁽⁷²⁾. وكان متفقهاً في الدين، واسع الاطلاع، وله معرفة بالحديث، وقرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنيه⁽⁷³⁾. استمر الإمام عبدالعزيز مجداً في طلب العلم وأخذ من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد تخرج على يدي الشيخ عدد كبير من العلماء الأجلاء؛ منهم: الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود⁽⁷⁴⁾. وكما رأينا فيما سبق أن الدعم المعنوي والمادي وحث الناس على العلم تكون مخرجاته مثمرة، ويبدو للباحث أن طلب الإمام عبدالعزيز للعلم وسعيه للتفقه فيه هو هبة من الله ﷻ؛ إذ إن علمه كان له الأثر الكبير على شخصيته حين كان ملازماً لوالده وبعد توليه الحكم، ومدى تأثير ذلك على سياسته التوسعية، ونرى لاحقاً أن الإمام عبدالعزيز اجتمعت فيه الشجاعة والحكمة والرحمة والحلم والكرم، وهذه الصفات غالباً ما تجتمع لدى أتقياء الناس.

ثانياً: مواقفه وصفاته وتولييه الإمامة:

امتازت شخصية الإمام عبدالعزيز بصفات نبيلة، فكان ذا خلق كريم، عطوفاً على الفقراء، ناصراً للضعفاء، كارهاً للظلم والظالمين، شديداً عند حدود الله، متواضعاً زاهداً سهلاً، عادلاً حازماً، يحب العلماء

وطلبة العلم وحملة القرآن، ويحب الفقراء والمساكين. وأدت تلك الصفات إلى تكوين رجل أحبه العلماء وعامة الناس، فكان قريباً منهم، ملازماً لهم وقت حاجتهم، قاضياً لحوائج الرعية.

مواقفه:

للإمام عبدالعزيز العديد من المواقف المشرفة؛ ومنها: الاهتمام بالعلم وإنفاقه عليه، فاهتم الإمام عبدالعزيز بالعلم والعلماء وطلبة العلم، فكان له حلقات للتعليم بعد الفجر في جامع الطريف، وبعد الظهر وبعد المغرب، فيكون بين معلم أو متعلم⁽⁷⁵⁾. «وكان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عند المعلم يصعدون إليه بالواحه، ويعرضون عليه خطوطهم، فمن تحسن منهم خطه أعطاه عطاء جزيلاً، وأعطى الباقين دونه»⁽⁷⁶⁾. وقد «كان كثيراً ما يكتب لأهل النواحي يحضهم على تعلم القرآن وتعلم العلم وتعليمه، ويجعل لهم راتباً في الديوان، ومن كان منهم ضعيفاً يأمره أن يأتي إلى الدرعية ويقوم بجميع أنوابه»⁽⁷⁷⁾. فهذه من المواقف التي تدل على دعمه للعلم مادياً ومعنوياً، وتشجيع الصبيان على حب التعلم، وصرف مرتبات لأهل النواحي لحثهم على التعلم، والاستمرار فيه، والمواظبة على حضور حلقاتهم والانتفاع منها. ومن مواقفه أيضاً: كان يتصدق ويعطي كثيراً لرعيته، ولوفوده وأمرائه، وللقضاة وأهل العلم وطلبته، وأئمة المساجد والمؤذنين ومعلمي القرآن الكريم، حتى إنه كان يتصدق ويعطي لأئمة البلدان ومؤذنيهم، وكان في ليالي رمضان يرسل قهوة لأهل الصلاة. وكان يرسل الصدقات إلى أهل النواحي، لكل بلدة مبلغ معين من المال، فتسلم هذه الأموال إلى عماله في البلاد، فتوزع على الفقراء والمساكين واليتامى وطلبة العلم ومنسوبي المساجد⁽⁷⁸⁾. وكان الإمام حريصاً على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر. ومن مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تأسيسه لنظام المطاوعة، وإرسال القضاة إلى المناطق المختلفة لنشر العدل وتحكيم الشريعة، فهو أول من عين قضاة في أقاليم الدولة السعودية، وكان اختياره للقضاة يركز على أقدرهم وأشهرهم في ممارسة القضاة، وأعدلهم في الحكم والفصل في القضايا، ولهم رواتب تصرف من بيت المال⁽⁷⁹⁾. ومن مواقفه أيضاً: يقول ابن غنام في حوادث سنة 1197هـ: « وفيها غلا الزاد، وسقموا أهل نجد من الجوع، واستمر ذلك سنين، ومات من ذلك كثير من النساء والرجال والأطفال والبهائم، فأمر عبدالعزيز جميع البلدان أن أهل كل بلد يحصون ما عندهم من مساكين وضعاف ويقىتونهم من الطعام، فامثلوا لأمره، فأحسنوا إليهم خصوصاً المحتاجين والأرامل واليتامى، ولم يزل على تلك الحالة مستمراً حتى كشف الله تعالى عن الخلق هذا الضر»⁽⁸⁰⁾. وقد تبين للباحث أن غالب مواقف الإمام عبدالعزيز دلت على حرصه على تثقيف وتعليم رعيته، وأداء الأمانة الموكلة إليه تجاههم، وإنفاق المال على المعلمين؛ ليستمروا في العطاء، وأيضاً صرف مكافآت لطلبة العلم؛ ليجدوا ويجتهدوا في طلبه، وإرسال القضاة إلى خارج نجد وداخلها وصرف رواتب لهم؛ لكي يطبقوا شرائع الله ﷻ. هذا وقد ذكرنا سابقاً أنه كان يقدم المعونات لأهل النواحي، ويرسل العطايا والصدقات لأهل البلدان.

صفاته:

وقد امتاز الإمام بصفة التواضع، فكان متواضعاً في مشربه ومأكله، وكان يحب الجلوس على الأرض تواضعاً، ولا يأكل الطعام وحده، فإذا صلى صلاة الظهر نظر في جوانب المسجد، فمن وجده هناك من عابري السبيل أمره بالذهاب معه إلى البيت ليأكل الغداء معه. وكان لا يرد من يدعوه للأكل حتى ولو كان على تمر.

ويستحسن مصاحبة المترددين إليه من الأوغان والترك أهل بخارى، ويسألهم عن حكاهم، ومحاصيل بلادهم، وأطوار أهلها. وكان يقول: «ينبغي أن يسلك الإنسان سلك التواضع؛ فإن الكبرياء لله ⁽⁸¹⁾». وكان لباسه وسلاحه كعموم الناس لا تظهر عليه ملامح الزينة والترف، يقول ابن بشر: «كان -رحمه الله- لا يكثر في لباسه ولا سلاحه؛ بحيث إن بنيه وبني بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة، ولم يكن في سيفه شيء من ذلك إلا قليل، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس ويصلي فيه صلاة الضحى» ⁽⁸²⁾. فكان تقيًا حريصًا على العبادة والطاعة. ويذكر العجلاني أن الجنرال فيفيان قال في عبدالعزيز: «إنه كان يجمع في أحسن مزاج الشجاعة والحكمة، وهما صفتان عظيمتان لا بد لكل فاتح كبير من التحلي بهما». وقد كان -رحمه الله- حقًا فاتحًا عظيمًا، وقائدًا حليمًا، وملكًا رحيماً، وإنسانًا كريمًا، وسيرته من أنبل السير وأجدرها بأن يتدارسها الناس ⁽⁸³⁾.

فكان الإمام يهتم بالجواهر الثمين، فالمظاهر بالنسبة له زائلة لا تحتاج إلى عناية أو اهتمام، لا يميل إلى الظهور أمام الرعية بأبهة الكم وترف الإمارة، كان تقيًا كل همه في الحياة عمل صالح يقابل به الله؛ من إصلاح وتطهير ونشر للدين في كل بقعة، وأمن للطريق، وضرب على أيدي اللصوص وقطاعي الطرق، وكان قد فرض عقوبات مادية ومالية وبدنية عليهم؛ تأديبًا لهم وزجرًا ⁽⁸⁴⁾، فخاف سكان الحاضرة والبادية من صرامته العادلة، ولم يتمكنوا من الفساد في أرض الله، فارتقت البلاد تجاريًا واقتصاديًا في أيامه. ومن سجاياه النبيلة: إكرامه للعلماء ومحبة الرعية في وقت كان العلماء فيه موضعًا للسخرية والاستهزاء والأذى، معطيًا كل إنسان حقه، ناظرًا إلى الجميع نظرة العطف والتقدير ⁽⁸⁵⁾.

كان تقيًا يخاف الله، ويوصي بتقوى الله، وعندما يرسل عماله لجمع الزكاة يوصيهم بأخذ الزكاة على الوجه المشروع، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال ودينها؛ بل من الوسط، إلا من غيب من إبله أو غنمه شيئًا عن الزكاة فتؤخذ منه الزكاة والنكال، فكان أئمة الدولة السعودية يأخذون الزكاة بالوجه المشروع، ويتقون الله في حقوق الناس ⁽⁸⁶⁾. وقد كانت الدولة في عهده آمنة مطمئنة؛ إذ كان يتمتع بصفات الحكمة والعدل والحكمة السياسية؛ ومن أمثلة ذلك: السياسة السلمية في التعامل مع حكام الحجاز، وقد أرسل الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى والي مكة آنذاك أحمد بن سعيد الشريف الذي تولى عام 1184هـ/1770م رسالة مع الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين وعددًا من الهدايا عام 1185هـ/1771م، فسلم الرسالة للوالي، وناظر الشيخ علماء مكة في عدة مسائل ⁽⁸⁷⁾. ومن محاولاته السلمية عام 1197هـ/1783م؛ أنه أهدى إلى سرور والي مكة خيلًا وركابًا، وكرمه بذلك وشرفه، وكان مقصده من إهداء النفيس للوالي: هو الرخصة لأهل الإسلام في أداء خامس أركان الدين الذي منع عنهم سنين، فجاء الأمر بالسماح لهم بالحج، فحجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة ⁽⁸⁸⁾. وقد كان الإمام عبدالعزيز بارعًا في القيادة العسكرية؛ فقد استحدث أساليب وأنماطًا حربية جديدة في المعارك التي يخوضها؛ ومن ذلك: أنه إذا استعصى على جيشه فتح أحد البلدان وطالت الحرب بينهم؛ شرع في بناء قصر أو برج قريب من تلك البلدة يكون كالحصن يقيم فيه عددًا من أتباع الدعوة، فيقوم الجيش السعودي بالمرابطة في القصر، ويهاجمون بشكل متواصل حتى تسقط البلدة ⁽⁸⁹⁾. ومن أمثلة تلك القصور: قصر الغزوانة (الغزوانة) ⁽⁹⁰⁾، ويدل هذا الاسم على شعب يقع غربي الرياض يسيل على الباطن، وقد بنى الإمام عبدالعزيز في هذا الشعب قصرًا سمي بقصر

الغذوانة) عام 1758/هـ 1171م، واستمروا في بنائه سبعة أيام، وقد أصبح هذا القصر شوكة في ظهر دهام بن دواس، وقد جرت حوله عدد من الغارات التي أقلقّت إمارة الرياض آنذاك⁽⁹¹⁾. وأيضاً شرع الإمام عبدالعزيز في بناء قصر بعد نزوله بين الفرعة ووشيق عام 1762/هـ 1175م؛ لضييف على أهل وشيق، وأعد فيه عدداً من الرجال، وأصبح مأهولاً بالجنود، وضييق على أهل وشيق حتى استسلموا ودخلوا في الطاعة⁽⁹²⁾.

فكما ذكرنا أن للإمام سياسة خارجية فذة مكنته من الماضي قدماً نحو تحقيق تطلعاته في نشر العقيدة الصحيحة، في حين أن سياسته الداخلية كانت متيقظة أيضاً؛ ومن الأمثلة على يقظته: أنه بعد غزوته على أهل جلاجل عام 1757/هـ 1170م أرسل إلى رجلين من رؤساء بلدة العودة، ورحل بهما إلى الدرعية، وكان هدفه من ذلك: ألا ينازعا أمير العودة عبدالله بن سلطان، وكان متيقظاً مخافة ألا يدعوا أهل البلدة إلى الثورة والارتداد، وحين وصولهم للدرعية قدم أمير العودة وطلب من الإمام أن يعفو عنهما ويطلق سراحهما، وقد ثبتت وصحت نظرته فيهما، فمئذ وصولهما إلى العودة غدرا بأمرها عبدالله بن سلطان وقتلاه، وتولى واحد منهما مكانه وجاهر بعداوة الدعوة وأهلها⁽⁹³⁾. وقد استخدم الإمام عبدالعزيز أسلوب الإنهاك الاقتصادي في العديد من غاراته وغارات قادته؛ إذ إن هذا الأسلوب ينهك الخصوم اقتصادياً، مما يجعلهم يستسلمون ويدخلون في الطاعة بعد فترة وجيزة. ولعل من الأمثلة على هذا الأسلوب: غزوة حجيلان بن حمد⁽⁹⁴⁾ عام 1786/هـ 1200م على جبل شمر؛ إذ جاءه ذكر لقافلة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ، فتحرك حتى وصل إلى بقعاء⁽⁹⁵⁾، فترصد لها حتى أخذها، وكانت تحمل كثيراً من اللباس والقماش لأهل جبل شمر وغيرهم؛ مما أرهقهم اقتصادياً، وبعد هذه الغزوة بعام انضم جبل شمر إلى الدولة السعودية⁽⁹⁶⁾.

هذا وقد ذكر الباحث عدداً من مواقف وصفات الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود برزت قبل وأثناء حكمه للدولة السعودية الأولى حتى وفاته عام 1803/ 1218م، وقد ميزت هذه الصفات الإمام عبدالعزيز عن غيره من الأئمة؛ إذ إنه كان مميزاً منذ الصغر، ورأى فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب جوهرًا يؤهله للحكم بالشرعية الإسلامية الصحيحة والعقيدة التي لا تشوبها شوائب.

تولية الإمامة:

يجدر بنا توضيح معنى الإمامة في اللغة والاصطلاح، والتفريق بين الإمام العالم بشريعة الله ﷻ الذي يؤم المصلين ويفتي في الدين، والإمام الحاكم الذي يتولى شؤون المسلمين وفق ضوابط كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد خاتم المرسلين ﷺ.

الإمام لغة:

مَا أَنْتُمْ بِهِ مِنْ رَئِيسٍ وَغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ: أُمَّةٌ⁽⁹⁷⁾.

الإمام اصطلاحاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإمام: هُوَ الَّذِي يُؤْتَمُّ بِهِ، وَذَلِكَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ؛ بِحَيْثُ يُطَاعُ بِاخْتِيَارِ الْمُطِيعِ؛ لِكَوْنِهِ عَالِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمْرًا بِهِ، فَيُطِيعُهُ الْمُطِيعُ لَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ إِرْزَامِهِ الطَّاعَةَ⁽⁹⁸⁾. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ يَدٍ وَسَيْفٍ؛ بِحَيْثُ يُطَاعُ طَوْعًا وَكَرْهًا؛ لِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى إِرْزَامِ الْمُطِيعِ بِالطَّاعَةِ»⁽⁹⁹⁾. وقد تولى الإمام عبدالعزيز الإمامة بعد والده محمد بن سعود، يقول ابن غنم: «وفي منسلخ

ربيع الأول توفي الأمير محمد بن سعود»، أي أواخر ربيع الأول من عام 1765/هـ 1179م، «وفيها بايع عبدالعزيز أهل الإسلام، وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام... وتتابع على ذلك الحضر والبدوان»⁽¹⁰⁰⁾. ويقول ابن بشر في أحوال سنة 1765/هـ 1179م: «وفيها توفي الإمام الرئيس... محمد بن سعود ... وكان ولي العهد بعده ابنه عبدالعزيز، فكان إماماً للمسلمين، وحامي ثغور الموحدين، فبايعه الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ -رحمه الله- هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه، وملأ قلوب العدا هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار، وملأت هيبتة قلوب ملوك الأقطار»⁽¹⁰¹⁾. وقبل وفاة الإمام محمد بن سعود بحوالي سنة كانت وقعة الحائر التي انقلب فيها دهام بن دواس وزيد بن زامل وعريعر مع صاحب نجران السيد حسن بن هبة الله، فكانت الدولة معرضة للعديد من الأخطار؛ حيث إن أهل نجد تتابع نقضهم للعهد⁽¹⁰²⁾. وقد كان الإمام عبدالعزيز متمرساً في أمور الدولة العامة، وبارعاً في القيادة العسكرية؛ غير أنه -كما ذكرنا سابقاً- كان تلميذاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب⁽¹⁰³⁾، فكان هو الشخص المناسب لتولي الحكم؛ لأنه من أصحاب السابقة في نصره الشيخ، وكان ملازماً له وأخذاً للعلم منه. ومشاركاته في عهد والده وإدارته للبلاد كانت تمهيداً لخلافته، وبسبب أعماله التي اشتهر بها رأى الناس شجاعته وسياسته، وحلمه وكرمه، وصلاحه وتقواه، وصدقه في الجهاد، ولم يكن أحد يسامي الإمام عبدالعزيز في قوة الشخصية وعلو الصيت والحظوة عند الشيخ، فكان اختياره للإمامة أمراً مسلماً به لا ينازعه فيه أحد⁽¹⁰⁴⁾. وكانت الظروف السياسية الحرجة التي تحيط بالدولة من جميع الجهات وتهدد كيانها تستلزم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب. فيتين لنا أن قاعدة وراثة الحكم ظهرت تلقائياً نتيجة جدارة الابن بتولي منصب والده سياسياً وعسكرياً⁽¹⁰⁵⁾. وبالنسبة لطريقة ولايته لم تنص المصادر على المبايعة، ولم يجزم بمبايعته خلال عهد والده، ولم يذكر ابن بشر ولا ابن غنام شيئاً عنها وإن كانت الروايتان السابقتان اللتان ذكرتهما توحيان بذلك.

ويذكر العجلاني أن وليم بالجريف⁽¹⁰⁶⁾ يقول: إن محمد بن سعود أوصى قبيل موته أن يكون عبدالعزيز خلفاً له، فتسميته ولياً للعهد جاءت من هناك وإن لم تؤخذ له البيعة في حياة أبيه. وقد تكون تفسيراً حسناً لقول ابن بشر⁽¹⁰⁷⁾. ويرى الباحث أن ولاية عهد الإمام عبدالعزيز كانت في عهد والده، ويستند في ذلك على ما تم ذكره في أحوال سنة 1787/هـ 1202م عند ابن غنام: «أمر شيخ الزمان... أن يبايعوا سعوداً على الإمارة بعد أبيه»⁽¹⁰⁸⁾. وعند ابن بشر: «أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود بن عبدالعزيز، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبدالعزيز»⁽¹⁰⁹⁾. ويقول بوركهارت⁽¹¹⁰⁾: «وكان عبدالعزيز قد طلب من المشايخ الكبار أن يبايعوا ابنه سعوداً بالحكم بعده»⁽¹¹¹⁾. ونستطيع تحليل الروايات السابقة عند النظر فيها؛ وذلك لدلالاتها على أن ولاية العهد قد كانت متعارفاً عليها وإن لم يُورد شيء عن مبايعة الإمام عبدالعزيز في عهد والده، فكما ذكر المؤرخان أن الشيخ أمر بذلك، وهذا يدل على أن الشيخ أيضاً أمر بذلك خلال فترة محمد بن سعود. وعلى كل حال يبدو أنها وإن لم تذكر فهي ناتجة عن تعارف الناس في تلك الفترة أنه ولي عهد لوالده ولو دون بيعة.

وفاته وأسبابها:

سيناقش الباحث وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والقول الراجح في طريقة وكيفية وأسباب وفاته؛ إذ إن العديد من المؤرخين ذكروا أسباباً وإن كانت متقاربة؛ لكن يوجد فيها اختلافات من

نواحٍ متعددة، ويوجد وثائق وتقارير أيضًا تظهر لنا كيفيات وأسباب هذا الاغتيال الذي حدث. وشبه البهكلي وفاة الإمام عبدالعزيز بوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽¹¹²⁾، وقد أجمعت المصادر على أنه قتل مغتالاً.

أولاً: سنة الوفاة ووقتها:

يتفق ابن بشر وابن عيسى والفاخري والبهكلي على أن الإمام عبدالعزيز قتل في سنة 1218 هـ/ 1803 م، أما ابن ضويان فيذكر أنه قتل في سنة 1217 هـ/ 1702 م⁽¹¹³⁾. ويذكر صاحب ملح الشهاب: «ولما مضى من وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثمانين سنين توفي عبدالعزيز بن محمد بن سعود»⁽¹¹⁴⁾، وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة 1206 هـ/ 1792 م⁽¹¹⁵⁾، وتختلف هذه الرواية عن الروايات الأخرى؛ إذ إن رواية صاحب ملح الشهاب تجعل وفاة الإمام عبدالعزيز في سنة 1214 هـ/ 1799 م، وهناك رواية تقول: إنه قتل في سنة 1219 هـ/ 1704 م⁽¹¹⁶⁾، وفي رواية التاج المكلل قال: في منتصف سنة 1218 هـ/ 1803 م⁽¹¹⁷⁾. ويذكر الحفطي⁽¹¹⁸⁾ في وقائع سنة 1218 هـ/ 1703 م: أن في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر شعبان بلغ إلينا مقتل الإمام عبدالعزيز⁽¹¹⁹⁾. ويتفق ابن بشر وابن عيسى والفاخري على أنه قتل في العشر الأواخر من شهر رجب، وذكروا أنه في اليوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور؛ إلا ابن بشر لم يذكر ذلك⁽¹²⁰⁾. ونعود لرواية الحفطي عندما ذكر أنه بلغ إلينا الخبر في الثاني والعشرين من شعبان⁽¹²¹⁾، وهذه دلالة على أنه فعلاً تم اغتيال الإمام عبدالعزيز في شهر رجب؛ إذ إن شهر شعبان يأتي بعد شهر رجب، وقد بلغهم الخبر بعد مرور ثلاثين يوماً من اغتياله.

أما بالنسبة لليوم فقد أورد ابن عيسى والفاخري أنه قتل في يوم الاثنين⁽¹²²⁾، وذكر صاحب ملح الشهاب ودوحة الوزراء أنه قتل في يوم الجمعة⁽¹²³⁾. وجاء ذكر الصلاة التي قتل فيها الإمام عبدالعزيز عند ابن بشر وابن عيسى والفاخري والبهكلي والحبشي والحفطي، وجميعهم يتفقون على أنه قتل وهو يصلي العصر، والحفطي قال: «في الصلاة الوسطى؛ وهي صلاة العصر»⁽¹²⁴⁾.

ثانياً: مكان الاغتيال:

حدد ابن بشر مكان الاغتيال بقوله: «قتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف»⁽¹²⁵⁾ المعروف في الدرعية». وقال ابن عيسى: «توفي الإمام عبدالعزيز بن محمد بن مقرن قتيلاً في مسجد الدرعية»⁽¹²⁶⁾.

ثالثاً: طريقة الاغتيال:

قال ابن بشر: «قتل الإمام عبدالعزيز وهو ساجد أثناء صلاة العصر، وثب عليه من الصف الثالث والناس في السجود، قطعته في أبهره، أو في خاصرته أسفل البطن». وقد وافق ابن عيسى والفاخري ابن بشر في مكان الطعنة⁽¹²⁷⁾.

رابعاً: السلاح المستخدم لتنفيذ الاغتيال:

ذكر ابن بشر وصاحب ملح الشهاب أن القاتل قد طعن الإمام عبدالعزيز بخنجر كان قد أخفاها، وذكر البهكلي وابن عيسى والحبشي أنها سكين⁽¹²⁸⁾. وهناك وثيقتان، واحدة منهما ذكر فيها أن القاتل كان يحمل خنجرًا، والأخرى ذكر فيها أنها سكين مصنوعة خصيصاً لتنفيذ هذه المهمة⁽¹²⁹⁾.

ويذكر أبو علي في دراسته للمخطوط التركي: أن القاتل سل سيفه في المسجد فقتل الإمام عبدالعزيز⁽¹³⁰⁾. ولم يجد الباحث رواية أخرى توافق المذكور.

خامساً: هل مات الإمام عبدالعزيز في حينها؟

اتفق المؤرخون على أنه لم يلبث إلا قليلاً حتى مات، وأخرى قالت: ريثما أوصى ثم مات. ورغم اختلاف السياق فإنها تدل على وقت وجيز حتى توفي -رحمه الله-⁽¹³¹⁾.

سادساً: من القاتل؟

جاء في ذكر القاتل واسمه وجنسيته ودوافعه ودينه عدد من الروايات المختلفة؛ وهي:

رواية ابن بشر:

ذكر ابن بشر أن الجاني اسمه (عثمان)، كردي الأصل، من أهل العمادية⁽¹³²⁾ في بلد الأكراد. وقال أيضاً: إنه من أهل بلد الحسين، رافضي، خرج بعدما قتلهم سعود بن عبدالعزيز، وأخذ أموالهم، فخرج ليأخذ الثأر، وكان يريد قتل سعود، فلم يقدر عليه، فقتل عبدالعزيز، وقال: لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض، وليس في قلوبهم غل على المسلمين⁽¹³³⁾.

رواية ابن عيسى والبهكلي والفاخري وابن ضويان:

أن الذي قتل الإمام عبدالعزيز رجل من أهل العراق لا يعرف له بلد ولا نسب⁽¹³⁴⁾.

رواية لمع الشهاب:

رجل فقير من بغداد اسمه (الحاج علي البغدادي)، سمع أن علي باشا قد وضع ألف ذهب ووظائف لأبناء من يقتل الإمام عبدالعزيز⁽¹³⁵⁾.

رواية بوركهارت:

يذكر أن الإمام اغتيل على يد فارسي سبق أن قتل الوهابيون أقاربه⁽¹³⁶⁾.

رواية أبي علي:

يذكر أبو علي في دراسته للمخطوط التركي وتحديدًا للورقة رقم 307 أن الفترة التي تلت عام 1205هـ/1790م منع أهل نجد قوافل حجاج إيران التي تمر على نجد القديم انتقامًا منهم، وقد أثار المنع رد فعل عميق بإيران، وبسبب عجز وصعوبة الطرق المؤدية إليها قرر الإيرانيون تعيين أحد الفدائيين ليزيل وجود عبدالعزيز، فجاء رجل من أهل العمادية إلى الدرعية بزي تاجر ومكث أيامًا، وتقرب يومًا في المسجد فقتل عبدالعزيز⁽¹³⁷⁾.

ويرى الباحث أن هذه الرواية ليست منطقية؛ لأنه وكما نعلم أن التجار غالبًا ما يظهر عليهم مظهر الترف، فذلك مناقض تمامًا لرواية المصادر الأخرى من أنه جاء على هيئة درويش، ولا يمكن له المكوث في المسجد مدة طويلة دون أن يلاحظ أهل الدرعية ذلك؛ ولكن الرجل الدرويش الفقير الذي ليس له ملجأ إلا المسجد لا يمكن للعامة الاشتباه به.

رواية الكركوكلي في دوحة الوزراء:

القاتل شخص أفغاني الأصل، كان يقيم في بغداد، يقال له: ملا عثمان⁽¹³⁸⁾.

رواية البخاري في التاج المكلل:

أنه رجل شيعي فارسي من جيلان اسمه (عبدالقادر)، وسبب ذلك: أن ملك فارس نقم على ابن سعود؛ لتمليصه بلاد القطيف وجزائر البحرين من ولايته، وتخريبه مشهد الحسين. وذكر أيضًا أن السبب هو: أن عبدالقادر ثار لعيله الذين قتلوا في معركة كربلاء⁽¹³⁹⁾.

روايات العجلاني:

ذكر العجلاني روايات متعددة، وذكر منها رواية التاج المكلل، ويقول: قد تبدو هذه الرواية ضعيفة؛ ولكننا وجدنا في تاريخ مانجان المؤرخ الموثوق قصة تؤيدها قال: «قتل عبدالعزيز في 18 رجب 1218هـ، وقد وجدوا في عمامة قاتله ورقة مغلفة من الخاتم كتب عليها بالفارسية هذه الكلمات: إن ربك ودينك يوجبان عليك قتل عبدالعزيز، فإذا استطعت الهرب نلت مكافأة عظيمة، وإذا وقعت فاعلم أن الجنة فتحت لك أبوابها. وهذه القصة إذا صحت قد تدل على اشتراك بعض الفرس -سواء من فارس أو من العراق- في المؤامرة، وأن المباشرة للقتل فارسي؛ بدليل مخاطبتهم له بلغته»⁽¹⁴⁰⁾.

رواية الحبشي:

نُقل إلينا أن رجلاً من الأعاجم من مشهد الحسين قتل عبدالعزيز. وقبل أن يقتلوه سألوه عن السبب، فقال: أرسله بعض ملوك الأعاجم مقابل كثير من المال. ومنهم من يقول: إنه قتل والده وأخاه في غزوة غزاها. ومنهم من يقول: إنه تقرب إلى الله مريدًا بذلك سلامة أهل الأرض من شره⁽¹⁴¹⁾.

الروايات من الوثائق:

الوثيقة الأولى تشير إلى أنه كان يوجد عدد من الجنود قد توجهوا إلى حوالي الدرعية، وعند وصولهم رأوا اضطرابًا وقلقًا شديدًا، واتضح أن شخصًا أعجميًا في هيئة الأفغان جاء إلى الدرعية وطلب اللقاء بسعود بحجة أنه جاء برسالة إليه، ولم يتم لقاءه مع سعود؛ إلا أن أباه عبدالعزيز كان يقيم صلاة العصر، فصرى معه، وعندما سجد ألقى الأعجمي نفسه على عبدالعزيز بالسكين الذي صنعه خصيصًا لهذا الغرض، كما طعن أخاه عبدالله وجرحه، ثم قتل الأعجمي نفسه⁽¹⁴²⁾.

الوثيقة الثانية: عندما وقعت قضية مكة المكرمة فار دم أحد رجال الحاشية المدعو الحاج عثمان، ورغب في قتل عبدالعزيز وولده سعود مرضاة لله تعالى، وقد أقدمت على تحريضه وإغرائه⁽¹⁴³⁾. وذكر آل زلفة أنه أطلع على تقرير جان فرانسوا⁽¹⁴⁴⁾ الذي كتبه عند اغتيال الإمام عبدالعزيز، وقال فيه: «قام شخص فارسي بطعن عبدالعزيز ثأرًا لاثنين من أولاده قتلًا في كربلاء أثناء تعرضها لهجوم الأمير عبدالعزيز»⁽¹⁴⁵⁾.

الوثيقة الثالثة يذكر فيها والي بغداد خبرًا تناقلته الحملة المتجهة إلى الدرعية، والتي تناوشت مع مجموعة من القوات السعودية، وحينها بلغهم خبر مقتل الإمام عبدالعزيز. ويقال: هناك خلاف بين عائلته ويحتمل تشتتهم؛ ولكن سعودًا تولى الحكم⁽¹⁴⁶⁾. وفيما يبدو أن الروايات التي ذكرها الباحث عن مقتل الإمام عبدالعزيز مختلفة، فمنهم من يقول أنه كردي، ومنهم من يقول أنه عراقي، ومنهم من يقول أنه أفغاني، ومنهم من يقول أنه فارسي من إيران. واختلفت الروايات أيضًا في اسمه: قيل: اسمه عثمان، وقيل: عبدالقادر، وأضاف أحدهم لقب (الملا)، وآخر (الحاج). والقاتل من أهل بغداد، والدليل: ما جاء في وثيقة علي باشا والي

بغداد أنه من خدمه وحاشيته، واسمه (عثمان) كما ذكر في الوثيقة، وإن كان يدعى (علي البغدادي) كما جاء عند ملح الشهاب أو (عبدالقادر) في التاج المكلل، لما قال علي باشا في الوثيقة: «إن الحاج عثمان قد قتل عبدالعزيز»؛ لأن الوثيقة موجهة للباب العالي تبشره بتنفيذ المهمة؛ لذلك فالأمر لا يستدعي إخفاء هوية القاتل. وهذه الوثيقة ترجح قول ابن بشر في اسم القاتل⁽¹⁴⁷⁾. وقيل في ذكر السبب الذي دفعه إلى ارتكاب الجريمة وبذل نفسه: هو الانتقام لما أنزله النجديون بمدينة كربلاء، ومسجد الحسين فيها، ولقد أهاج ما جرى العالم الشيعي، فتحمس عثمان وبذل نفسه في سبيل الانتقام⁽¹⁴⁸⁾. ولعلنا نذكر أن الباب العالي قد أمر علي باشا والي بغداد بالهجوم على الدرعية بسبب الهجمات المتكررة على العراق، فكان على دراية بقوة الدولة السعودية، وقد تسلم خطاباً يأمره بالغزو؛ ولكن سرعان ما أرسل إيضاحات تبين الوضع الراهن في بغداد آنذاك، والصعوبات التي تتطلبها هذه الحملة للقيام بها⁽¹⁴⁹⁾. وما جاء في الوثيقة التبشيرية المرسلة من قبل علي باشا إلى السلطان العثماني يوضح الإجراءات المتخذة لقتل الإمام عبدالعزيز، وسأبرزها في عدة نقاط: ذكر علي باشا أنه ليس في حالة جيدة تمكنه من السفر بنفسه لإعداد الوسائل للقيام بمهمته التي تستوجب قتل عبدالعزيز.

تم إعداد جماعات من عشائر العراق، ومن حملة البنادق، ومن خواص الأتباع، ومن زمرة فرسان اللوند، وراكبي الإبل. والنصوص السابقة توضح أن علي باشا قد رتب للهجوم، واستعان بقبائل البدو في العراق؛ بسبب تكرار الأوامر من الباب العالي، ورغم تخوفه من عواقب هذه الحملات؛ إلا أنه قد جهز الجند لرد الهجمات على الدرعية. وقد صدرت الأوامر أيضاً من السلطان إلى إبراهيم باشا والي حلب بإرسال عسكر أقوىاء منتخبين ومسلحين للتحالف مع علي باشا⁽¹⁵⁰⁾. والجدير بالذكر أن جميع محاولات ولاية الدولة العثمانية للهجوم على الدرعية وقتل قاداتها لم تنجح بالرغم من الدعم المقدم المالي من قبل السلطان لتجهيز القوات وتشكيل حملة تسير على خطة إستراتيجية محكمة بالسيطرة أولاً على الأحساء، ثم الانقضاض على الدرعية؛ خاصة بعد خروج سعود بن عبدالعزيز من مكة، واستتباب الأمر للشريف⁽¹⁵¹⁾. وهاهنا يوضح من القاتل، وما سبب قيامه بهذه المهمة: «فإن أحد رجال حاشية هذا الخادم سابقاً المدعو الحاج عثمان، وهو رجل مؤمن مخلص للدولة، قد فارت دماؤه عندما وقعت قضية مكة المكرمة، وقد أبدى رغبته في قتل عبدالعزيز بن سعود وابنه سعود». ويذكر علي باشا أنه أقدم على تحريض القاتل وإغرائه، وعرض المال عليه. ولعلنا نذكر ما قاله صاحب ملح الشهاب: «عرض علي باشا ألف ذهب لمن يقتل عبدالعزيز غيلة، وقال أيضاً: إذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه قررت لعياله وعياله وظائف من الديوان لا تنقطع. وجاءه رجل اسمه علي سمع بذلك، واتفق مع والي بغداد على اغتيال الإمام عبدالعزيز»⁽¹⁵²⁾. وهذا النص يوضح أن علي باشا قد حرض القاتل على اغتيال سعود بن عبدالعزيز، ولم يتمكن من الظفر بسعود بن عبدالعزيز؛ ولكنه ظفر بعبدالعزیز في صلاة العصر. ويبشر أيضاً في معروضه أنه إذا كان سعود بن عبدالعزيز هو القائد العام؛ فإن قتل وإزالة عبدالعزيز سيكون مقدمة لتشتيتهم واضمحلالهم⁽¹⁵³⁾. وقد تبين لنا أن الدافع وراء ذلك هو دخول أهل الدعوة إلى مكة المكرمة وضماها، ويؤكد صاحب ملح الشهاب أن المحرض هو علي باشا؛ ولكن لا نعلم صحة روايته؛ حيث إن علي باشا قد جعل سعود بن عبدالعزيز نصب عينيه، ولعل سبب حقه عليه: أن سعوداً قد قاد الغزوات على أغلب مناطق الحكم العثماني؛ ولكن القاتل نفذ مهمته بقتل الإمام عبدالعزيز.

سابعاً: كيفية دخول القاتل إلى الدرعية ومصيره:

في تلك الفترة كانت الدرعية محط أنظار القوافل والمهاجرين من خارج الجزيرة العربية وداخلها وطلبة العلم وغيرهم من الناس، فيذكر ابن بشر أن القاتل جاء في صورة درويش ادعى أنه مهاجر، مظهرًا التنسك والطاعة، وتعلم شيئًا من القرآن الكريم، وطلب من يعلمه أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها⁽¹⁵⁴⁾، وكان يلزم المسجد ولا يبرحه؛ مما أثار الشكوك في بعض النفوس، فأراد بعضهم طرده؛ إلا أن الإمام عبدالعزيز حماه بحجة أنه لم يبدر منه ما يؤخذ عليه، وبعد انقضاء أيام وأسابيع اكتسب ثقة من حوله، وصار يتجول كيفما يشاء⁽¹⁵⁵⁾.

يقول صاحب لمع الشهاب: «إنه سار مع قوافل الحجاج برسم الفقير المضطر، فأنحدر إلى البصرة، ثم منها إلى الكويت، ثم سار مع ركبان متجهة نحو الدرعية، وقال لعبدالعزيز: سمعت بدينك منذ عشر سنوات، ولم أتمكن من الوصول إليك، وها أنا قد بلغت مرادي، فأنا أعاهدك على هذا الدين، وليس لي بعد ذلك رجوع إلى أهلي وعيالي، وداركم هجرة لي، وأنتم أعز علي من قومي وعشيرتي. وكان فصيحًا، وقبل ذلك منه عبدالعزيز، وقربه إليه، ورأى منه ملازمة صلاة الجماعة، والتجنب عن بعض الأمور، ويذكر أن عبدالعزيز أحبه أتم محبة، وكان يجعله بجانبه في المسجد»⁽¹⁵⁶⁾.

ويقال: إنه جاء إلى الدرعية بزيًا تاجرًا مأكثًا في الدرعية عدة أيام⁽¹⁵⁷⁾. ويقال أيضًا: إنه سافر متجهًا إلى الدرعية متسترًا بزي الوهابيين⁽¹⁵⁸⁾. ويقال: إنه أتى متظاهرًا بالتدين والعبادة، ملازمًا لها وللمساجد حتى ظفر بمبتغاه⁽¹⁵⁹⁾. وجاء في إحدى الوثائق أنه دخل الدرعية على هيئة رجل أفغاني⁽¹⁶⁰⁾. وقيل أيضًا: وصل الدرعية متربصًا لعبدالعزيز، ينتظر فرصة يقتله فيها على غرة⁽¹⁶¹⁾. وفي إحدى الروايات التي يستغرب منها ومتفردة عن باقي المصادر هي: أن كوارنيسيز في كتابه (تاريخ الوهابيين) يذكر «أن القاتل الذي استخدم الخنجر في تنفيذ جريمته كان درويشًا كردهيًا التحق بالخدمة العسكرية مع الأمير عبدالعزيز بهدف قتله؛ لأن الوهابيين ذبحوا ثلاثة من أبنائه في مذبحة كربلاء سنة 1801م»⁽¹⁶²⁾. ولم يجد الباحث هذا الكتاب للاطلاع عليه والتأكد من صحة المعلومة ليعلمها منه؛ ذلك أن المصادر تؤكد أن القاتل قتل مباشرة بعد تصارعه مع عبدالله أخي الإمام عبدالعزيز؛ إذ تكاثر عليه الناس وقتلوه على الفور⁽¹⁶³⁾، بينما إحدى الوثائق تذكر أن القاتل بعد أن فعل فعلته قتل نفسه⁽¹⁶⁴⁾، ومصدر آخر جاء فيه أنه تم ضبط القاتل مباشرة، وتم التحقيق معه وسئل عدة أسئلة، ولم يذكر مصير القاتل⁽¹⁶⁵⁾.

هذا وقد بين الباحث وفاة الإمام عبدالعزيز في عدة نقاط من مصادر متعددة، منها المعاصر للزمان والمكان، ومنها المعاصر للزمان مع اختلاف المكان. وقد تبين لنا من خلال مجريات هذا المطلب أن الإمام عبدالعزيز قتل غيلة في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 1218 هـ/ 1803 م على يد شخص من حاشية علي باشا يدعى (الحاج عثمان) محرصًا من قبله؛ بسبب غزوات الدولة السعودية على المناطق التابعة للحكم العثماني.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث تظهر عدة نتائج مهمة؛ وهي:

بالرغم من وجود عدد من المؤرخين في تلك الفترة في منطقة نجد، إلا أنهم لم يهتموا غالباً بذكر تواريخ الولادة، كما ذكر ابن بشر عندما قال: «واعلم أن أهل نجد وعلماءهم القديمين والحديثين لم يكن لهم عناية بتاريخ أيامهم وأوطانهم...»، ولعل ذلك يوضح لنا سبب الاختلاف في تاريخ ولادة الإمام عبدالعزيز بن محمد. ولقد رجح الباحث ما ذكره ابن بشر وابن عيسى أن الولادة سنة 1133هـ/1720م. ولقد وضع الباحث نشأة الإمام، وتبين لنا أن نشأته كانت في كنف والديه، ولم تختلف كثيراً عن نشأة أمثاله من أبناء حكام الإمارات النجدية في تلك الفترة، حيث تعلم الفروسية والرمابة، وهيء لتحمل أعباء الحكم والقيادة. وتظهر لنا النتائج أن الإمام كان شغوفاً للعلم منذ الصغر، خاصة عندما أرسل رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ليفسر له سورة الفاتحة.

تميز الإمام عبدالعزيز بفقده في الدين، ومعرفته الواسعة، وملازمته للشيخ محمد بن عبدالوهاب أخذاً منه العلم، فكان لعلمة الأثر الكبير على شخصيته حين كان ملازماً لوالده وبعد توليه الحكم، ومدى تأثير ذلك على سياسته التوسعية.

كان يتميز بصفات نبيلة كما ذكرنا سابقاً، ويمتلك صفات أدت إلى محبته من قبل العلماء وعامة الناس، وكان حريصاً على تثقيف وتعليم رعيته، وأداء الأمانة الموكلة إليه، وغيرها من الواجبات. ومن النتائج بالنسبة لتولية الإمامة، هو أن القيادة كان متعارفاً عليها في تلك الفترة؛ على أنها تعطى للأبن بعد والده، خاصة الذي يعتمد عليه والده أثناء حياته، وإن لم يُورد شيء عن مبايعته، إلا أن المؤرخان (ابن غنام و ابن بشر) قد ذكرا ذلك.

ومن الضروري بيان الأحداث من المصادر المعاصرة للزمان والمكان، أو للزمان مع اختلاف المكان؛ لذلك ظهرت روايات من مصادر ووثائق تظهر التواتر في كيفية وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد، فأظهرت الدراسة نتائج مهمة بالنسبة لطريقة قتله وأسبابها ومكان الاغتيال وطريقته والسلاح المستخدم، وغيرها. وأبرزت الدراسة أنه قتل غيلة على يد الحاج عثمان -أحد حاشية والي بغداد علي باشا- في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 1218هـ / السادس من شهر نوفمبر سنة 1803م.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

توجه باحثين التاريخ الحديث والمعاصر للاطلاع على دور حفظ الوثائق والمخطوطات، وإيجاد موضوعات تتناول أجزاء لم يتم التطرق إليها من قبل، أو لاكتشاف حوادث تاريخية مجهولة وغير معروفة.

الاهتمام بالوثائق التاريخية التي تختص بتاريخ الدولة السعودية، وتحليلها تحليلًا عميقاً من قبل الباحثين؛ للوصول إلى حقائق لم يتم تسليط الضوء عليها.

أوصي بدراسة جميع الجوانب المتعلقة بتاريخ الدولة السعودية الأولى، خاصة الاجتماعية، لمعرفة أحوالهم، وطرق عيشهم بشكل أدق في تلك البقعة الصحراوية.

الهوامش:

- (1) لبان، امتنان ممدوح سراج، «الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد 1234-1229هـ/1814-1818م»، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1443هـ/2021م)، ص52.
- (2) ابن دهب، عبداللطيف بن عبدالله، «أحوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى»، العرب، م22، ع1، 1407هـ/1987م، ص27.
- (3) الدهش، أحمد بن صالح بن سليمان، «موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العثمانية حتى عام 1233هـ»، (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1407هـ/1987م)، ص21.
- (4) خزعل، حسين خلف الشيخ، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (د.ط، بيروت، دار الكتب، د.ت)، ص145.
- (5) العريني، عبدالرحمن بن علي، بادية نجد من القرن العاشر الهجري إلى سقوط الدرعية 1233هـ/1818م، (ط1، الرياض، الإدارة العامة للثقافة والنشر، 1420هـ/1999م)، ص309.
- (6) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة، (د.ط، دن، د.م، د.ت)، ص28.
- (7) التركي، مرجع سابق، ص29-28.
- (8) الدهش، مرجع سابق، ص22.
- (9) عبد الرحيم، عبدالرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، (ط2، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1395هـ/1975م)، ص44-43.
- (10) ابن دهب، مرجع سابق، ص15.
- (11) كان يقطن في بلدة من بلدان شرقي الجزيرة العربية تسمى (الدرعية)، وكان بينه وبين ابن درع مراسلة ومواصلة، استقدمه ابن درع من تلك المنطقة فأقطعته أرضي الملييد وغصيبة اللتين تكونت منها إمارة الدرعية عام 850هـ/1446م التي توارثها مانع وأبناؤه إلى قيام الدولة السعودية الأولى، وتكونت منها هذه الإمارة. البراك، عبدالعزيز بن ناصر، الشيخ راشد بن خنن الحفني 1206-1106هـ، (ط1، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ/2011م)، ص118.
- (12) ابن درع: رئيس الدروع أهل وادي حنيفة، وصاحب حجر اليمامة والجزعة، وتربطه علاقة بمناجح المريدي؛ لأن كلا منهما ينتسب إلى حنيفة. العيسى، محمد الفهد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، (ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1415هـ/1995م)، ص37.
- (13) نشأت إمارة العينينة التي كانت تسمى (برقه) في القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي على يد حسن بن طوق التميمي. وأشهر وأقوى أمراء العينينة عبدالله بن محمد الثاني، ولقب بالثاني تمييزاً له عن أحد أجداده، ارتقى بالعينينة حتى أصبحت أقوى إمارات نجد، وازدهرت حضارياً في شتى المجالات. معمر، عبدالمحسن بن محمد، إمارة العينينة وتاريخ آل معمر، (د.ط، الرياض، دار المريخ، د.ت)، ص259-257، 288.
- (14) كانت الخرج تخضع لمشيخات محلية تعود بنسبها إلى قبيلة عائد، وأقدم تلك الإمارات ذكرًا هي إمارة كليب شيخ المزاييدة من قبيلة عائد من القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي، ولقد بقيت الإمارة

في تلك القبيلة قرونًا، خرج من وسطها أسر انفردت بحكم بلدان الخرج؛ ومن أشهرها: آل عثمان في الدلم، والبجادات في اليمامة، وآل عفيصان في السلمية. السعيد، خالد بن عبدالله، «الخرج في عهد الدولة السعودية الأولى 1233-1157هـ/1818-1744م»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع9، (1442هـ/2021م)، ص73-72.

(15) إحدى أهم الإمارات التي خاضت صراعًا عنيفًا ومستمرًا ضد الدرعية؛ وذلك أن أميرها دهايم بن دواس الذي حكم الرياض بعد أمرائها آل زرعة سلامة أبو زرعة وابنه موسى وزيد بن موسى كان يخشى على نفوذه وسلطانه أمام ازدياد قوة الدرعية، وحارب الدرعية قرابة ثمانية وعشرين عامًا حتى خرج منها سنة 1187هـ/1773م بعد موقعة الحصن. الحربي، مبارك محمد المعبدي، محاضرات في تاريخ المملكة

العربية السعودية، (ط3، جدة، خوارزم العلمية، 1440هـ/2019م)، ص54.

(16) نشأت إمارة آل حجيلان في بريدة سنة 1194هـ/1818م بعد أن قتل راشد الدريبي، وتولى بعده حجيلان بن حمد؛ إذ استطاع الأخير فرض الأمن والاستقرار بعد خلافات بين أمراء بريدة من آل أبي عليان بفرعهم الدريبي والحسن. العمرو، عمرو بن إبراهيم، «بريدة في عهد إمارة حجيلان بن حمد آل أبو عليان (1234-1194هـ/1818-1780م)»، (رسالة ماجستير، جامعة القصيم، 1431هـ/2010م)، ص26-22.

(17) كانت مقاليد السيادة في منطقة حائل في أيدي آل علي خلال القرن الثاني عشر الهجري- السابع عشر الميلادي، وكانت مساكن آل علي في أسفل قاعدة الجبل أو ما يعرف بالسويفلة. وتعتبر إمارة جبل شمر من الإمارات النجدية التي تأخر انضمامها. العثيمين، عبدالله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، (ط1، الرياض، مطابع الشرق الأوسط، 1401هـ/1981م)، ص5.

(18) ابن دهيض، مرجع سابق، ص16.

(19) العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، (ط13، الرياض، مكتبة العبيكان، 1426هـ/2005م)، ج1، ص101-100.

(20) التركي، مرجع سابق، ص29.

(21) ابن دهيض، نعيمة عبدالله عمر، «عهد الإمام محمد بن سعود 1179-1139هـ/1765-1726م»، (رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1420هـ/2000م)، ص30-29.

(22) العريني، بادية نجد، ص8.

(23) العجلاني، منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، (ط2، الرياض، دار الشبل للنشر، 1413هـ/1993م)، ج1، ص127.

(24) العثيمين، عبدالله الصالح، الدرعية نشأة وتطورًا في عهد الدولة السعودية الأولى، (ط1، الرياض، داره الملك عبدالعزيز، 1434هـ/2012م)، ص50.

(25) نعيمة، مرجع سابق، ص30.

(26) العريني، عبدالرحمن بن علي، الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، (ط1، الرياض، داره الملك عبدالعزيز، 1419هـ/1999م)، ص14.

(27) ابن دهيض، مرجع سابق، ص25.

- (28) ابن دهب، مرجع سابق، ص 25.
- (29) العثيمين، الدرعية نشأة وتطوراً، ص 62.
- (30) المغنم، علي بن صالح، «الدرعية التاريخية أطلال تتحدث عن عاصمة»، الخميسية، ع 6، (1435هـ/ 2014م)، ص 77-78.
- (31) الشويعر، محمد بن سعد، «من الملامح الاقتصادية في نجد قبل قرنين ونصف»، الدارة، مج 17، ع 1، (1411هـ/ 1991م)، ص 11-12.
- (32) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، «الدولة السعودية الأولى 1745-1818 وأثرها على مجتمع شبه الجزيرة العربية»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س 7، ع 25، (1401هـ/ 1981م)، ص 72.
- (33) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى 1745-1818، ص 72-73.
- (34) العريني، بادية نجد، ص 314-315.
- (35) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص 242-243.
- (36) الفياء: الأموال والغنائم التي تؤخذ من الأعداء بلا حرب. ابن منظور، لسان العرب، (ط 3)، بيروت، دار صادر، (1414هـ/ 1993م)، ج 12، ص 446.
- (37) العثيمين، تاريخ المملكة، ج 1، ص 193.
- (38) البهدل، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله، «جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في الدعوة والاحتساب»، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1404هـ/ 1984م)، ص 43.
- (39) ابن دهب، مرجع سابق، ص 29.
- (40) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص 73.
- (41) ابن دهب، مرجع سابق، ص 29.
- (42) ابن دهب، مرجع سابق، ص 29.
- (43) الهيثمي، ابن حجر شهاب الدين، مبلغ الأرب في فخر العرب، (ط 1)، بيروت، دار الكتب العلمية، (1410هـ/ 1990م)، ص 28. وصية عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان -رضي الله عنهما-.
- (44) العريني، بادية نجد، ص 8.
- (45) ابن دهب، مرجع سابق، ص 29-30.
- (46) نعيمة، مرجع سابق، ص 47-48.
- (47) العريني، الإمام محمد بن سعود، ص 96.
- (48) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى 1745-1818، ص 74.
- (49) البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، (د.ط، الرياض د.ن، 1402هـ/ 1982م)، ص 68.
- (50) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: محمد بن ناصر الشثري، (ط 3)، الرياض، مطابع الحميفي، (1433هـ/ 2011م)، ص 68. ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، (د.ط، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ/ 1999م)، ص 73.

- (51) خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، ولد في 9 ذي الحجة 1310هـ/25 يونيو 1893م، نشأ بدمشق، وتعلم الأدب والشعر، أصدر مجلة الأصمعي، وأصدر جريدة لسان العرب، أنشأ الحكومة الأولى في عمان مع الأمير عبدالله بن حسين بن علي، تقلد منصب مستشار الوكالة ثم المفوضية السعودية بمصر، توفي في الثالث من ذي الحجة 1396هـ/25 نوفمبر 1976. الزركلي، خير الدين، الأعلام، (ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 1422هـ/2002م)، ج8، ص270.
- (52) الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص27. فيليبي، سنت جون، تاريخ نجد، ترجمة: عمر الديسراوي (ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م) ص33.
- (53) إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى، من آل عيسى، من بني عطية، من قبيلة بني زيد أهل بلدة شقراء في الوشم. ولد في سنة 1270هـ/1853م في أشيقر، أخذ العلم من عدة علماء من شقراء والمجمعة وعنيزة والقصيم وغيرها. توفي في عنيزة سنة 1343هـ/1924م. ابن عيسى، مصدر سابق، ص19-20، ص25.
- (54) محمد بن ربيعة بن محمد العوسجي الدوسري، ولد في بلدة ثادق عام 1065هـ/1654م، وكان قاضياً فيها، وله جملة من الكتب، وكان ماهراً بالفقه، وتوفي في ثادق سنة 1158هـ/1745م. آل بسام، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، خزانة التواريخ النجدية، (ط1، دن، 1419هـ/1999م) ج3، ص29-27.
- (55) محمد بن حمد بن عباد العوسجي البدراني الدوسري، ولد في بلدة البئر، ولم يوجد لتاريخ مولده ذكر. كان قاضياً في ثرماء، وتوفي عام 1175هـ/1761م. العوسجي، محمد بن حمد بن عباد، تاريخ ابن عباد، تحقيق: عبدالله بن ناصر الشبل، (د.ط، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ / 1999م)، ص11، 34-32.
- (56) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص8.
- (57) ابن دهميش، مرجع سابق، ص147.
- (58) هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، (ط1، الرياض، مطابع الرياض، 1380هـ/1961م)، ص7.
- (59) المنيع، الجوهرة عبدالرحمن، «الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ودوره في بناء الدولة السعودية الأولى (1157هـ-1218هـ)» (1744م-1803م)، (رسالة ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات في الرياض، 1414هـ/1993م)، ص34.
- (60) الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، (ط1، بغداد، دار الوراق، 1427هـ/2007م)، ص132.
- (61) البهذل، مرجع سابق، ص62.
- (62) الشريف، حشيم بن غازي بن عبدالله البركاتي، «التعليم في عهد الدولة السعودية الأولى (1157-1233هـ/1744-1818م)»، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1423هـ/2002م)، ص169-168.
- (63) الشريف، المرجع السابق، ص170.
- (64) ابن غنام، حسين، تاريخ ابن غنام، تحقيق: سليمان صالح الخراشي، (ط1، الرياض، دار الثلوثة، 1421هـ-2010م)، ص526.
- (65) الظاهري، أبو عبدالرحمن ابن عقيل، «الحياة العلمية في الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى» الدرعية، م13، ع49، 50، (1431هـ/2010م)، ص149.

- (66) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص91.
- (67) البهدل، مرجع سابق، ص64.
- (68) خزعل، مرجع سابق، ص163.
- (69) مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أحمد مصطفى أبو حاكم، (د.ط، بيروت، بيباوس، 1387هـ/1967م)، ص35.
- (70) المنيع، مرجع سابق، 43.
- (71) المنيع، مرجع سابق، ص43.
- (72) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص33.
- (73) آل بسام، خزانة التواريخ، ج7، ص149.
- (74) خزعل، مرجع سابق، ص346.
- (75) بن باز، عبدالعزيز، رسالة مهمة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، (د.ط، الرياض، دار الوطن للنشر، د.ت)، ص6.
- (76) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص270.
- (77) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص266.
- (78) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص270-271.
- (79) أبو علي، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية، ص116.
- (80) ابن غنام، مرجع سابق، ج2، ص847-848.
- (81) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص172-173.
- (82) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص262.
- (83) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص32.
- (84) عطار، أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، (ط3، بيروت، مطبعة الحرية، 1392هـ/1972م)، ج1، ص171.
- (85) عطار، مرجع سابق، ج1، ص171-172.
- (86) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص270.
- (87) آل بسام، علماء نجد، ج3، ص459 - 460.
- (88) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص137.
- (89) العثيمين مرجع سابق، ج1، ص190.
- (90) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص118.
- (91) خميس، مرجع سابق، ج2، ص217.
- (92) ابن غنام، مصدر سابق، ج2، ص760. ذكر ابن بشر هذه الواقعة ضمن حوادث عام 1173هـ/1760م، ويذكر أنه أمر أهل الفرعة ببناء الحليلة (وهو برج معروف شرقي الفرعة). ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص126.
- (93) ابن غنام، مصدر سابق، ج2، ص745.

- (94) أسندت إمارة بريدة لجيلان بن حمد عام 1190هـ/1776م، وقد كان له دور بارز في توطيد الحكم السعودي شمال نجد، وظل قائداً وأميراً نشطاً حتى سقوط الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا، وتوفي في المدينة المنورة عام 1234هـ/1819م. السقاف، علوي بن عبد القادر وآخرون، **الموسوعة التاريخية**، (د.ط. د.م، المكتبة الشاملة، 1433هـ/2012م)، ج8، ص374.
- (95) بقعاء: هي إحدى قرى منطقة حائل الشمالية الشرقية. الجاسر، حمد، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، (د.ط. الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، د.ت)، ج1، ص287. النجدي، محمد بن عبدالله بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، (ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م)، ج2، ص821.
- (96) ابن غنام، مصدر سابق، ج2، ص859. ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص180.
- (97) لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص24.
- (98) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط1، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1406هـ/1986م)، ج4، ص106.
- (99) ابن تيمية، مرجع سابق، ج4، ص106.
- (100) ابن غنام، مصدر سابق، ج2، ص779-780.
- (101) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص134.
- (102) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص133-130.
- (103) العثيمين مرجع سابق، ص109.
- (104) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص33.
- (105) المنيع، مرجع سابق، ص38.
- (106) وليم بالجريف 1305-1241هـ/1888-1826م، تلقى العلم في تشارتر هاوس وأكسفورد، وانضم للرهبانية اليسوعية في لبنان، وطاف المشرق متنكراً بزي طبيب سوري، ورحل إلى جزيرة العرب، وترك الرهبانية وانضم إلى السلك الدبلوماسي، وعمل في الحبشة وطرابزون وجورجيا التركية وغيرها، ومن آثاره: رحلتي إلى أواسط وشرق الجزيرة العربية. العقيلي، نجيب، **المستشرقون**، (ط3، مصر، دار المعارف، 1383هـ/1964م)، ج2، ص484.
- (107) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص34.
- (108) ابن غنام، مصدر سابق، ج2، ص875.
- (109) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص184.
- (110) جوهن لويس بوركهارت، 1233-1198هـ/1817-1784م، سويسري الأصل، ولد في لوزان، تخرج من ليزيز وجوتن في الكيمياء، تعلم الطب وعلم الفلك واللغة العربية في كامبريدج، وأتقن العربية في حلب، قرأ القرآن وتفقه بالدين الإسلامي، وقضى حياته ما بين سوريا ولبنان وغيرها، وسمي بإبراهيم بن عبدالله، وله العديد من الآثار، منها: رحلة إلى الجزيرة العربية، والاتصال بالبدو والوهابيين. العقيلي، مرجع سابق، ج2، ص475.

- (111) بوركهارت، جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، (د.ط، الرياض، دن، د.ت)، ص43.
- (112) البهكلي، مصدر سابق، ص166.
- (113) آل بسام، خزانة التواريخ النجدية، ج3، ص182.
- (114) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص103.
- (115) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص198.
- (116) الكركوكلي، رسول، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، (د.ط، بيروت، مطبعة كرم، د.ت)، ص227.
- (117) القنوجي، محمد صديق حسن خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، (ط2، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428هـ/2007م)، ص295.
- (118) ينسب إلى أسرة الشيخ بكري بن محمد بن جعثم العجيلي، ولد في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ويذكر المحقق أنه لم يعثر على تاريخ مولده بالتحديد؛ وإنما استنبط ذلك من سياق روايته للأحداث، ولم يذكر له تاريخ وفاة. الحفظي، محمد بن هادي بكري، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود، تحقيق: عبدالمنعم إبراهيم الجمعي، (د.ط، مصر، الفيوم، مطابع النيل، د.ت)، ص13.
- (119) الحفظي، مصدر سابق، ص52.
- (120) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، (د.ط، الرياض، العبيكان، 1419هـ/1999م)، ص163.
- (121) الحفظي، مصدر سابق، ص52.
- (122) ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. الفاخري، مصدر سابق، ص163.
- (123) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص103. الكركوكلي، مرجع سابق، ص227.
- (124) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. الفاخري، مصدر سابق، ص163. البهكلي، مصدر سابق، ص166. الحفظي، مصدر سابق، ص52. الحبشي، عبدالله بن محمد، «تاريخ الوهابية من مخطوط يمني»، العرب، مج7، ع1، (1392هـ/1972م)، ص46.
- (125) الطريف: هو الحي الأول في العاصمة الأولى الدرعية، ومقر الحكام، وبها قصورهم ومساجدهم وحصونهم. خميس، عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، (ط1، الرياض، مطبعة الفرزدق، 1398هـ/1978م)، ج2، ص113.
- (126) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98.
- (127) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. الفاخري، مصدر سابق، ص163.
- (128) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261. لمع الشهاب، مصدر سابق، ص103. البهكلي، مصدر سابق، ص166. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. الحبشي، مصدر سابق، ص46.
- (129) التميمي، محمد أمين، «وثيقتان تاريخيتان في تاريخ الدولة السعودية»، الدارة، مج1، ع2، (1395هـ/1975م)، ص96. أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية: HAT-00082-03381-G-00001.

- خطاب صادر من أحد رجال الحكومة إلى السلطان العثماني، بتاريخ 10/08/1218 هـ. موجاني، علي، وثائق نجد، ترجمة: عقيل خورش، (ط1، بيروت، دار المحجة البيضاء، 1435هـ/2014م) ص347-348.
- (130) أبو علي، عبدالفتاح حسن، دراسة حول المخطوط التركي، (د.ط، الرياض، دار المريخ للنشر، 1403هـ/1983م)، ص48.
- (131) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص262. ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. البهكلي، مصدر سابق، ص167. الفاخري، مصدر سابق، ص163. البسام، عبدالله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم الخالدي، (ط1، الكويت، المختلف للنشر، 1420هـ/2000م)، ص250.
- (132) العمادية: قلعة حصينة في شمالي الموصل، عمرها عماد الدين زكي بن آق سنقر سنة 537هـ/1142م، وكان قبلها حصناً للأكراد، وأعاد بناءها وسماها باسمه، وقد كانت تعرف باسم (آشب). الحموي، مصدر سابق، ج4، ص149. وهي بلد الأكراد المعروفة بالقرب الموصل. ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261.
- (133) ابن بشر، مصدر سابق، ج1، ص261-262.
- (134) ابن عيسى، مصدر سابق، ص98. البهكلي، مصدر سابق، ص166. الفاخري، مصدر سابق، ص163. آل بسام، خزانة التواريخ النجدية، ج3، ص182.
- (135) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص104.
- (136) بوركهارت، مرجع سابق، ص96.
- (137) أبو علي، دراسة حول المخطوط التركي، ص48.
- (138) الكركوكلي، مرجع سابق، ص228.
- (139) القنوجي، مرجع سابق، ص296.
- (140) العجلاني، مرجع سابق، ج2، ص208.
- (141) الحبشي، مصدر سابق، ص47.
- (142) أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية، وثيقة رقم: HAT-00082-03381-G-00001، بتاريخ 10/08/1218 هـ. وثائق نجد، مرجع سابق، ص347-348.
- (143) التميمي، مرجع سابق، ص95-96.
- (144) Jean Francois Rousseau جان فرانسوا روسو: مستشرق وسياسي معروف، قضى معظم حياته في الشرق، عمل في كل من حلب وبغداد والبصرة وكيلاً لشركة الهند الشرقية أولاً، ثم قنصلاً لبلاده، ولد في سنة 1151هـ/1738م في إيران أصفهان، وتوفي في حلب في سنة 1223هـ/1808م. البقاعي، محمد خير محمود، «جان-باتيست-لويس-جاك روسو وكتابه وصف ولاية بغداد مذيّل بتعليقة تاريخية عن الوهابيين وبعض المقاطع الأخرى المتعلقة بتاريخ الشرق وأدبه»، العرب، مج40، ع34، (1425هـ/2004م)، ص228.
- (145) آل زلفة، محمد بن عبدالله، «الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير 1218-1229هـ/1803-1814م : العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب» الدرعية، مج1، ع1، (1418هـ/1998م)، ص153.

- (146) دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم C-3381، تجهيز علي باشا -والي بغداد- الجيش من أجل قتال الإمام عبدالعزيز ومقتل المذكور، بتاريخ 26/08/1218هـ.
- (147) التميمي، مرجع سابق، ص 96. لمع الشهاب، مصدر سابق، ص 104. القنوجي، مرجع سابق، ص 296. ابن بشر، مصدر سابق، ج 1، ص 261.
- (148) سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، (د.ط، بيروت، مطبعة كرم، د.ت)، ج 1، ص 74.
- (149) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص 211-210.
- (150) دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم 2718، الإجراءات المتخذة لتمدد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بتاريخ 01/05/1218هـ.
- (151) دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم 31646/751، تقرير عن إرسال النقود إلى الوزير علي باشا -والي بغداد- الذي سيقوم بتحركات عسكرية على الدرعية، بتاريخ 25/05/1218هـ.
- (152) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص 104.
- (153) التميمي، مرجع سابق، ص 95-96.
- (154) ابن بشر، مصدر سابق، ج 1، ص 261.
- (155) سعيد، مرجع سابق، ص 73.
- (156) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص 104-105.
- (157) أبو علي، دراسة حول المخطوط التركي، ص 48.
- (158) الكركوكلي، مرجع سابق، ص 227.
- (159) القنوجي، مرجع سابق، ص 296.
- (160) أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية، وثيقة رقم: HAT-00082-03381-G-00001، بتاريخ 10/08/1218هـ. وثائق نجد، مرجع سابق، ص 347-348.
- (161) الحبشي، مصدر سابق، ص 47.
- (162) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، (د.ط، قطر، مطابع دار علي، د.ت)، ج 3، هامش ص 1576.
- (163) ابن بشر، مصدر سابق، ج 1، ص 261. ابن عيسى، مصدر سابق، ص 98.
- (164) أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية، وثيقة رقم: HAT-00082-03381-G-00001، بتاريخ 10/08/1218هـ. وثائق نجد، مرجع سابق، ص 348.
- (165) الحبشي، مصدر سابق، ص 47.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

- (1) أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية: 10000-G-18330-28000-TAH، خطاب صادر من أحد رجال الحكومة إلى السلطان العثماني، بتاريخ 8121/80/01هـ.
- (2) دائرة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم 1833-C، تجهيز علي باشا والي بغداد الجيش من أجل قتال الإمام عبدالعزيز ومقتل المذكور، بتاريخ 8121/80/62هـ.
- (3) دائرة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم 8172، الإجراءات المتخذة لتمدد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بتاريخ 5/12180/10هـ.
- (4) دائرة الملك عبدالعزيز، الرياض، وثيقة رقم 157/64613، تقرير عن إرسال النقود إلى الوزير علي باشا والي بغداد الذي سيقوم بتحركات عسكرية على الدرعية، بتاريخ 8121/50/52هـ.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (1) أبن باز: عبدالعزيز، رسالة مهمة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، د.ط، الرياض، دار الوطن للنشر، د.ت.
- (2) البخاري: محمد صديق حسن خان القنوجي، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط2، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428هـ/2007م.
- (3) البراك: عبدالعزيز بن ناصر، الشيخ راشد بن خنين الحفني 1206-1106هـ، ط1، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ / 2011م.
- (4) آل بسام: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، خزانة التواريخ النجدية، ط1، دن، 1419هـ/1999م.
- (5) البسام: عبدالله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم الخالدي، ط1، الكويت، المختلف للنشر، 1420هـ/2000م.
- (6) أبن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: محمد بن ناصر الشثري، ط3، الرياض، مطابع الحميضي، 1433هـ/2011م.
- (7) البقاعي: محمد خير محمود، جان-باتيست-لويس-جاك روسو وكتابه وصف ولاية بغداد مذيّل بتعليقة تاريخية عن الوهابيين وبعض المقاطع الأخرى المتعلقة بتاريخ الشرق وأدبه، العرب، مج40، ع3، 1425هـ/2004م.

- (8) البهدل: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله، جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في الدعوة والاحتساب، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1404هـ / 1984م.
- (9) البهكلي: عبدالرحمن بن أحمد، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، د.ط، الرياض د.ن، 1402هـ/ 1982م.
- (10) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، د.ط، الرياض، د.ن، د.ت.
- (11) التركي: عبدالله بن عبدالمحسن، الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
- (12) التميمي: محمد أمين، «وثيقتان تاريخيتان في تاريخ الدولة السعودية»، الدارة، مج 1، ع 2، 1395هـ/ 1975م.
- (13) أبن تيمية: تقيس الدين أبو العباس، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط 1، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1406هـ/ 1986م.
- (14) ج.ج: لوريمر، دليل الخليج، د.ط، قطر، مطابع دار علي، د.ت.
- (15) الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، د.ط، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، د.ت.
- (16) الحبشي: عبدالله بن محمد، تاريخ الوهابية من مخطوط يمني، العرب، مج 7، ع 1، 1392هـ/ 1972م.
- (17) الحربي: مبارك محمد المعبدي، محاضرات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ط 3، جدة، خوارزم العلمية، 1440هـ/ 2019م.
- (18) الحفظي: محمد بن هادي بكري، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود، تحقيق: عبدالمنعم إبراهيم الجميعي، د.ط، مصر بالفيوم، مطابع النيل، د.ت.
- (19) خزعل: حسين خلف الشيخ، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د.ط، بيروت، دار الكتب، د.ت.
- (20) خميس: عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، ط 1، الرياض، مطبعة الفرزدق، 1398هـ / 1978م.
- (21) الدهش: احمد بن صالح بن سليمان، موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العثمانية حتى عام 1233هـ، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1407هـ/ 1987م.
- (22) أبن دهيض: عبداللطيف بن عبدالله، أحوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، العرب، م 22، ع 1، 1407هـ/ 1987م.

- (23) بن دهيش: نعيمة عبدالله عمر، عهد الإمام محمد بن سعود 1179-1139هـ/1765-1726م، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1420هـ/2000م.
- (24) الزركلي: خير الدين، الأعلام، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1422هـ/2002م.
- (25) آل زلفه: محمد بن عبدالله، الدولة السعودية الأولى في عهد الامام سعود الكبير 1229-1218هـ-/1803-1814م : العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب، الدرعية، مج1، ع1، 1418هـ/1998م.
- (26) سعيد: أمين، تاريخ الدولة السعودية، د.ط، بيروت، مطبعة كرم، د.ت.
- (27) السعيد: خالد بن عبدالله، الخرج في عهد الدولة السعودية الأولى 1233-1157هـ/1818-1744م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع9، 1442هـ/2021م.
- (28) السقاف: علوي بن عبدالقادر وآخرون، الموسوعة التاريخية، د.ط، د.م، المكتبة الشاملة، 1433هـ/2012م.
- (29) الشريف: حشيم بن غازي بن عبدالله البركاتي، التعليم في عهد الدولة السعودية الأولى (1233-1157هـ/1818-1744م)، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، 1423 هـ / 2002م.
- (30) الشويعر: محمد بن سعد، من الملامح الاقتصادية في نجد قبل قرنين ونصف، الدارة، مج17، ع1، 1411هـ/1991م.
- (31) الظاهري: أبو عبدالرحمن ابن عقيل، الحياة العلمية في الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، الدرعية، مج13، ع49، 50، 1431هـ/2010م.
- (32) عبدالرحيم: عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط2، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1395هـ/1975م.
- (33) عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى 1818-1745 وأثرها على مجتمع شبه الجزيرة العربية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س7، ع25، 1401هـ/1981م.
- (34) العثيمين: عبدالله الصالح، الدرعية نشأة وتطورا في عهد الدولة السعودية الأولى، ط1، الرياض، داره الملك عبدالعزيز، 1434هـ/2012م.
- (35) العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ط13، الرياض، مكتبة العبيكان، 1426هـ / 2005م.
- (36) العثيمين: عبدالله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، ط1، الرياض، مطابع الشرق الأوسط، 1401هـ/1981م.
- (37) العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، ط2، الرياض، دار الشبل للنشر، 1413هـ/1993م.

- (38) **العريني:** عبدالرحمن بن علي، الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، ط1، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ/1999م.
- (39) **العريني:** عبدالرحمن بن علي، بادية نجد من القرن العاشر الهجري إلى سقوط الدرعية 1233هـ/1818م، ط1، الرياض، الإدارة العامة للثقافة والنشر، 1420هـ/1999م.
- (40) **عطار:** عبدالغفور، صقر الجزيرة، ط3، بيروت، مطبعة الحرية، 1392هـ/1972م.
- (41) **العقيقي:** نجيب، المستشرقون، ط3، مصر، دار المعارف، 1383هـ/1964م.
- (42) **أبو علي:** عبدالفتاح حسن، دراسة حول المخطوط التركي، د.ط، الرياض، دار المريخ للنشر، 1403هـ/1983م.
- (43) **العمرو:** عمرو بن إبراهيم، بريدة في عهد إمارة حجيلان بن حمد آل عليان (1234-1194هـ/1780-1818م)، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، 1431هـ/2010م.
- (44) **العوسجي:** محمد بن حمد بن عباد، تاريخ ابن عباد، تحقيق: عبدالله بن ناصر الشبل، د.ط، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ / 1999م.
- (45) **أبن عيسى:** إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، د.ط، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ / 1999م.
- (46) **العيسى:** محمد الفهد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1415هـ/1995م.
- (47) **أبن غنام:** حسين، تاريخ ابن غنام، تحقيق: سليمان صالح الخراشي، ط1، الرياض، دار الثلوثية، 1421هـ-2010م.
- (48) **الفاخري:** محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، د.ط، الرياض، العبيكان، 1419هـ/1999م.
- (49) **فيلبي:** سنت جون، تاريخ نجد، ترجمة: عمر الديسراوي، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م.
- (50) **الكركوكلي:** رسول، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، د.ط، بيروت، مطبعة كرم، د.ت.
- (51) **لبان:** امتنان ممدوح سراج، الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد 1229-1234هـ/1814-1818م، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1443هـ/2021م.
- (52) **الألوسي:** حمود شكري، تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط1، بغداد، دار الوراق، 1427هـ/2007م.
- (53) **معمر:** عبدالمحسن بن محمد، إمارة العيينة وتاريخ آل معمر، د.ط، الرياض، دار المريخ، د.ت.

- (54) **المغنم:** علي بن صالح، الدرعية التاريخية أطلال تتحدث عن عاصمة، الخميسية، ع6، 1435هـ/2014م.
- (55) **أبن منظور:** لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ/1993م.
- (56) **المنيعة:** الجوهرة عبدالرحمن، الامام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ودوره في بناء الدولة السعودية الأولى (1157هـ-1218هـ)-(1744م-1803م)، رسالة ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات في الرياض، 1414هـ / 1993م.
- (57) **مؤلف مجهول:** لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: أحمد مصطفى أبو حاكم، د.ط، بيروت، بيباوس، 1387هـ/1967م.
- (58) **النجدي:** محمد بن عبدالله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.
- (59) **هذلول:** سعود، تاريخ ملوك آل سعود، ط1، الرياض، مطابع الرياض، 1380هـ/1961م.
- (60) **الهيتمي:** ابن حجر شهاب الدين، مبلغ الأرب في فخر العرب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ/1990م.

طرابلس الغرب من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب (من القرن الثالث حتى القرن الثامن الهجري)

باحثة دكتوراة - قسم التاريخ والحضارة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

١. أماني سعيد الحربي

المستخلص:

تعتبر كتب الرحالة والجغرافيين العرب من أهم المصادر التي يرجع إليها في الكتابة التاريخية عن المدن فهي تحوي معلومات أغفلتها الكتب التاريخية ، فقد نقل لنا الرحالة والجغرافيين العرب ما شاهدوه في المدن ، من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وابرز المعالم الحضارية للمدن ، فذكر الرحالة والجغرافيين العرب مسميات مدينة طرابلس الغرب ، ووصفوا سكانها وأخلاقهم ، وملبسهم ومأكلهم ، وأشهر أسواقها وما يباع فيها ، وزراعتهم وتجارتهن ، وأشهر السلع التجارية التي تصدرها ، والضرائب المفروضة على القوافل التجارية وغير التجارية ، كما سلطوا الضوء على الحياة العلمية من مساجد ومدارس وابرز علمائها ، وابرز معالمها الحضارية ، وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على مدينة طرابلس الغرب ، وابرز معالمها التاريخية من خلال ما كتبه الرحالة والجغرافيين العرب ، اما الحدود الزمنية للدراسة : فمن القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثامن الهجري ، واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي استناداً على كتب الرحالة والجغرافيين العرب ، ومقارنتها ببعضها ، وما ورد في الكتب التاريخية

الكلمات المفتاحية : طرابلس ، السكان ، الأسواق ، الزراعة ، التجارة ، دور العلم والعبادة

Est Through The Writings of Arab travelers & geographers (From the third century until the eighth century AH)

Mrs. Amani Saeed Al-Harbi, PhD researcher

Umm Al-Qura University - College of Sharia & Islamic Studies

History & Civilization Department

Abstract:

The books of Arab travelers and geographers are considered of the most important sources that are referred to in historical writing about cities, as they contain information that historical books overlooked. Arab travelers and geographers conveyed to us what they saw in cities of aspects of social, economic and scientific life and the most prominent Civilizational landmarks of the cities. Arab travelers and geographers mentioned the names of the west city of Tripoli. They described its inhabitants, their ethics, their clothing and food, its most famous markets and what is sold there, their agriculture and trade, the most famous

commercial goods that it exports, and the taxes imposed on commercial and non-commercial convoys. They also shed light on the academic life of mosques and schools and its most prominent scholars, and its most prominent cultural landmarks. The study aimed shed light on the west city of Tripoli, and its most prominent historical landmarks through what was written by Arab travelers and geographers. As for the time limits of the study: It is from the third century AH, until the eighth century AH, and the study applied the historical, descriptive and analytical method based on the books of Arab travelers and geographers, compared to each other, and what is mentioned in historical books.

Keywords: Tripoli, Inhabitants, markets, agriculture, trade, Homes of knowledge and worship.

المقدمة :

كان العرب هم السابقون في مجال الرحلات فانتقلوا من مدينة إلى أخرى، ووصفوا لنا عن طريق المشاهدة كل ما تقع عليه أعينهم من وصف طبيعة أهلها، وما اشتهرت به من محصولات زراعية وما تتاجر به مع البلاد الأخرى وأشهر أسواقها، وصفوا أشهر مساجدها، والمدارس الموجودة بها وأبرز علمائها وأبرز معالمها الأثرية، فأصبحت كتب الرحالة والبلدانيين، مصدر من مصادر التاريخ لمعرفة تطورات المدن وأبرز الخصائص فيها.

جغرافية مدينة طرابلس:

طرابلس الغرب تقع في أفريقيا الشمالية^(١)، وهي واحدة من ثلاث ولايات تتشكل منها المملكة الليبية، وتغطي طرابلس جزء كبير من أراضي ليبيا تقدر مساحتها 1,750,000 كيلو متر مربعا^(٢)، وتقع بين البحر الأبيض المتوسط شمالا، وتونس غربا، ومصر شرقا، والصحراء الكبرى جنوبا^(٣)

مسميات المدينة وحصانته أسوارها:

يذكر ياقوت الحموي أنها تسمى طرابلس أو أطرابلس « وطرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن سماها اليونانيون طرابلسية وذلك بلغتهم أيضاً ثلاث مدن لأن طرابلس معناها ثلاث وبليطة مدينة » ويتفرد ياقوت الحموي أن أول من بنا طرابلس هو أشباروس قيصر، وأن من مسمياتها مدينة إياس^(٤) وسميت طرابلس أيضاً بالمدينة البيضاء وفي ذلك يقول التجاني (ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يعشي الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء)^(٥) وتتفق المصادر على أن مدينة طرابلس مدينة حصينة مسورة بسور مبني من الصخور وتقع على شاطئ البحر^(٦) ويتفرد ابن حوقل بوصف لون الصخور « وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر »^(٧) فموقع طرابلس محاطة شمالا بالبحر الأبيض وغربا بتونس وشرقا بمصر وجنوبا بالصحراء الكبرى^(٨) وحصانة أسوارها، يمنع أي هجوم من الممكن أن تتعرض له المدينة، أما وصف أسوار المدينة وأبوابها فلا نجدها إلا لدى الرحالة التجاني فقد أسهب في وصف المدينة أكثر من الرحالة الآخرين، وربما هذا بسبب طول إقامته في المدينة، فوصف مدى اعتناء

أهل طرابلس بسورها ، والاحتفال ببنائه مالم يره في مدينة أخرى ، وبرر ذلك لأن لأهلها نصيب من الجباية والضرائب والتي يصرفونها في ترميم سورها ، وما تحتاج إليه الأمور الهامة ، فهم ما يزالون يجددون ما أنهدم من البناء ، ويقومون بتدارك هدمه بصيانتته بشكل دوري مستمر⁽⁹⁾

أبواب المدينة :

وذكر لنا التجاني باب يسمى بباب الستارة ملحق بالسور أمر ببنائه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن ابي حفص في عام 614هـ / 1217م ، ومكتوب علي الباب كما ذكر التجاني « ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر ، وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس »⁽¹⁰⁾ و يقابل باب الستارة باب يعرف باب هواره نسبة إلى من نزل به في أول الزمان⁽¹¹⁾

دار والي المدينة:

ذكر التجاني أن قصبة مدينة طرابلس كان يسكنها والي المدينة فتنازل عنها الوالي للتجاني لضافته وأشار التجاني أن للقصبة رحبتين واسعتين ، ويقع خارج القصبة مسجد العشرة ، ويقابل موضع القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص بوالى البلد قديماً ، من مباني طرابلس قديماً وذكر عن حسنه وثماره وضخامة مبانيه غير أنه أصابه الخراب ، وما به من آثار وقد بيع الموضوع لاحد العرب والذي بناء دار في مكانه⁽¹²⁾

حمامات طرابلس:

فيذكر التجاني أنه دخل حمام البلد وهو حمام مجاور للقصبة «فرايت حماما صغير الساحة إلا انه بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فيبيع من جملة ما بيع منها ، وهو الآن محبس على بعض المساجد » ووصف حمامان آخرين أقل جمالاً من الحمام المجاور للقصبة «وبالبلد حمامان غيره إلا انهما في الحسن دونه »⁽¹³⁾ وفي كتاب الاستبصار ذكر كثرة الحمامات في طرابلس⁽¹⁴⁾

مقابر طرابلس :

وصف التجاني مدي أهمال أهلها لمقابرهم ، والتي تقع في الجهة الشمالية ، وعن امتلائها بالبشر ، وتناثر عظام الموتى وجماجمهم وظهورها للعيان « ورايت مقابر طرابلس كلها فوجدتها قد امتلات كم بني آدم وغلبت عظامهم على تراب الأرض فلا ترى منها ملء كف تراب إلا وعليها جمجمة ، أو عظم ولاسيما الجهة الشمالية منها» ، وكان يسمح كما ذكر التجاني بدفن الغرباء الذين ليسوا من أهل طرابلس في مدافنهم⁽¹⁵⁾

مساجد والاربطة في طرابلس :

فقد ذكر لنا الحموي مسجد الشعاب ولم يفصل في ذكر من بني المسجد ، وكان المسجد على زمن قدوم التجاني خالي لا عمارة به⁽¹⁶⁾ ومنسوب بناء هذا المسجد إلى أبي محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء من أهل طرابلس وكان نجار وسبب تسمية المسجد باسمه لأنه هو الذي أتم بناءه وسكن به⁽¹⁷⁾ ، ومن مساجد طرابلس مسجد العشرة وكان مكان لاجتماع أشياخ البلد، يجتمعون فيه للتشاور وتدير أمر بلاد طرابلس وكان إنشائه قبل حكم الموحيدين لطرابلس⁽¹⁸⁾ و مسجد خطاب ويقع خارج المدينة من جهة الشرق ، وينسب للشيخ خطاب البرقي الرجل الصالح⁽¹⁹⁾ ، وبخارج مدينة طرابلس يقع مسجد عرف بالجدود

، أو مسجد الجدة وسبب تسميته بذلك لأن إحدى جدات بني الأغلب ولاة إفريقية بنته ثم عرف فيما بعد بمسجد البارزى لسكنى أبي الحسن البارزى ⁽²⁰⁾، ومن مساجدها مسجد عرف بمسجد المجاز ، وكان يسكنه العالم أبي الحسن على بن أحمد بن الخطيب سكنه أربعين عاماً وكان فقيهاً صالحاً زاهداً له مؤلفات في الفقه والفرائض ⁽²¹⁾، وفصل التجاني عند ذكر جامع طرابلس أكثر من المساجد السابقة التي ذكرها فوصف عمارتها « جامع طرابلس الأعظم الذي بناه بنو عبيد وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض على أعمدة مستديرا ، فلما تم نصفه كذلك سدس ⁽²²⁾ ، وأشار أيضاً إلى مسجد عمرو بن العاص بالقرب سوق الغنم ⁽²³⁾ وأشار بان مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عدة ⁽²⁴⁾ وعن الاربطة يذكر لنا الحموي أن بطرابلس أربطة كثيرة يأوي إليها الصالحون ، أقدمها وأشهرها مسجد الشعاب ⁽²⁵⁾

الآبار والعيون :

أجمع كل من البكري والحموي على ذكر بئر أبي الكنود وبئر القبة ، وبئر أبي الكنود يقع داخل المدينة ⁽²⁶⁾، « وهم يعيرون به ويحمق من شرب منه ، فيقال للرجل إذا أقي بما يلام عليه : لا يعتب عليك لأنك شربت من بئر أبي الكنود ⁽²⁷⁾ ، أما بئر القبة فامتازت مياه بالعدوبة ⁽²⁸⁾ وانفرد التجاني عن البكري والحموي بوصف ما شاهده من أن كثير من أهل البلد يشربون من مائها ولايتخرج من ذلك ، كما أنها مورد تشرب منه ماشيتهم ⁽²⁹⁾

سكان طرابلس ورقي تعاملهم :

وأما عناصر السكان في طرابلس ، فقد ذكر لنا اليعقوبي عند وصف أهلها بأنهم أخلاط من الناس وهذا مما يدل على تنوع العناصر السكانية في طرابلس ⁽³⁰⁾

وعن رقي أهلها في التعامل فلا نجد غير ما وصفه ابن حوقل وصاحب كتاب الاستبصار ، فيقول ابن حوقل « وأهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم » « ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد » فيسرعوا لمساعد رسوا القوارب القادمة على مراسيهم ، إذا اشتد الموج وصعب على أصحابها رسو مراكبهم ، فامتاز أهل طرابلس بحسن معاملة الغرباء ، وهذا الكلام ينفي ما قاله الرحالة العبدري عند قدومه إلى طرابلس فقد ذم أهلها ولم يمتدحهم « واستولي عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر ، وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر ، لا ترى بها شجراً ولا ثمراً ، ولا تخوض في أرجائها حوضاً ولا نهراً ، ولا تجتلي روضاً يحوي نوراً ولا زهراً ، بل هي أفقر من جوف حمار ، وأهلها سواسية كأسنان الحمارة ، ليس على ناشئ منهم فضل لذي شيبة ، ولا لذي الفضل منهم هيبة ، ترى أجساماً حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة ، ملابس يلبسها ليلبس بها من ملابس العيوب العيبة إلى بخل لو مازج ماء البحر جمداً أو خالط الهواء سكن في آذار وركد وخلق يضيق به متسع الفضاء ، ونزق يحق له في ذمهم كشف الغطاء ، وأذهان أربت في الضيق على الخاتم سواء لديها من حارب ومن سلم فسبحان من خلقهم » مما سبق نجد تحامل كبير من قبل العبدري الذي لا ننكر مكانته كرحالة جاب البلاد لتعلم العلم وأخذها من كبار العلماء، ولكن في هذا الكلام نقد كبير لسكان طرابلس ، وربما سبب ذلك لأنه لم يجد الترحيب الذي كان ينتظره منهم عند قدومه ، أو ربما صدر عن بعض سكانها تصرفات لم تتناسب مع طبيعة العبدري

الملبس والمأكّل في طرابلس:

لا نجد وصفاً لمدى اهتمام أهل طرابلس بنظافة ملابسهم إلا عند ابن حوقل فقد تفرد في وصف ذلك ، فوصف أهلها باهتمامهم بنظافة ملابسهم والاهتمام بالتجمل في اللباس والاهتمام بحسن صورتهم » وأهلها قومٌ مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والاحوال ، متميزون بالتجميل في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش »⁽³¹⁾، وانعكس اهتمامهم بملابسهم باهتمامهم بنظافة شوارعهم فالرحالة التجاني في القرن السابع مدح مدى اهتمام أهلها بنظافة شوارعهم وفي ذلك يقول « ورايت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة »⁽³²⁾

أما طعام أهلها فقد ذكر التجاني أن كل فرد من أهل طرابلس يعتمد في طعامه على ما يجلب من البحر ، وذكر عاده عندهم فهم لا يسمحون لأي فرد منهم بإخراج شيئاً مما حصل ببلدهم من الطعام إلى خارجة ويعاقبون من يفعل ذلك⁽³³⁾

أسواق طرابلس وأشهر منتجاتها:

فقد أجمع كل من البكري والحموي بأنها تشتهر بكثرة الأسواق « أسواق حافلة جامعة »³⁴ ولم يذكروا لنا أسماء تلك الأسواق، وذكر الإدريسي بأنها « متقنة الأسواق وبها صناع وأمتعة » وهذا مما يدل على تنوع منتجاتها في الأسواق وكثرة الصناعة فيها⁽³⁵⁾ ، ويذكر التجاني سوقاً لبيع الغنم يقام على بطحاء كبيره مقابل باب هواره ، داخل المدينة يبيعون فيها أغنامهم ومواشيهم⁽³⁶⁾

الزراعة والتجارة:

أما الزراعة فقد وصف الحموي طرابلس بأنها كثيرة الثمار ولها بساين كثيرة في شرق المدينة دون أن يفصل في ذكر أنواع الفواكه والثمار المتواجدة بها⁽³⁷⁾، ويوافقه صاحب كتاب الاستبصار بأن بساينها تقع في شرق المدينة⁽³⁸⁾ ، وذكر ابن حوقل أن بها أنواع مختلفة من الفواكه كالخوخ والفرسك والكمثرى⁽³⁹⁾، أما المقدسي فقد ذكر أنها تشتهر بالأنجاص والتفاح⁽⁴⁰⁾، بينما يذكر الإدريسي بأنها تشتهر بكثرة أشجار الزيتون والتين وبها الكثير من الفواكه والنخل⁽⁴¹⁾، أما في كتاب الاستبصار يصف مدينة طرابلس بأنها «كثيرة الفواكه جمّة الخيرات»⁽⁴²⁾ ، وذكر التجاني شجرة الجميز ، بالقرب من مصلي العيون في طرابلس وهي شجر تشبه شكل التين إلا أن ورقه أصغر من ورق التين وثمارها تخرج ملتصقة بالغصن وطعمه بالحلاوة الشديدة مع غثاثة ، ولا يوجد خارج طرابلس شجرة سواها ، ماعدا نخلات يسير في الجهة الغربية من المدينة ، أما داخل البلد فاشتهر أهلها بزراعة النخلة أو الكرمة داخل بيوتهم « فإنهم يسمون شجرة التين الكرمة » ، وذكر أن بخارج المدينة صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم يرى «أقوى منه فوحا، ولا أعطر روحا»⁽⁴³⁾

أما التجارة فيذكر ابن حوقل بأن مدينة طرابلس تردها الكثير من السلع التجارية المختلفة من بلاد الروم وأرض المغرب « ، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية ، والسود والبيض الثمينة إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم » ، تنوع السلع التجارية في مدينة طرابلس و التي ترد على أسواقها ، يدل على تبادل السلع التجارية بين طرابلس والبلاد المجاورة لها وبالتالي ازدهار النشاط الاقتصادي في طرابلس وأن لم يفصل في ذلك ابن حوقل⁽⁴⁴⁾ ، وكانت طرابلس في هذه الفترة لها تجارة تصدير وتوريد نشطة

ورائحة ، فكان الأوربيون يصدرون لطرابلس الأخشاب ومصنوعاتها والذهب والفضة ويستوردون منها الصوف والجلود والتمور والزيت والملح وكان الملح يستخرج بكميات كبيرة⁽⁴⁵⁾ ، وفي الاستبصار ذكر لنا مؤلفها أن الكثير من أهل طرابلس يعملون في التجارة فهم يسافرون برا وبحرا⁽⁴⁶⁾ ، وهذا مما يعزز وجود العلاقات التجارية المتبادلة بين طرابلس والمدن المجاورة لها ويؤدي إلى ازدهار التجارة .

الضرائب :

وانفرد ابن حوقل بذكر الضرائب التي يأخذها والي طرابلس على كل جمل وحمل وحمل « فأما اطرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية ، وسمعت من يذكر أن عمل افريقية لما كانت اطرابلس مضافة إليها معروف معلوم وكان من صبره وهي منزل من اطرابلس على يوم وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا ، ولم اعرفها قديماً ولا سمعت بها على الخارج من اطرابلس إلى القيروان وعلى القادم من القيروان إلى اطرابلس غير ما يقبضه المتولى عمل اطرابلس من كل جمل ومحمل وحمل »⁽⁴⁷⁾

مرسي المدينة :

يصف لنا التجيبي المرسي التي ترسوا عنده المراكب التجارية وغير التجارية ، بأنه مرسي مشرف على ساحل البحر يمتاز بالاتساع ، حيث تقرب المراكب من البر وتصطف المراكب حول المرسي⁽⁴⁸⁾ ، أما ابن حوقل والذي كان رحل إلى طرابلس قبل التجاني فقد وصف مدي تعاون ومساعدة أهل طرابلس مع أصحاب السفن التي تتعرض فيها سفنهم للأمواج البحر⁽⁴⁹⁾ ، وهذا مما يدل على رقي تعاملهم واهتمامهم بنشاط التجارة باعتبارها مورد من موارد البلاد

مدارس طرابلس وأشهر علمائها:

وذكر التجاني كثرة المدارس في مدينة طرابلس ، وعلى الرغم من ذكره بأن مدينة طرابلس تشتهر بكثرة المدارس إلا أنه لم يذكر غير مدرسة واحدة وهي المدرسة المستنصرية التي بناها العالم أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات « وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأطرفها صنعا »⁽⁵⁰⁾ ، وقد بناها أبي محمد في الفترة من عام 655هـ / 1257م إلى عام 658هـ / 1260م ، وموقعها بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس⁽⁵¹⁾ ، أما الرحالة العبدري فقد مدح مدرسة طرابلس دون ذكر اسم المدرسة ولكن على الأرجح أنها المدرسة المستنصرية حيث لا نجد ذكر لمدرسة غيرها وفي ذلك يقول « ولم أر بها ما يروق العيون وسما عن أن يقوم بالدون ، سوى جامعها ومدرستها ، فإن لهما من حسن الصورة نصيباً ومن اتقان الصنعة سهماً مصيباً ، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة »⁽⁵²⁾

أما أشهر العلماء الذين التقى بهم الرحالة التجاني فنذكر العالم الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبيد ، حضر له درساً في مسجد مجاور لبيتة وقراءه عليه ، فقرأ عليه صحيح مسلم ، وصحيح البخاري وكتب له إجازة بذلك⁽⁵³⁾ ، أما العبدري فقد حضر درس للعالم أبي محمد عبد الله بن عبد السيد في المدرسة المستنصرية⁽⁵⁴⁾ ، ومن العلماء الذين يذكروهم الحموي العالم عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي، سافر إلى بغداد ومات بها عام 510 هـ / 1116م ، والعالم الحسن علي بن عبد الله بن مخلوف الطرابلسي الذي كان له اهتمام بالتواريخ وألف كتاب في تاريخ طرابلس وكان « فاضلاً في فنون شتى أخذ عنه السلفي وسافر إلى الحج فأدرسته المنية بمكة في ذي الحجة عام 522 هـ / 1128م⁽⁵⁵⁾

الخاتمة :

- نجد أن الرحالة والجغرافيين مكملين لبعضهم في وصف المدينة وما امتازت به من أبرز خصائص المدينة وأن كان الرحالة التجاني هو أكثر رحالة أمدنا بمعلومات لم نجدها في كتب تاريخ طرابلس
1. أسهم التجاني في وصف مدينة طرابلس مما يدل على مدى الرخاء الاقتصادي التي تنعم بها طرابلس ومدى ما وصلت إليه من تطور عمراني وازدهار في زمن وصوله طرابلس عام 706هـ/1303م ، حيث وصف أسوارها وابوابها، دار الوالي ، ولم يقتصر على ذلك بل وصف حتي مقابر المدينة
 2. وصف الرحالة التجاني كثرة المدارس في طرابلس ، ووصف هو والعبدي المدرسة المستنصرية وأخذهم من علمائها العلم يدل على وجود حركة علمية في طرابلس مزدهرة ، وأنها مهوي أفئدة طلاب العلم
 3. نقل لنا الرحالة والبلدانيين صورة حية عن عادات أهل طرابلس ، سواء في حب التزيين والاهتمام بنظافة ملابسهم أو إهمالهم بالاهتمام بقبورهم
 4. ذكروا لنا الحموي والتجاني المساجد الموجودة بطرابلس وأن كان التجاني أكثر وصفاً من الحموي، وانفرد الحموي بذكر الرباط الملحق بمسجد الشعاب
 5. لم يقتصر الرحالة والبلدانيين على المعالم البارزة في المدينة ، بل وصفوا لنا حتى الأبَار والعيون الموجودة بها ومدى صلاحية المياه للشرب
 6. ذكروا الرحالة كثرة الأسواق في طرابلس ، وأن لم يفصلوا ،بينما انفرد الرحالة التجاني بذكر سوق بيع الغنم
 7. وصفوا لنا الرحالة البلدانيين تنوع المحصولات الزراعية في طرابلس مما يدل على مدى اهتمام أهلها بالزراعة
 8. ذكروا لنا مدى ما وصلت لها طرابلس من نشاط تجاري حتى أنها تصدر وتستورد من بلاد الروم والمغرب
 9. لم يغفل ابن حوقل عن ذكر الضرائب التي كان يأخذها والى طرابلس من الوافدين على المدينة وهذه صورة أنفرد ابن حوقل بنقلها لنا ابن حوقل لا نجدها لدى الرحالة والبلدانيين الآخرين.

الهوامش:

- (1) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ب. ط ، منشورات الجامعة الليبية ، ب. ت ، ص 13
- (2) تشكل مملكة ليبيا من ثلاث ولايات وهي ولاية طرابلس الغرب ، وولاية برقة ، وولاية بنغازي ، راسم رشدي : طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار النيل للطباعة عام 1953م ، ص 17.
- (3) محمود ناجي : المرجع السابق ، ص 13 ، راسم رشدي : المرجع السابق ، ص 17
- (4) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ب. ط ، بيروت - لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ب. ت ، ج 6 ، ص 254
- (5) التجاني : رحلة التجاني ، ب. ط ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب عام 1981م ، ص 237
- (6) الاصطخري : المسالك والممالك ، ب. د ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام 1381هـ / 1961م ، ص 33، ابن حوقل : صورة الأرض ، ب. ط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ب. ت ، ص 71 ، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي عام 1411هـ / 1991م ، ص 334، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ب. ط ، بورسعيد - مصر ، مكتبة الثقافة الدينية عام 1422هـ / 2002م ، م 1 ، ص 297 ، الحموي : معجم البلدان ، ج 6 ، ص 254
- (7) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 71
- (8) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ص 13
- (9) التجاني : رحلة التجاني ، ص 238
- (10) التجاني : المصدر السابق ، ص 240
- (11) التجاني : المصدر السابق ، ص 245
- (12) التجاني : المصدر السابق ، ص 237
- (13) التجاني : رحلة التجاني ، ص 237 ، 238
- (14) مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ب. ط ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ب. ت ، ص 110
- (15) التجاني : المصدر السابق ، 267
- (16) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 6 ، ص 254 ، التجاني : رحلة التجاني ، ص 247
- (17) التجاني : المصدر السابق ، ص 247
- (18) التجاني : المصدر السابق ، ص 237
- (19) التجاني : المصدر السابق ، ص 248
- (20) التجاني : المصدر السابق ، ص 249
- (21) التجاني : المصدر السابق ، ص 251
- (22) التجاني : المصدر السابق ، ص 253

- (23) التجاني : رحلة التجاني ، ص 245
- (24) التجاني : المصدر السابق ، ص 254
- (25) الحموي : معجم البلدان ، ج6 ، ص 254
- (26) البكري : المسالك والممالك ، ج2 ، ص 655، الحموي : المصدر السابق ، ج6 ، ص 254
- (27) البكري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 655
- (28) البكري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 655، الحموي : المصدر السابق ، ج6 ، ص 254
- (29) التجاني : المصدر السابق ، ص 259
- (30) اليعقوبي : البلدان ، ب. ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ب، ت ، ص 184
- (31) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 72
- (32) التجاني : رحلة التجاني ، 238
- (33) التجاني : المصدر السابق ، ص 258
- (34) الحموي : معجم البلدان ، ج6 ، ص 254 ، البكري : المسالك والممالك ، ص 653
- (35) الإدريسي : نزهة المشتاق في أختراق الأفاق ، م1 ، ص 297
- (36) التجاني : المصدر السابق ، ص 245
- (37) الحموي : معجم البلدان ، ج6 ، ص 254
- (38) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 110
- (39) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 71
- (40) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 334
- (41) الإدريسي : نزهة المشتاق في أختراق الأفاق ، م1 ، ص 297
- (42) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 110
- (43) التجاني : رحلة التجاني ، ص 246، 247
- (44) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 72
- (45) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ص 146
- (46) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 110
- (47) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 71
- (48) التجاني : رحلة التجاني ، ص 246
- (49) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 72
- (50) التجاني : المصدر السابق ، ص 252
- (51) صلاح البهنسي : طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الأفاق العربية عام 1424هـ / 2004م ، ص 67

(52) العبدري : رحلة العبدري ، الطبعة الثانية ، دمشق ، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع عام 1426هـ/

2005 م، ص 186

(53) التجاني : رحلة التجاني ، ص 254-256

(54) العبدري : المصدر السابق ، ص 186

(55) الحموي : معجم البلدان ، ج 6 ، ص 254

المصادر والمراجع :

- (1) البكري : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت 487هـ / 1094م) المسالك والممالك ، حققه وقدم له : أدريان فان ليفون وأندري فيري ، ب. ط ، الدار العربية للكتاب 1992م
- (2) التجاني : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 721هـ / 1321م) رحلة التجاني ، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب ، ب. ط ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب 1981م
- (3) الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ / 1228م) معجم البلدان ، قدم لها: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ب. ط ، بيروت — لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ب. ت
- (4) الإدريسي: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني (ت 560هـ/1164م) نزهة المستاق في أختراق الآفاق ، ب. ط ، بورسعيد — مصر ، مكتبة الثقافة الدينية عام 1422هـ/ 2002م
- (5) الاصطخرى : ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ / 958م) المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحيني ، ب. د ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام 1381هـ / 1961م
- (6) العبدي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد (ت 737هـ / 1337م) رحلة العبدي ، المحقق:علي إبراهيم كردي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع عام 1426هـ/2005
- (7) مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد، ب. ط ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ، ب. ت
- (8) المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت 380هـ / 990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي عام 1411هـ / 1991م
- (9) النصيبي : أبي القاسم بن حوقل (ت 350هـ / 961م) صورة الأرض ، ب. ط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ب. ت 10 - يعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ / 898م)
- (10) البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، ب. ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ب. ت

المراجع :

- (1) البهنسي : صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الأفاق العربية عام 1424هـ / 2004م
- (2) ناجي : محمود، تاريخ طرابلس الغرب ، ب. ط ، منشورات الجامعة الليبية ، ب . ت
- (3) رشدي : راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار النيل للطباعة عام 1953م

منطقة ميسان في إقليم الحجاز قبيل انضمامها للحكم السعودي (دراسة تاريخية تحليلية)

قسم التاريخ والآثار - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. خالد محمد زبلان النفيعي

المستخلص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد: يتناول هذا البحث من تاريخ منطقة ميسان في إقليم الحجاز قبيل انضمامها للحكم السعودي (دراسة تاريخية تحليلية). ويشمل البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة، وقد بينت في المقدمة أهمية موقع منطقة ميسان وسبب تسميتها بذلك، وذكرت مراكزها الإدارية، وأما الفصل الأول من الدراسة فقد تناول موقع منطقة ميسان الجغرافي والتضاريس وأهميته الإستراتيجية، وأوضحنا في الفصل الثاني الحالة السياسية لمنطقة ميسان قبل الحكم السعودي. وتهدف الدراسة إلى: إبراز موقع ميسان السياحي والدور الذي نتج عن تميز موقعها. الكشف عن الوضع السياسي لمنطقة ميسان قبل الحكم السعودي. وأما بالنسبة لأهمية الدراسة فقد تمحورت في التالي: تأتي أهمية الدراسة من حيث الوطنية ودراسة بقعة جغرافية غالية في بلادنا. أهمية الفترة الزمنية للدراسة، إذ أظهرت بوضوح مدى ما وصلت إليه المحافظة من تقدم حضاري. من التوصيات التي خرجت بها الدراسة : إعداد دراسة مستفيضة ومعمقة عن الحياة الاجتماعية بمحافظة ميسان، تأليف معجم تاريخي جغرافي لمحافظة ميسان والمراكز التابعة لها.

الكلمات المفتاحية: ميسان، الطائف، مكة، السروات، الحجاز.

Maysan. Al-Taif, Makkah, Al-Sarawat, Al-Hijaz

Khalid Mohammed Zablan Al nefaie

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and the Imam of the Messengers, our Prophet Muhammad and upon his family and all of his companions and those who follow them in righteousness until the Day of Judgment. As for what follows: This research deals with the history of the Maysan region in the Hijaz region before its accession to Saudi rule (an historical and analytical study). The research includes an introduction, two chapters, and a conclusion. In the introduction, I explained the importance of the location of the Maysan region and the reason for its name, and mentioned its administrative centers. The first chapter of the study dealt with the geographical location of the Maysan region, the

topography, and its strategic importance. In the second chapter, we explained the political situation of the Maysan region before Saudi rule. The study aims to: highlight the tourist location of Maysan and the role that resulted from the distinction of its location. Revealing the political situation of the Maysan region before Saudi rule. As for the importance of the study, it focused on the following: The importance of the study comes from the standpoint of patriotism and the study of an expensive geographical spot in our country. The importance of the time period of the study, as it clearly demonstrated the extent of the governorate's civilizational progress. Among the recommendations that emerged from the study: Preparing an extensive and in-depth study on social life in Maysan Governorate, and writing a historical-geographical dictionary of Maysan Governorate and its affiliated centers.

Keywords: Maysan, Taif, Mecca, Sarawat, Hijaz.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وعلمنا ما جهلنا وذكركنا ما نسينا وافتح علينا فتوح العارفين...أما بعد:

على قمم سلسلة جبال السروات بين الطائف والباحة؛ تقع ميسان إحدى المحافظات التابعة لمنطقة مكة المكرمة؛ في الجزء الجنوبي الغربي منها، حيث تمثل حدود المنطقة مع إمارة منطقة الباحة، ويحدها من الشمال محافظة الطائف، ومن الشرق محافظة تربة، ومن الجنوب الشرقي منطقة الباحة، ومن الجنوب الغربي محافظة أضرم، ومن الغرب محافظة الليث. وتمتد محافظة ميسان بطول متوسط يصل نحو 122 كم، ومتوسط عرض نحو 95 كم، وتبلغ مساحة المحافظة نحو 4721.77 كم². حيث تمثل 3.32% من مساحة المنطقة، ويقدر عدد سكانها عام 1435هـ بنحو 71.1 ألف نسمة؛ بنسبة 0.92% من جملة سكان المنطقة. وتتكون من سبعة مراكز إدارية منها خمسة مراكز من فئة (أ) وهي بني سعد، حداد بني مالك، قريع بني مالك، ترعة ثقيف، ومركز ميسان؛ عاصمة المحافظة، ويصنف كل من مركزي صور وأبو راعة مركزين من فئة (ب). وقد اشتقت اسمها من الميس وهو التبخر والدلال؛ بما حباها الله من جمال الطبيعة، وتتميز موقعها، ومعالمها التراثية وطبيعتها الخلابة وطقسها المعتدل؛ فأصبحت من أهم وأجمل الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية.

كما أطلق مستشار خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة على ميسان مسمى (دولة الغيم).

ففي الربيع تتحول المحافظة إلى الغابات خضراء تغلب عليها أشجار العرعر والزيتون البري (العتم) والضرم والشجيرات البرية والنباتات العطرية. وتختال محافظة ميسان بجبالها الشاهقة التي تصل قممها إلى

أكثر من 2500م فوق سطح البحر. وتحتضن المرتفعات مئات المزارع المنتجة التي تمد الأسواق بشتى أنواع الخضروات والفواكه، وتشتهر بإنتاجها المميز من اللوز والخوخ والتين (الحماط) والتين الشوكي (البرشومي). وتشتهر أيضاً بإنتاج أجود أنواع العسل البلدي كالسدر والسمر والضحيان والطلح والمجرى وغيرها الكثير من أنواع العسل، من خلال مناخها التقليدية والحديثة. وتشهد ميسان في هذا العهد السعودي نهضة تنموية شاملة أسوة بباقي المناطق أسهم ذلك في انتعاش الحركة الاقتصادية والاجتماعية والسياحية؛ فانتشرت الأسواق ودور السكن التي يحتاجها الأهالي والزوار والسياح الذين يقصدون أماكن التنزه والسياحة في ربوعها. وقد استفادت ميسان من وقوعها على طريق السياحي الرابط بين الطائف والباحة، وشكلت بذلك همزة وصل بين المنطقة الغربية والمنطقة الجنوبية، وأيضاً وجود إمكانات سياحية عديدة ومقومات جذب متنوعة في ظل النمو المستمر للتجمعات السكانية، وإمكانية استقطاب استثمارات سياحية وخدمية تنهض بالقطاع السياحي وتدعم التنمية في المنطقة، وتعزز المواقع التراثية القديمة مكانة هذه الجهات السياحية حيث تنتشر القلاع والحصون الحجرية الصامدة من مئات السنين فوق قمم الجبال لتعكس حقبة زمنية ماضية شكلت فيها هذه المباني درعاً حصيناً لسكان المنطقة.

حيث تتمتع محافظة ميسان بمنتهزات طبيعية كالحدب وشفا الغالة والشعبة يرتادها العديد من الزوار إلى جانب السدود القديمة التي تجتذب المتنزهين كسد وادي العطا، وسد وادي داما، وسد المناضح، وترخر المنطقة ببقايا لمساجد قديمة ومراصد فلكية ونقوش تاريخية وسدود زراعية أنشئت منذ قرون سابقة ولا زالت تقوم بتزويد المزارع بالمياه.

الإطار الجغرافي والسياسي لمنطقة ميسان قبيل انضمامها للحكم السعودي:

أولاً: الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية لميسان.

ثانياً: الإطار السياسي لميسان قبيل الحكم السعودي.

الإطار الجغرافي والسياسي لمنطقة ميسان قبيل انضمامها للحكم السعودي

أولاً: الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية لميسان:

العلاقات تقع ميسان في القسم الجنوبي من إقليم الحجاز،⁽¹⁾ الذي يسمى باسم السراة أو السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى القبيلة التي تسكنها⁽²⁾.

السراة لغة: بلفظ جمع السري، وهو جمع جاء على غير قياس أن يجمع فاعيل على فعلة ولا يعرف غيره، وكذا قاله اللغويون، وأما عند سيويوه⁽³⁾ فالسراة في السري اسم مفرد موضوع للجمع كنفر ورهط وليس بجمع مكسر، وسراة الفرس وغيره: أعلى متنه، والجمع منه سروات، وكذا يجمع هذا الجبل بما يتوصل به، وسراة النهار: وقت ارتفاع الشمس، وسراة الطريق: متنه ومعظمه.⁽⁴⁾ وذكر الهمداني: جبل السراة بأنه أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمـن حتى بلغ أطراف بواـدي الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر.⁽⁵⁾

قال الأصمعي⁽⁶⁾: الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، يقال له السراة؛ وإما سمي بذلك لعلوه وسراة كل شيء ظهره، يقال: سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم سراة الأزد. وقال قوم: الحجاز جبال تحجز بين تهامة ونجد، يقال لأعلاها السراة كما يقال لظهر الدابة السراة وهو أحسن القول⁽⁷⁾.

قالوا: والسروات ثلاث: سراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف من سراة بني ثقيف، وهو أدنى السروات إلى مكة، ومعدن البرام هو السراة الثانية، وهو في بلاد عدوان، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب وعلى نجد من المشرق.⁽⁸⁾

قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الناس أهل السروات، وهي ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن أولها لهذيل، وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة وهي السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الازد أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازد.⁽⁹⁾ وقال الأشعث الكندي عن عزام: وادي تربة لبني هلال وحواليه بين الجبال السراة ويسوم وفرقد ومعدن البرم وجبلان يقال لهما شوانان وأحدهما شوان، وهذه الجبال تنبت القرظ وهي جبال متقاودة وبينها فتوق وفي جبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرظ والإسحل.⁽¹⁰⁾ وهذه السروات من أخصب البلاد فكانت تمد مكة المكرمة وما حولها حين تزخر بالوافدين عليها أثناء مواسم الحج، بكل ما تحتاج اليه من غذاء إلى عهد قريب وقد وصف ما تلقاه مكة وما يصل إليها من خيرات السروات الرحالة ابن جبير⁽¹¹⁾ فقال: "ان قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة في اليمن تعرف بالسراة، وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها، يستعدون للوصول الى هذه البلدة المباركة قبل حلولها [يعني العمرة الرجبية] بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب، الى اللوبيا والى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجتمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة"⁽¹²⁾. وقال أيضاً: "وبلادهم على ما ذكر لنا خصيبة متسعة كثيرة التبن والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات"⁽¹³⁾. وقال القلقشندي: "وأعلم أن بجيلة وختعم هؤلاء بلادهم بلاد خير وزرع وفواكه، وأكثر ميرة مكة من الحنطة والشعير وغيرهما من بلادهم، ويأتون أيام الحج بالعقيق وغيره من أصناف اليمن، ويعرفون عند اهل الموسم بالسرو، وعليهم اثار خير وصلاح"⁽¹⁴⁾.

لم تتل هذه السروات من المتقدمين من العناية من حيث تحديد مواضعها إلا الشيء اليسير وخاصة ما كان له صلة بالشعر ولعل من أسباب عدم العناية بها أنها بلاد نائية في أقصى الجزيرة بالنسبة لمواطن العلماء الذين عنوا بتسجيل أحوال البلاد المختلفة من اهل العراق والشام ومصر، وأنها بلاد صعبة المسالك، تسكنها قبائل محافظة على عاداتها وتقاليدها تحيط ببلادها بقوتها ومنعتها، وأدى هذا الانعزال الى فصاحة سكانها، كون بلادهم بعيدة عن الاختلاط بمن ليس عربياً، فطرق القوافل التجارية وطرق الحجاج الذين يأتون من خارج الجزيرة كلها لا تمر بهذه السروات، ومن هنا قل اختلاط أهلها بالأعاجم فصفت لغتهم وخلصت من العجمة⁽¹⁵⁾، ووصف ابن جبير اهل السروات حيث قال: والقوم عرب صُرخاء فُصحاء جُفَاءً أصحاء⁽¹⁶⁾.

تضم منطقة الدراسة اذن عدة سروات، وهذه السروات من الجنوب الى الشمال هي سراة بني مالك، سراة ثقيف سراة بلحارث، سراة بني سعد، وكانت هذه السروات تتبع في معظم تاريخها مدينة الطائف⁽¹⁷⁾. تمتد محافظة ميسان بين دائرتي عرض (20'3 - 20'1) شمالاً، وخطي طول (40'7 - 41'4) شرقاً، ويشكل موقع المنطقة أهمية استراتيجية وطنياً وإقليمياً حيث تربط المحافظة المنطقة الغربية بالمنطقة الجنوبية، وتعتبر مدخلاً للمنطقة الجنوبية، ومدخلاً رئيسياً لسلسلة جبال الحجاز، وتتبع محافظة ميسان

القطاع التنموي الرابع⁽¹⁸⁾ في منطقة مكة المكرمة، حيث تقع في الجزء الجنوبي الغربي منها، ويحدها من الشمال محافظة الطائف، ومن الشرق محافظة تربة، ومن الجنوب الشرقي الحدود الإدارية لمنطقة الباحة، ومن الجنوب الغربي محافظة أضرم، ومن الغرب محافظة الليث.⁽¹⁹⁾

وأما من حيث المساحة، فأبعاد المحافظة تمتد بطول متوسط يصل نحو 122 كم، ومتوسط عرض نحو 95 كم، حيث تبلغ المساحة الكلية نحو 4721,77 كم²، حيث تمثل 3,32% من مساحة منطقة مكة المكرمة، لتأتي في المرتبة الثالثة عشر من حيث مساحة منطقة مكة المكرمة، ويقدر عدد سكانها عام 1435هـ/ 2014م بنحو 71,1 ألف نسمة؛ بنسبة 0,92% من جملة عدد سكان المنطقة. وبذلك فهي في المرتبة العاشرة على مستوى المنطقة من حيث عدد السكان.⁽²⁰⁾

وتصنف محافظة ميسان من الناحية الإدارية كمحافظة من فئة (ب)، وتتكون من سبعة مراكز إدارية منها خمسة مراكز من فئة (أ) وهي: بني سعد، حداد بني مالك، قريع بني مالك، ترعة ثقيف، ومركز ميسان؛ عاصمة المحافظة ويصنف كل من مركزي الصور وأبو راحة من فئة (ب).⁽²¹⁾

التضاريس:

تقع منطقة الدراسة على الحافة الغربية لمرتفعات الحجاز، ضمن نطاق الدرع العربي، وتتكون من صخور القاعدة التي تنتمي إلى حقبة ما قبل الكامبري.⁽²²⁾ وتتنحصر هذي المنطقة فيما بين خط الشعاف⁽²³⁾؛ الذي يحدها غرباً، ويرتفع نحو 2300-2000م عن سطح البحر، وبين إقليم الهضاب الداخلية شرقاً.⁽²⁴⁾ ويمتد من جبل إبراهيم⁽²⁵⁾ ومجرى وادي تربة⁽²⁶⁾ من جهة الجنوب الشرقي حتى وادي المعدن⁽²⁷⁾ عند خط عند خط عرض 21-10 ش وبذلك فهو يمتد طويلاً مسافة 100 كم من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ويختلف عرض هذه المنطقة من مكان إلى آخر ويتراوح بين 15-25 كم تقريباً.⁽²⁸⁾ ويهبط خط الشعاف باتجاه الغرب بشدة بشكل حاد، ويشرف كحائط مرتفع باتجاه اصدار أودية تهامة التي تستمد روافدها العليا من هذه السروات، ويقترب الهبوط من الوضع الرأسي في بعض الأماكن ولذلك يتعذر اجتيازه إلا من أماكن محدودة هي العقبات، وتصبح هذه العقبات خطرة في أوقات سقوط الأمطار لكثرة الانزلاقات الصخرية وقد عملت هذه الطبوغرافية على منعة هذه البلاد، فظلت بعيدة عن أطماع الغزاة. وأما من ناحية الشرق فإن المرتفعات تنحدر انحداراً تدريجياً للداخل باتجاه الشرق أو اتجاه الشمال الشرقي بسبب عمليتي الانهدام والنهوض التي تعرضت لها هذه الحافة؛ فتتصرف مياهاها في مجار شبه متوازية تتخذ ذلك الاتجاه وتنتهي في الهضبة شرقاً بالإضافة إلى ما ينصرف إلى وادي تربة.⁽²⁹⁾ وهذه الكتلة الجبلية من صخور متحولة غير متجانسة، ووجود مجموعة من الانكسارات المحلية محدودة الطول والامتداد؛ ساعد على تطور التعرية التي نشطت عقب عمليتي الانهدام والنهوض، فحفرت المجاري العليا للوديان بعمق شديد في الصخور الأراكية المتكونة في الغالب من الجرانيت والسيانيت والديوريت والجنائيس والجابرو والشست بأنواعه، ساعدت على تشويه طبوغرافية الأرض وعملت على زيادة وعورتها.⁽³⁰⁾ وقد تحولت المنطقة نتيجة ذلك إلى مجموعة من القمم الجبلية تجاور مجموعة من الوديان السحيقة في الغالب ومختلفة في الاتجاهات، مما أضفى على المنطقة طابع التعقيد في تضاريسها وبالع في انعزالها، وهذا يفسر تجنب طرق القوافل قديماً هذه المنطقة⁽³¹⁾.

لا تتصف المنطقة بتجانس ووحدة في عموم تضاريسها، حيث تتباين مظاهر السطح في المنطقة، وقسمها عبد الرحمن الزامل السليم إلى ثلاث نطاقات متوازية من الغرب للشرق وهي⁽³²⁾.

نطاق المرتفعات الغربية:

يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين 1800-2200 متر فوق سطح البحر. ويصل ارتفاع بعض القمم الجبلية إلى أكثر من ذلك مثل جبل ابراهيم حيث يرتفع ما يقارب 2700 متر فوق سطح البحر، وتمثل هذه المرتفعات خط تقسيم المياه بين الأودية التي تتجه غرباً نحو تهامة، وشرقاً وشمالاً شرقياً نحو السهول المجاورة، وتتميز هذه المرتفعات بكثرة أمطارها واعتدال مناخها ولذلك فإنها تعتبر من مراكز الجذب السكاني بالنسبة للسهول المجاورة لها.⁽³³⁾

نطاق التلال الوسطى:

يقع هذا النطاق بين 1300-1800 متر فوق سطح البحر شرق نطاق المرتفعات، والسطح هنا أقل تضرساً وحدة منه في النطاق الغربي، والمرتفعات فيه عبارة عن تلال ذات قمم منبسطة نسبياً، إلا أنه يلاحظ اختلاف الأجزاء العليا منه والتي تكون نهاية الشرقية للنطاق السابق حيث نجد الأرض ذات ميل حاد ومتعرج، ولكننا كل ما اتجهنا شرقاً فإن سطح الأرض يبدأ بالاستواء والانبساط مع انخفاض في ارتفاع القمم المنتشرة كما أن أحواض الأودية تبدأ في الاتساع والانفراج، وذلك في النهاية الشرقية لهذا النطاق، بينما نجد أعاليها عند أعقاب المنحدرات ذات ميل حاد جداً وهذا يظهر في كل من المقاطع الطولية والعرضية للأودية.⁽³⁴⁾

نطاق السهول الشرقية:

تبدأ من حيث ينتهي النطاق السابق شرقاً من ارتفاع 1000-1300م عن سطح البحر، وتكون هذه السهول في أعاليها مغطاة برواسب خشنة تشتمل على كميات كبيرة من القطع الصخور والحصى وذلك نظراً لقربها من التلال السابقة التي تمدها بهذه الرواسب والانقراض، ولكن تصغر أحجامها وتقل كمياتها كلما اتجهنا نحو الشرق.⁽³⁵⁾

المناخ:

يعتبر المناخ من أكثر العوامل تأثيراً على حياة الانسان، فهو يحدد إمكانيات الإنتاج الاقتصادي، ويؤثر في مستوى قدرات الانسان في مغالبة الطبيعة والتعايش معها، كما يؤثر في خصائصه الاجتماعية وفي عاداته وتقاليده. وتحتل محافظة ميسان موقعاً جغرافياً فيه تباين وتنوع مظاهر السطح من حيث الارتفاع والانخفاض ودرجات الحرارة وسقوط الامطار، حيث إن لارتفاع المنطقة عن سطح البحر دوراً كبيراً في التأثير على المناخ، فكلما زاد الارتفاع زادت كمية الامطار وانخفضت درجة الحرارة، وبذلك فإن وقوع محافظة ميسان على مرتفعات جبال السراة، اكسبها كثرة الامطار، واعتدال مناخها. ومناخ ميسان بشكل عام بارد شتاءً دافئ صيفاً.⁽³⁶⁾ وقد بلغ معدل الفصلي لهطول الامطار لإحدى مراكز محافظة ميسان في محطة حداد بني مالك 310 ملم، ويبلغ معدل الرطوبة النسبية الوسطى السنوي للمنطقة 39,3%⁽³⁷⁾ وتتباين معدلات الحرارة وكمية هطول الامطار حسب ارتفاع المنطقة عن سطح البحر، وحسب مواجهة الرياح السائدة خاصة تلك التي تجلب الرطوبة، وفي حين أن موقعها جعلها قريبة ومواجهة لتأثير الرياح الشمالية الغربية الناتجة عن

منخفضات البحر المتوسط الشتوية والربيعية، وفي موضع تتقابل الكتل الهوائية الناتجة عن تلك الرياح مع الكتل المتقدمة للمملكة نتيجة سيطرة منخفض السودان وحركته باتجاه الشرق، في أواخر الربيع وفي أوائل فصل الصيف؛ وهذه المؤثرات تزيد في كمية هطول الأمطار.⁽³⁸⁾

العوامل المؤثرة على مناخ المنطقة:

- الموقع الجغرافي.
- المؤثرات البحرية.
- التضاريس.
- الارتفاع.
- الضغط الجوي.
- الكتل الهوائية.
- الرياح.⁽³⁹⁾

ثانياً: الإطار السياسي قبيل الحكم السعودي

احتل الحجاز مكانة عظيمة في سياسة العثمانيين، وذلك لأهميته لا سيما وأنه يحتضن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بعدما امتد نفوذ الدولة العثمانية إلى منطقة الحجاز عام 923هـ/1517م حينما دخل السلطان العثماني سليم الأول⁽⁴⁰⁾ القاهرة وقضى على المماليك، فأرسل شريف مكة (بركات الثاني)⁽⁴¹⁾ ابنه محمد أبو نهي الثاني إلى مصر لتقديم الطاعة للسلطان العثماني والدعاء له؛ وذلك لتأمين مركزه في الحجاز، وبذلك امتد الحكم العثماني إلى منطقة الحجاز، وحكم الاشراف الحجاز باسم الدولة العثمانية.⁽⁴²⁾ وشمل حكمهم منطقة الدراسة التي كانت تتبع لمدينة الطائف إحدى أهم مدن الحجاز في العهد العثماني؛ لقربها من مكة مركز العالم الإسلامي والعاصمة السياسية والإدارية لولاية الحجاز، وكون الطائف المقر الصيفي لوالي الحجاز، بسبب أجوائها المعتدلة صيفاً، والقاعدة العسكرية، ومركز التدريب للجيش العثماني، ووقوعها في موقع استراتيجي على مفترق الطرق إلى الأقاليم المجاورة كنجدة وعسير.⁽⁴³⁾ فأصبحت الحجاز ولاية عثمانية تنقسم إلى (سجنين) متصرفيتين وخمسة أفضية وستة نواحي، المتصرفيتان هما المدينة المنورة وجدة، متصرف لواء المدينة يسمى (محافظ المدينة) ويتبعه أربعة أفضية هي: (ينبع البحر، الوجه، السوارقية)⁽⁴⁴⁾، والعقبة)، وأما متصرف لواء جدة فيسمى (قائمقام الوالي) ويضم قضاء معمورة الحميد⁽⁴⁵⁾. ويضيف البركاتي: إلى ولاية الحجاز امارة للعرب في الطائف، وأميرها الشريف زيد بن فواز، وتحت امارته جميع القبائل الموجودة بجبل السراة⁽⁴⁶⁾. ومنهم من يجعل الطائف ناحية تلحق امارة مكة،⁽⁴⁷⁾ في حين كانت مكة معزلة عن هذه التقسيمات، لأهميتها كان هناك منصب سام يسمى (إمارة مكة المكرمة)، وينصب أميرها من الأشراف بفرمان خاص يتولى الإشراف على شئون الحج والنظر في قضايا العشائر.⁽⁴⁸⁾ كانت الدولة تجعل بجانب شريف مكة، والياً تركياً من قبلها؛ يدير الولاية، من الرجال العسكريين أو الإداريين وكان اليه الجيش النظامي، وكل مصالح الحكومة النظامية.⁽⁴⁹⁾

أدى ذلك إلى خضوع الحجاز لنظامين إداريين مزدوجين متصارعين فيما بينهما، حول السلطات والصلاحيات، وهما نظام الإمارة ويعلو هرمه أمير مكة، ونظام الولاية وعلى رأسه والي الحجاز، ولقد نشأ من

تغالب هاتين السلطتين، ومحاولة كل منها التغلب على الأخرى؛ متاعب كثيرة للدولة والأهالي، وضاع بسببه أموال وحقوق عامة الناس⁽⁵⁰⁾. وقد عانت مدينة الطائف من هذه الازدواجية، فكانت مستقلة عن النظم الإدارية والمالية العثمانية؛ حيث تقع مسئولية إدارة شؤونها إلى أمير مكة، وبذلك أصبحت خارج نطاق السيطرة العثمانية، وفي المقابل كانت المدينة داخل السور تحت السيطرة العثمانية، واتخذتها عاصمة صيفية لولاية الحجاز عام 1285هـ/1868م، فقامت الولاية بإنشاء مقرات لها، وبناء مخازن ومستودعات للمؤن والأسلحة، واتخذت قلعة الطائف مقراً لولاية الحجاز⁽⁵¹⁾. ونتيجة لعزل الشريف علي بن عبد الله بن عون عن شرافة مكة من قبل جمعية الاتحاد والترقي⁽⁵²⁾، ووفاة الشريف عبدالإله قبيل سفره لمكة لتسلم الشرافة؛ أصبح المنصب شاغراً، حتى وقع اختيار الاتحاديين على الشريف الحسين بن علي⁽⁵³⁾، وبعد تردد ومعارضة أصدر السلطان العثماني فرمانه الشاهاني بتولية الحسين بن علي إمارة مكة، فوصل مكة في ذي القعدة 1326هـ/1909م⁽⁵⁴⁾.

فمنذ بداية تولي الشريف الحسين إمارة مكة اتخذ موقف المعادي للملك عبدالعزيز فكان أول اتصال بينهما؛ عندما وصلت إليه تقارير تؤكد انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حدود إمارته الشرقية⁽⁵⁵⁾. وقد ظهرت عداوة أشرف مكة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ودولتها من أول أمرها أي منذ عام 1156هـ/1743م، وكان لمناخمة نجد لإقليم الحجاز الأثر الكبير في قيام علاقات غير حسنة في الغالب بين حكام هذين الإقليمين⁽⁵⁶⁾.

في حينها كتب الشريف حسين إلى الحكومة العثمانية محذراً من النجاح الذي أحرزه الملك عبدالعزيز في السيطرة على نجد، وإلى انتشار حركته الإصلاحية وبما أن الحكومة العثمانية كانت حريصة على إرساء سياسة المركزية في الجزيرة العربية، فاستغل الشريف حسين تلك الحاجة لإثبات إخلاصه للدولة، ولتحقيق أهدافه وطموحاته الشخصية⁽⁵⁷⁾.

حيث وجه إنذاراً للملك عبد العزيز ذكر فيه: إن منطقة القصيم تابعة للأشراف، وطالبه بدفع المبالغ المتأخرة عن الثلاثين سنة الماضية للدولة، وإلا فإنه سوف يلجأ إلى القوة⁽⁵⁸⁾. وعندما لم يتلق الشريف حسين الإجابة عن مطالبه من الملك عبد العزيز؛ أعد حملة عسكرية قادها بنفسه إلى القويعة في عالية نجد، ثم انتقل إلى الشعراء ثم إلى نفي، بعد أسره سعد بن عبد الرحمن الذي كان قد أرسله أخيه الملك عبد العزيز إلى تلك الديار لبحث إحدى قبائل عتيبة على الانضمام والتحالف معه ضد الثأرين عليه في الداخل والخارج، فما كان من الملك عبد العزيز إلا أن جهز أتباعه وسار بهم لمواجهة الشريف حسين حتى اقترب من نفي، وكان كلا الطرفين غير راغبين في المواجهة العسكرية، واتفقت المصلحة على عدم المواجهة⁽⁵⁹⁾. ومن ثم بدأ سعاة الصلح بين الطرفين وهم خالد بن لؤي⁽⁶⁰⁾، ومحمد بن هندي بن حميد، حيث إن مهمته جاءت مكتملة للمساعي المبذولة سابقاً من قبل خالد بن لؤي، والمطالبات الأخرى الرامية لتقريب وجهات النظر وإزالة سوء الفهم، وتمكن خالد من اقناع الملك عبد العزيز -رحمه الله- بأن نوايا الشريف حسنة وأنه لا يريد أكثر من اعتراف اسمي بتبعيته للدولة العثمانية، وتعهده بدفع مبلغ من المال سنوياً، فوافق الملك عبد العزيز وبذلك أُنقِ الطرفان وتبدلا الهدايا وأُطلق سراح سعد، وعاد الشريف حسين للحجاز⁽⁶¹⁾. وبذلك تحسنت العلاقة بين الشريف حسين والملك عبد العزيز، فكان الاتفاق بداية العلاقات السلمية الحسنة بين الطرفين، القائمة

على التفاهم وحسن الجوار، استمرت فترة من الزمن ليست بطويلة⁽⁶²⁾. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى زادت حدة التوتر بين الشريف حسين بن علي وجمعية الاتحاد والترقي، عندما وضع الشريف حداً لتدخل الاتحاديين في شؤون الحجاز، ومعارضته لسياساتهم المركزية التي شرعوا بالتشديد على تطبيقها، وبذلك تم تعيين وهيب بك الالاباني⁽⁶³⁾ والياً على الحجاز، حيث وصل إلى مكة في شهر فبراير سنة 1914م، ويحمل معه تعليمات بالقضاء على استقلال الحجاز والغاء جميع امتيازاته المحلية التي نشأت عن وضعه الديني والجغرافي والاقتصادي، لتصبح الحجاز ولاية عادية، والتخلص من الشريف وابنائهم ومن كل ما لهم من نفوذ ومقام في الحجاز؛ بإلغاء شرافة مكة؛ ليتخلصوا من قوة عربية كانوا يخافونها⁽⁶⁴⁾. وهذه الأوامر والتدابير قد علم بها علي ابن الحسين؛ حيث وقعت في يده بالمصادفة وثائق ومكتابات سرية بين الوالي وهيب بك والاتحاديين، فأخبر والده بما بها وما يحاك ضده، ولم يحل دون تنفيذ هذه الأوامر سوى قيام الحرب العالمية وانشغال الدولة بها⁽⁶⁵⁾. وبذلك تيقن الحسين من نوايا الدولة فظل على موقفه الراض الوقوف بصف الدولة العثمانية في الحرب. وفي ذلك الحين كانت بريطانيا على علم بتوتر العلاقة بين الشريف والاتحاديين، وامتناع الشريف حسين عن تقديم المساعدة للدولة العثمانية؛ وبذلك سعت بريطانيا للتقرب من الشريف حسين وتقديم مساعدتها له، على اعتبار انحداره من أسرة عريقة ولها نفوذ في الحجاز ذات المركز الديني والتاريخي والجغرافي المهم⁽⁶⁶⁾.

حينئذ بدأت المفاوضات بالمراسلات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون فيما بين يوليو 1915م - يناير 1916م؛ وهي المعروفة (بمراسلات الحسين مكماهون) وبذلك تم إقناعه بالانضمام إلى صفوفهم، ويعدونه بتأييده في سياسته الرامية إلى تحرير العرب واستقلالهم، وانتهت بإعلان ثورة الشريف مكة على الدولة العثمانية⁽⁶⁷⁾.

حيث تم عقد مؤتمر عائلي سري، في الطائف، جمع كلاً من الشريف الحسين وابنائهم علي وفيصل وعبدالله، وناقشوا أمر توليهم الثورة ورسم خطتها، وان يتموا الاتفاق مع الانجليز⁽⁶⁸⁾. أعلنت الثورة رسمياً في مكة المكرمة يوم السبت 9 شعبان 1334هـ عندما بدا الشريف حسين بن علي بتنفيذ برنامجه وأطلق بنفسه عياراً نارياً كان اعلان قيام الثورة العربية الكبرى، فاتخذ الاتراك التدابير وتحصنوا في مراكزهم فعجز الشريف على استيلاء مواقعهم فانتظر حتى استسلمت مدينة جدة بعد عدة أيام من حصارها براً من قوات الشريف بقيادة محسن بن منصور، وبحراً بالبوارج الإنجليزية ومدافعها تقصف الثكنات العسكرية، وباستسلامها أصبحت اول مدينة يخرج منها الاتراك، و من ثم بمساعدة من الانجليز تم اسقاط اخر معقل للجنود الاتراك في مكة وهي قلعة أجباد 9 رمضان 1334هـ. ثم تلتها مدينة الطائف التي حاصرها عبدالله بن الحسين فاستسلمت حاميتها في ذي القعدة من نفس السنة⁽⁶⁹⁾.

وشملت العمليات العسكرية كافة مدن الحجاز ودارت المعارك الحربية في عدة مواقع بين الجيش التركي والقوات الحجازية، التي اكتسحت بمساعدة بريطانيا جميع المواقع العثمانية واجلاءهم من الحجاز، حتى دخلت القوات الحجازية أراضي الشام⁽⁷⁰⁾. وبعدما استقرت الحالة في الحجاز، وعلى أثر ذلك اجتمع اعيان مكة، للتشاور في إقرار ملكية الحسين على البلاد العربية، وهناك تم مبايعة الحسين ملكاً على العرب، في سنة 1335هـ/ 1916م، بعد أن كان لقبه (شريف مكة وأميرها)⁽⁷¹⁾.

وقد رافق قيام المملكة بعض السمات الاستقلالية الدالة على استقلالها؛ حيث اتخذت المملكة الحجازية علماً رسمياً، وتوحيد العملة الخاصة بتأسيس دار لضرب النقود سميت بدار الضرب الهاشمية⁽⁷²⁾. وبذلك انفصل الحجاز عن الدولة العثمانية، وتحول من ولاية عثمانية إلى مملكة مستقلة، ذات نظام ملكي. واتبعت مملكة الحجاز إدارياً ما كان معمولاً به في العهد العثماني في الأعم والأغلب. أما بالنسبة للتقسيمات الإدارية في عهد المملكة فتكاد تفتقر إلى معلومات رسمية كافية، حيث إن التقسيمات السابقة ظلت عموماً ومن حيث الجوهر متبعة في العهد الحالي، وفي هذه الفترة لا يوجد متصرفيات في التقسيم الإداري للمملكة كالسابق وإنما أصبحت تسمية القضاء تطلق على مختلف الوحدات الإدارية كبيرها وصغيرها دون تمييز وهذا ما نلمسه من خلال التعيينات التي كانت تصدرها الحكومة بالعديد من القائمات على مختلف المدن الحجازية⁽⁷³⁾.

الخاتمة:

أما وقد وصلت الدراسة إلى ختامها، فإني أحمد الله على نعمته وتوفيقه وفضله على إتمامها، فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والسائرين على هديه إلى يوم الدين،،، أما بعد:

بينت الدراسة من خلال الموقع الجغرافي لمحافظة ميسان أنها تقع في القسم الجنوبي من إقليم الحجاز، على جبال السروات، وتمتد بين خطي طول (20'20-3'1) شمالاً، وخطي طول (41'40-4'7) شرقاً، ويشكل موقع المنطقة أهمية استراتيجية وطنياً وإقليمياً حيث تربط المحافظة المنطقة الغربية بالمنطقة الجنوبية، وتعتبر مدخلاً للمنطقة الجنوبية، ومدخلاً رئيسياً لسلسلة جبال الحجاز، وتتبع محافظة ميسان القطاع التنموي الرابع في منطقة مكة المكرمة، حيث تقع في الجزء الجنوبي الغربي منها. وضحت لنا الدراسة أن منطقة الحجاز عموماً كانت قبيل العهد السعودي وخاصة خارج المدن الرئيسية كالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة- تعيش وضعاً سياسياً وتعليمياً وثقافياً متردياً؛ حيث يقل الأمن وتكثر الاضطرابات وتكثر حوادث الاعتداء على قوافل الحجاج.

كشفت الدراسة أن محافظة ميسان واحدة من مناطق الجذب السياحي في المملكة العربية السعودية يرجع ذلك لمناخها المعتدل وكثرة أمطارها، ومناظرها الخلابة، وإيضاً لموقعها الجغرافي على قمم جبال السروات، وتوسطها بين مناطق سياحية من الدرجة الأولى وهي محافظة الطائف ومنطقة الباحة، كما يربط بينها طريق الجنوب (الطائف الباحة السياحي) الذي يمر من خلال محافظة ميسان.

التوصيات:

إعداد دراسة مستفيضة ومعقدة عن منطقة ميسان.
التوصية بتأليف معجم جغرافي لمنطقة ميسان والمراكز التابعة لها.

الهوامش:

- (1) الحجاز: هو سلسلة جبال السروات المقبلة من اليمن إلى قرب الشام الحاضرة بين نجد وتهامة، فما سال من قمة هذه الجبال مغرباً ينصب في تهامة وما سال مشرقاً ينصب في نجد. انظر: (عبدالله خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1390هـ/1970م، ص328). إن الحجاز: هو جبل السراة الذي يمتد من حدود اليمن إلى بادية الشام فيحجز بين تهامة ونجد. انظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م، ص218).
- (2) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط2، 1397هـ/1977م، ص354
- (3) سيبويه: إمام النحو، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، (180-148هـ/796-756م).
- (4) حمد الجاسر: المرجع السابق، ص354-355.
- (5) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الاكوع الحوالي، ط1، صنعاء، مكتبة الارشاد، 1410هـ/1990م، ص85.
- (6) الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي بن أسمع، (215-127هـ/830-745م).
- (7) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 3/ 204.
- (8) المصدر نفسه، 3/ 205.
- (9) المصدر نفسه، 3/ 205
- (10) ياقوت الحموي، مرجع سابق، 3/ 204
- (11) هو العلامة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكتاني البلنسي، (540-614هـ/1217-1145م)
- (12) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، ص110، وحمد الجاسر، المرجع السابق، ص368.
- (13) رحلة ابن جبير، المرجع السابق، ص111.
- (14) أحمد القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط2، القاهرة بيروت، دار الكتب الإسلامية، 1402هـ، ص105-104.
- (15) حمد الجاسر، المرجع السابق، ص358.
- (16) ابن جبير، المرجع السابق، ص111.
- (17) عبدالرحمن الشريف جغرافية المملكة العربية السعودية، ج2، الرياض، دار المريخ، 1404هـ، ص375.
- (18) يعتبر قطاع التنمية الرابع، ممثلاً في الأجزاء الغربية والجنوب غربية من منطقة الطائف، المصدر الزراعي الرئيسي في المنطقة بسبب مناخها المعتدل، ووديانها الخصبة كما أنها واحدة من أهم الوجهات الصيفية التقليدية لسكان المملكة بما لديها من مواقع ترفيهية عديدة.
- (19) الموقع الالكتروني لإمارة منطقة مكة المكرمة، محافظة ميسان <http://ra/as.vog.hakkam.www/:sptth>

- (20) الموقع الالكتروني لإمارة منطقة مكة المكرمة، محافظة ميسان <https://www.makkah.gov.sa/ar/page/mesaan>
- (21) الموقع الالكتروني لإمارة منطقة مكة المكرمة، محافظة ميسان <https://www.makkah.gov.sa/ar/page/mesaan>
- (22) عبدالرحمن الزامل السليم، منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص3.
- (23) أي: جرف الانكسار الرئيسي. ويطلق ايضاً على خط تقسيم المياه لهذه الكتلة اسم (الشعاف). أو المناطق التي يبدأ عندها الانحدار الشديد نحو الغرب.
- (24) عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، 2/343
- (25) جبل إبراهيم: قيل نه على اسم رجل زاهد اسمه إبراهيم ابن ادهم كان يتعبد، جبل صخري أبيض كبير في بلاد بني مالك، من جنوبي شرقي القريع، من شرقيه وادي كيد الخلا، يشرف على كثير من قرى بني مالك، ويطلق عليه ايضاً: جبل بثرة، و الجبل الأبيض، وهذا الجبل يعد أعلى قمة في محافظة ميسان وماجاورها، ارتفاعه عن سطح البحر 2600م، ويتميز بجمال المنظر وكثرة المياه الخارئة والأشجار الخضراء.
- (26) وادي ثربة: وادي شهير، يمتد من جبال السروات الشرقية في بني مالك وثقيف، وتجه سيوله شرقاً ماراً بمركز أبو راکة، ثم تربة، ثم الخرمة، ويصب في عرق سبع شرقاً.
- (27) وادي المعدن: وادي من أودية بلاد الثبته في محافظة ميسان، يأخذ سيوله من شعاب وجبال في سلامة غرباً، والجبل الأخضر جنوباً، ثم يتجه شمالاً شرقاً ليصب في وادي السر.
- (28) عبدالرحمن الشريف، المصدر السابق، 2/375.
- (29) عبدالرحمن الشريف المرجع السابق، 2/ 343، 377.
- (30) عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق ، 2/ 344، 377.
- (31) المرجع نفسه ، 2/ 377.
- (32) عبدالرحمن الزامل السليم، منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص32-21.
- (33) عبدالرحمن الزامل السليم، منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص 27-21.
- (34) عبدالرحمن الزامل السليم: منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص30-28.
- (35) عبدالرحمن الزامل السليم: منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص 33-31.

- (36) عبدالرحمن الزامل السليم: منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ، ص37-38.
- (37) عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، 2/ 344-345
- (38) عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، 2/ 344-345
- (39) عبد الرحمن الزامل السليم: منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ ص36-49
- (40) سليم الأول بن بايزيد (1520-1467م)، سلطان عثماني (1521-1512م)، انتصر على السلطان الغوري في معركة مرج دابق عام 922هـ/1516م، وضم مصر بعد هزيمته للسلطان طومان باي في معركة الريدانية عام 923هـ/1517م، توفي وهو يستعد لفتح جزيرة رودس، وكان إدارياً قديراً ومقاتلاً شجاعاً. انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الموسعة، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965م، 1/ 100-101.
- (41) الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسين بن عجلان بن رميثة بن أبي نعيم، تولى حكم إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع أبيه في سنة 878هـ/ 1473م، وبعد وفاة أبيه تولى الإمارة منفرداً، توفي في سنة 931هـ/ 1524م. انظر: محمد بن علي بن فضل الطبري: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد حسن، ط1، القاهرة، مصر، دار الكتاب الجامعي، 1/ 290-324.
- (42) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج2، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م، ص393، وأريج العوفي، جهود الملك عبد العزيز في حفظ الأمن في الحجاز (1373-1344هـ)، مكة المكرمة-الرياض، كرسي الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود لدراسة تاريخ مكة المكرمة، 1435هـ/2015م، ص24.
- (43) متعب البلادي، المؤسسات الحكومية في العهد العثماني بالطائف، مدارات تاريخية، م2، ع6، جوان 2020، ص252.
- (44) السوارقية أو السويرقية، ارض زراعية أهلها بالسكان في ديار مطير تقع جنوب غربي مهد الذهب على بعد 40 كيلاً. انظر: عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ط2، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع، 1431هـ، ص847.
- (45) ويجعل البركاتي في كتابه الرحلة الحجازية، ولاية الحجاز من متصرفيتين هما بندر جدة والمدينة المنورة، مع ثلاثة اقصية هي ينبع البحر، الليث، الوجه. انظر شرف بن عبد الحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط1، مصر، مطبعة السعادة، 1330هـ ص 116-117.
- (46) شرف البركاتي، المصدر نفسه، ص 117.
- (47) عماد يوسف، الحجاز في العهد العثماني (1876-1918م)، ط2، بيروت، الوراق للنشر، 2014م، ص66
- (48) إبراهيم الفوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، 1401هـ، ص61.

- (49) حسين نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ج1، ط1، مصر، مكتبة ومطبعة خضير، 1349هـ ص7.
- (50) حسين نصيف، المصدر السابق، ص8.
- (51) متعب البلادي، المؤسسات الحكومية في العهد العثماني بالطائف، مدارات تاريخية، م2، ع6، جوان 2020م، ص253.
- (52) هي جمعية عثمانية أسست في عام 1889م، ومؤسسها هو إبراهيم تيمو الروماني المتأثر بالمحافل الماسونية الإيطالية، وكان من أعضائها عبدالله جودت الذي اشتهر بإلحاده وعداوته الشديدة للإسلام. ضمت الجمعية الشباب الاتراك ويهود الدوغة، كما ضمت طلاباً في المدرسة العسكرية الطبية، وكانوا يحرضون الطلاب على القيام بمعارضة الحكم، وجعلوا من أهدافها مقاومة حكم السلطان عبد الحميد، وتكوين دولة مناسبة لأفكار العصر السياسية، تتخذ من الدول الغربية نموذجاً لها، وكانت خلايا هذه الجمعية سرية، ويؤكد فكرها السياسي على مفاهيم الطورانية، وشعارها عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية. أنظر: يوسف حسين عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، الأردن، دار الكتب، 1426هـ ص108، وأريج العوفي، المرجع السابق، ص26.
- (53) الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين ابن عون، (1270-1350هـ/1854-1931م)، ولد بإسطنبول عندما كان والده بها وانتقل الى مكة وعمره ثلاث سنوات، توفي في عمان ودفن في القدس. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت، دار العم للملايين، 1389هـ ص271.
- (54) حسين نصيف، المصدر السابق، ص8-9.
- (55) محمد السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز: دراسة تاريخية، الباحة، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، 1419هـ ص10.
- (56) محمد السلطان، المرجع السابق، ص7.
- (57) أحمد آل فائع، العلاقة بين الملك عبد العزيز والملك الحسين بن علي وضم الحجاز (1328-1344هـ/1910-1925م، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، 1433هـ ص47.
- (58) المرجع نفسه، ص50.
- (59) محمد السلطان، المرجع السابق، ص11. وأحمد آل فائع، المرجع السابق، ص53-51.
- (60) خالد بن منصور بن لؤي: من العبادلة، شريف من الأمراء الشجعان، كانت له ولأسلافه إمارة الخرمة، وهو من بني عمومة الشريف حسين بن علي، وكان قد وجهه مع ابنه عبدالله لحصار بقايا الترك العثمانيين في الطائف، ولكن عندما اعتدى أحد شيوخ عتيبة على خالد، ولم ينتصر له عبدالله، فارقه خالد، وعاد إلى الخرمة، ثم كتب إلى الإمام عبدالعزيز يعرض عليه ولاءه وطاعته. انظر: خير الدين الزركلي: الاعلام، 2/ 300-299.
- (61) أحمد آل فائع، المرجع السابق، ص53-57.
- (62) محمد السلطان، المرجع السابق، ص15.
- (63) أمير الألاي، وهو من المعروفين بكره العرب وبغضهم، وأشتهر بالخطبة التي ألقاها في وزارة الحربية وذكر فيها أن باستطاعته اكتساح سوريا والقضاء على كل حركة عربية. انظر: أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج1، القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت، ص60.

- (64) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/60-61.
- (65) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/109.
- (66) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/126.
- (67) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/126-144.
- (68) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/113.
- (69) أمين سعيد: المصدر السابق، 1/146-148.
- (70) حسين نصيف، المصدر السابق، ص 48-57.
- (71) أمين سعيد، المصدر السابق، 1/286.
- (72) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (1916-1925م)، ط1، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1402هـ ص 39-43.
- (73) طالب وهيم: المرجع السابق، ص 75-76.

المصادر والمراجع:

- (1) عبدالله خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1390هـ/1970م.
- (2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م.
- (3) حمد الجاسر، في سرة غامد وزهران، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط2، 1397هـ/1977م.
- (4) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الاكوع الحوالي، ط1، صنعاء، مكتبة الارشاد، 1410هـ/1990م.
- (5) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر.
- (6) أحمد القلقشندي: فلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم اليباري، ط2، القاهرة بيروت، دار الكتب الإسلامية، 1402هـ.
- (7) عبدالرحمن الشريف جغرافية المملكة العربية السعودية، ج2، الرياض، دار المريخ، 1404هـ.
- (8) الموقع الالكتروني لإمارة منطقة مكة المكرمة، محافظة ميسان sptth.ra/as.vog.hakkam.www/naasem/egap
- (9) عبد الرحمن الزامل السليم: منطقة الطائف دراسة في الجغرافية الإقليمية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1402هـ.
- (10) محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الموسعة، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965م.
- (11) محمد بن علي بن فضل الطبري: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد حسن، ط1، القاهرة، مصر، دار الكتاب الجامعي.
- (12) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج2، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م.
- (13) أريج العوفي، جهود الملك عبد العزيز في حفظ الأمن في الحجاز (1373-1344هـ)، مكة المكرمة-الرياض، كرسي الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود لدراسة تاريخ مكة المكرمة، 1435هـ/2015م.
- (14) عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ط2، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع، 1431هـ.
- (15) شرف بن عبد الحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط1، مصر، مطبعة السعادة، 1330هـ ص 116-117.
- (16) عماد يوسف، الحجاز في العهد العثماني (1876-1918م)، ط2، بيروت، الوراق للنشر، 2014م.
- (17) إبراهيم الفوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، 1401هـ.
- (18) حسين نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ج1، ط1، مصر، مكتبة ومطبعة خضير، 1349هـ.
- (19) متعب البلادي، المؤسسات الحكومية في العهد العثماني بالطائف، مدارات تاريخية، م2، ع6، جوان 2020م.
- (20) يوسف حسين عمر، أسباب خلع السلطان عبدالحميد الثاني (1876-1909م)، الأردن، دار الكتب، 1426هـ.
- (21) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت، دار العم للملايين، 1389هـ.
- (22) محمد سلمان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز: دراسة تاريخية، الباحة، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، 1419هـ.
- (23) أحمد آل فائع، العلاقة بين الملك عبد العزيز والملك الحسين بن علي وضم الحجاز (1344-1328هـ/1910-1925م، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، 1433هـ.
- (24) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج1، القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت.
- (25) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (1916-1925م)، ط1، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1402هـ.

التعليم في مدينة الطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية عهد الأشراف في الحجاز (12 ق. هـ - 1344 هـ / 610 - 1925 م) (دراسة تاريخية تحليلية)

باحثة ماجستير - قسم التاريخ والآثار - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. جوهرة غازي فالح العميري

مستخلص:

تسعى هذه الدراسة لعرض مراحل التعليم في مدينة الطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية عهد الأشراف في الحجاز (١٢ ق. هـ - ١٣٤٤ هـ / ٦١٠ - ١٩٢٥ م). وذلك بتسليط الضوء على التعليم في قبيلة ثقيف التي نالت شهرة واسعة في فصاحة اللسان والتمكن في الكتابة والخط؛ مما جعل عددًا من أبنائها يحظون بكتابة الوحي في العهد النبوي، ثم إنهم نالوا ثقة الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد اختارهم لكتابة المصحف الشريف، إضافة إلى ذلك فقد عمل عددًا من أبناء ثقيف عقب الإسلام في تعليم القرآن الكريم والخط العربي، ومما زاد الطائف علمًا وفقهاً قدوم الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - إليها وتعليمه للناس القرآن والفقه في الدين، ثم إن مدينة الطائف اشتهرت بغيرها من بعض مدن الحجاز بوجود الكتاتيب فيها والتي كان لها دورًا أساسيًا في الإزدهار العلمي للمدينة، فكانت هذه الكتاتيب قوام التعليم في مدينة الطائف إلى العهد العثماني، وبالرغم من إنشاء الدولة العثمانية للمدارس والتعليم النظامي إلا أنها لم تكن ذا أثر ظاهر على التعليم في المدينة وذلك بسبب تحيزها في التعليم إلى اللغة التركية مما جعل إقبال أهل المدينة عليها ضعيفًا، فقد كانت مقتصرة على أبناء الطبقة الحاكمة وممن تربطهم صلة قوية بالعثمانيين، ثم إن النقلة النوعية للتعليم في مدينة الطائف كان في عهد الأشراف فقد اهتموا باللغة العربية وجعل التعليم في عهدهم مجانيًا وزاد عدد الطلاب، وتم إنشاء المدارس الحكومية في عام 1335 هـ / 1917 م، وقسمت الدراسة في عهد الأشراف لمرحلتين، مرحلة تحضيرية للصبيان التي تكون أعمارهم بين ست سنوات لإثني عشر سنة ويدرسوا ثمانية مواد من بينها القرآن والخط؛ ثم ينتقلون للمرحلة الراقية والتي لم تحدد عمرًا معينًا إلا أنها كانت تدرس إحدى وعشرون مادة من بينها القرآن الموجود وأصول الحديث واللغة العربية وآدابها، وكانت تحت رعاية ثلة من النبهاء، وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي للمعلومات وذلك من خلال المصادر والمراجع المتخصصة بالتعليم في مدينة الطائف، وقد توصلت الباحثة لعدد من النتائج كان من أهمها: تميز بني ثقيف في الخط العربي واللغة أكسبهم ثقة النبي ﷺ والخلفاء؛ وكان التعليم في الطائف قديمًا على شكل كتاتيب ثم تطور في العهد العثماني إلى المدارس النظامية، إلا أن المدارس النظامية لم تكن ذات فعالية كبيرة في عهدهم وذلك بسبب فرضهم للغة التركية في التعليم والذي أدى إلى عزوف أهل الطائف عنها؛ حتى جاء عهد الأشراف وفرض اللغة العربية في التعليم النظامي وجعله مجانيًا واهتم في تقسيم المراحل الدراسية وطور في المناهج الدراسية، فأثر هذا النظام في التعليم وزاد من عدد الطلاب في المدارس.

الكلمات المفتاحية: الطائف، التعليم، المدارس، الكتاتيب، الأشراف، العثمانيين.

Education in the city of Taif since the dawn of Islam till the end of Al-Ashraf reign in Hejaz (12 BH- 1344 AH / 610 - 1925 AD) (Analytical historical study)

Jawharah Ghazi Falih ALomayri

Abstract:

This study seeks to demonstrate the educational stages in the city of Taif from the dawn of Islam till the end of A-Ashraf reign in Hijaz (12 BH - 1344 AH / 610 - 1925 AD), by shedding light on the education in Thaqif tribe, which gained wide fame for its eloquence, mastery of language, writing and calligraphy. Those traits enabled a number of Thaqif members to have the privilege of writing the revelation in the prophetic Covenant, and to gain the trust of Al-Farooq Umar ibn al-Khattab, may Allah be pleased with him - as he chose them to write the Holy Quran. Furthermore, a number of Thaqif members worked in teaching people the Holy Qur'an and Arabic calligraphy after Islam. Among the things that increased Taif's knowledge and wisdom was the arrival of the great companion Abdullah bin Abbas - may Allah be pleased with him- who was interested in teaching people the Qur'an and jurisprudence. In addition, the city of Taif was famous, like some other Hejaz cities, for the existence of Al-Katabīb, which played a key role in the scientific prosperity of the city. These Katabīb were the basis of education in the Taif until the Ottoman era. Despite establishing schools and formal education in the Ottoman Empire, those schools did not have a visible impact on education due to their bias to the Turkish language, which lessened the city's people's interest in them. They were limited to children of the ruling class and those with strong ties to the Ottomans. After that, came qualitative shift in education in the city of Taif during the era of Al-Ashraf. They paid much attention to the Arabic language and made education free during their reign, which increased the number of learners. Government schools were established in the year 1335 AH/1917 AD. Study during the era of Al-Ashraf was made up of two stages: a preparatory stage for children aged six to twelve, with eight subjects, including the Qur'an and calligraphy. Finishing this stage, learners moved to the advanced one, with no age limit, to learn

twenty-one subjects, including the Holy Qur'an, the principles of hadith, and the Arabic language and its literature under the patronage of a group of nobles. This study followed the historical and analytical approach, gathering information from sources and references specialized in education in Taif city. Through it, the researcher came to a number of results, the most important of which were: Thaqif members excelled in calligraphy and language, which enabled them to gain the trust of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him), and the caliphs. She also found out that education in Taif was old-fashioned and delivered in the form of Katabīb. After that, it developed during the Ottoman reign into the form of regular schools. However, regular schools were not very effective during that era because of the Ottomans' imposition of the Turkish language in education, which led to the reluctance of Taif members from them. That reluctance lasted till the reign of Al-Ashraf who imposed the Arabic language in formal education, making it free, and paying much attention to dividing educational stages and developing curricula. That reform led to the success of the educational system and the increase in the number of students in schools.

Keywords: Taif, education, schools, Katabīb, supervision, Ottomans.

المقدمة:

للعلم أهمية كبرى في تطور المجتمع وازدهار حضارته، وزيادة وعيه الثقافي والفكري، فالله عندما أمر بنزول الوحي على نبيه صلى الله عليه وسلم بدأه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾ كما ذكر العلم في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽²⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽³⁾. ولقد حثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على العلم وأهميته في عدة مواضع منها: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ الْمَلَائِكَةُ لَتُضِعُّ أَجْنَاحَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيْسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنْ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنْ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنْمَّا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّ وَافِرٍ»⁽⁴⁾.

لذلك فمن البديهي أن يكون العلم ركيزة أساسية لكل مجتمع، وعلى أساس العلم تنهض حضارة المجتمع وتزدهر ويرتقي الشعب.

أ- بداية التعليم في مدينة الطائف:

عُرفت مدينة الطائف بالتجارة والثقافات المتعددة في مختلف العصور، وكان لها السبق بين مدن الحجاز⁽⁵⁾ في معرفة الخط العربي، فهم أول من كتبوا به⁽⁶⁾، وكانت بداية معرفتهم للخط والكتابة قديمة،

فكُتِّبَ أهل الطائفة تعلّموا الخط العربي من رجل من أهل الحيرة⁽⁷⁾، كما تميّزت الطائفة بفصاحة اللسان وقوته؛ حتى إن القبائل العربية كانت تُرسل أبناءها إلى بادية بني سعد⁽⁸⁾ ليتعلّموا الفصاحة منهم. وكان سوق عكاظ⁽⁹⁾ من الأسواق التي لها دور فعّال في انتشار العلم والأدب وازدهارهما؛ إذ إنه ملتقى لجميع القبائل المختلفة في الألسنة والمفردات والنطق، وهو منتدى يجتمع فيه الشعراء والحكام والأدباء للتفاخر بالأنساب والقبائل، إضافة إلى أنه ساعد على تطوير لغة العرب وتوحيدها وتهذيب لهجاتهم المختلفة⁽¹⁰⁾.

ويُلاحظ ممّا سبق؛ أنّ الطائفة كانت من المدن التي حظيت منذ القدم بحرص أهلها على التعليم ونشره.

ب- دور بني ثقيف في التعليم⁽¹¹⁾: امتازت قبيلة ثقيف بالفصاحة والتمكّن في الكتابة، واشتهرت منذ العصر الجاهلي⁽¹²⁾ بتعليم القراءة والكتابة، ونظرًا لتفوّقها في الخط وصحة الإملاء⁽¹³⁾، فقد اختارها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب⁽¹⁴⁾ رضي الله عنه هم وقبيلة قريش⁽¹⁵⁾ لكتابة المصحف الشريف، حيث قال: «لا يلينُ مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف»⁽¹⁶⁾. وعندما جمع عثمان بن عفان⁽¹⁷⁾ رضي الله عنه القرآن في عهده، فقد اختار المملي من هذيل⁽¹⁸⁾، والكاتب من ثقيف⁽¹⁹⁾.

ومن أبناء ثقيف الذين عُرفوا في العهد النبوي بكتّاب الرسول ﷺ⁽²⁰⁾:

1- شرحبيل بن غيلان الثقفي⁽²¹⁾.

2- المغيرة بن شعبة الثقفي⁽²²⁾.

كما تميّز على مر العصور عدد من أبناء قبيلة ثقيف بجودة الكتابة وتعليم الخط والفصاحة والقرآن، وكان من بينهم:

جبير بن حية الثقفي⁽²³⁾: سكن بالطائف، وكان يعلم الصبيان القرآن⁽²⁴⁾.

عيسى بن عمر الثقفي⁽²⁵⁾: كان موسوعة في النحو والشعر والأنساب، حيث قدّرت كتبه بسبعين كتابًا في النحو، غير أن جميعها احترقت ولم يبق منها إلا الجامع والإكمال، وكان له عناية بالقرآن الكريم والقراءات والحديث⁽²⁶⁾.

غيلان بن سلمة الثقفي⁽²⁷⁾: دخل الإسلام بعد فتح الطائف، وكان يُعلّم الصبيان الخط والهجاء⁽²⁸⁾.

الحجاج بن يوسف الثقفي⁽²⁹⁾: من معلمي القرآن الفصحاء، الذي عُرف بثقافته العالية، وبراعته في اللغة العربية والخط، وحسن إتقانه للقرآن، كما أسهم في الجانب التعليمي بالعصر الأموي⁽³⁰⁾.

يوسف بن الحكم الثقفي⁽³¹⁾: كان يعلم الصبيان القرآن والخط، ويُفقههم في الدين⁽³²⁾.

وفيما يخصّ تعليم أهل الطائفة عمومًا، فإن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس⁽³³⁾ رضي الله عنه عندما قدم إلى مدينة الطائف كان يعلم أبناءها القرآن ويُفقههم في الدين، ومن فقهاء ومحدثي أهل الطائف: عمرو بن شعيب القرشي⁽³⁴⁾، الذي كان يتردد إلى مكة لنشر علمه⁽³⁵⁾. وأول من وصلت إلينا مؤلفاتهم ومخطوطاتهم عن مدينة الطائف الميوقري⁽³⁶⁾، ثم جار الله بن فهد⁽³⁷⁾، ثم ابن عراق الكنائي⁽³⁸⁾.

ويتضح مما تقدّم الدور العلمي والثقافي لأهل الطائف - لا سيما قبيلة ثقيف - في التاريخ العربي والإسلامي، وأن الطائفة كانت منذ القدم حاضنة للعلماء والفقهاء والمُحدّثين، وكانت بيئة خصبة للعلم

والتعلم.

ج- دور الكتاتيب في نشر العلم:

الكتاتيب في العهد العثماني⁽³⁹⁾ (923 - 1334 هـ / 1517 - 1916 م) :

قبل أن تصبح الحجاز تحت الحكم العثماني كان يوجد بها كتاتيب تؤدي دورها العلمي في تعليم الصبيان القرآن والخط والحساب والقراءة، وكانت تُقام هذا الكتاتيب في المسجد، مثل: مسجد ابن عباس⁽⁴⁰⁾ - عليه السلام وغيره، من المساجد التي تعد النواة الأولى للمدرسة، كما كانت تُقام الكتاتيب في الدور الخاصة، وهي اعتماد فردي ليس للدولة تدخل به، ويدرس فيها جميع طبقات المجتمع، وقد ورد في التقرير الرسمي من سالنامة ولاية الحجاز، الذي صدر في أعوام (1305 - 1306 - 1309 هـ / 1887 - 1888 - 1891 م)؛ أنه كان يوجد أربعة كتاتيب في الطائف ومدرسة دينية واحدة⁽⁴¹⁾، وهي على النحو التالي:

الأول: كُتَاب الشيخ/ عبد الله بن علي ظفران، رحمه الله⁽⁴²⁾:

يعدُّ من أوائل الكتاتيب التي ظهر في تلك الفترة، وكان مقره بمنزله (بحي فوق)⁽⁴³⁾، وقد تميَّز صاحبه بمعرفة الشعر العربي والحميني، كما عُرف أنه فقيه وأديب ولديه سعة اطلاع علمية، وتخرَّج من تحت يديه أعداد كثيرة من الطلاب⁽⁴⁴⁾.

ثانيًا: كُتَاب الشيخ/ محمد بن صالح الخادم⁽⁴⁵⁾ - رحمه الله - :

إمام وخطيب بمسجد ابن عباس رضي الله عنه⁽⁴⁶⁾، وكان مقرُّ كُتَّابه بمنزله بجوار مسجد ابن عباس (بحي فوق)، وكان يدرس به بداية الحروف الهجائية والقرآن الكريم من جزء عم إلى نهاية سورة المجادلة.

ثالثًا: كُتَاب الشيخ/ عبدالقادر الخادم - رحمه الله - :

كان مقره بمنزله (بحي فوق) بجوار مسجد ابن عباس من الجهة الشمالية الغربية⁽⁴⁷⁾.

رابعًا: كُتَاب الشيخ/ صالح المغربي - رحمه الله - :

وهو من أقدم الكتاتيب وكان مقره بمنزله (بحي فوق)⁽⁴⁸⁾.

الكتاتيب الخاصة بالفتيات:

كرَّم الإسلام المرأة وجعل لها حقوقًا وواجبات، ورفع من شأنها وحثَّها على العلم، ولم يقتصر أمر الكتاتيب على الذكور فقط، إنما وُجدت كتاتيب خاصة بالفتيات تدرسن أمور الفقه وتعلَّمن القرآن والخط والنسيج؛ لكن المصادر والوثائق لم تذكر كتاتيب خاصة للفتيات في محافظة الطائف بالعهد العثماني⁽⁴⁹⁾.

المناهج الدراسية المتبعة في الكتاتيب :

لم تختلف طريقة التعليم في الطائف كثيرًا عما كان موجودًا في أرجاء الحجاز؛ إذ كان يرسل الأهالي أبناءهم إلى الكُتَّاب إذا بلغوا الرابعة أو الخامسة من العمر ليتعلَّموا القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والشؤون الدينية، وكان معلم الكتاتيب يُسمَّى سيدنا، ويساعده أحد التلاميذ الكبار ويُسمَّى بالعرف⁽⁵⁰⁾، وكان التدريس على فترتين صباحًا ومساءً⁽⁵¹⁾، وكان يجتمع الطلاب في مكان واحد ويجلسون على حصير⁽⁵²⁾، أو حنبل⁽⁵³⁾ قطني، أو بساط مصنوع من شعر الماعز، ويدرسون على لوح يُصنع من خشب الطلح⁽⁵⁴⁾ أو الأثل⁽⁵⁵⁾، وفي ارتفاعه ثقب يعلَّق خيط ويبيض بنوع من التراب الأبيض المتناسك يُعرف باسم (مضرة)، وطريقة تنظيفه أنه يُوضع على اللوح قليل من الماء ويمسح عدة مرات إلى أن يسخن السائل ويُجفَّف في

الشمس، ثم تعاد الكتابة عليه بالحبر الأسود بالقلم القصب، وأول ما يُكتب عليه الحروف الهجائية، ثم الحركات الثلاثة (السكون والفتحة والكسرة)، فإذا ضبطها الطالب ينتقل إلى الأبجدية (أبجد- هوز- حطي- كلمن- سفعص- قرشت- ثخذ- ضطغن)، ويُعرف في هذه الحالة بأنها فك الحروف، فإذا ضبطها ينتقل إلى السور القصيرة مثل: الفاتحة والضحي والنبأ، وعند حفظ كل سورة يأخذ الصفات، والصفحة حلاوة حُمصية أو لبانة مقلقلة؛ حتى يُشجّع الطالب على الحفظ. وإذا حفظ المصحف أُعد له احتفال بحسب المستوى المادي لوالده، وأما عن أجر المعلم فيُدفع له في كل يوم خميس، ومقداره قرش واحد، والقرش أربع هللات تُسمّى كل هللة باللغة التركية متليكة، ونصف الهللة تساوي خمس بارات⁽⁵⁶⁾.

د- دور المدارس العثمانية في نشر العلم :

المدارس: مؤسسات خيرية تُقام مبانيها على تبرّعات الدول أو كبار الشخصيات، وتوفّر كافة نفقات التعليم ومستلزماتها من أوقاف تُحسب عليها وتُستثمر لصالحها؛ خدمة لطلبة العلم⁽⁵⁷⁾. وقد ظهرت المدارس بشكل نظامي في العهد العثماني، وكان تركيز التعليم في البداية على مكة والمدينة، أما عن المناطق الأخرى من بلاد الحجاز فكان حظها في التعليم قليلاً، ويعتمد على قربها أو بعدها من المدينتين المقدستين⁽⁵⁸⁾، وقد حظيت محافظة الطائف بشيء قليل من وسائل التعليم؛ إذ أنشئ فيها مدرسة رشيدية عام 1295هـ/1878م⁽⁵⁹⁾. وقد وُصفت الطائف في العهد العثماني بأنها تحتوي على أربعمئة منزل، وبلغ عدد سكانها حوالي ألفي نسمة، كما احتوت على ستة مساجد صغيرة، وفي الجهة الغربية مسجد كبير، وبها معسكر همايوني يتسع لأربعة طوابير من الجنود، كما تحتوي على مدرسة واحدة، وهي المدرسة الراشدية، وأربعة كتابات للصبيان⁽⁶⁰⁾، ويوجد بها قصر للمدير، وقلعة وسور، وتسعة أفران، وعشرة دكاكين للقصابين، وحمام عام، وثلاث أحواض، وبها سبيل ماء، وبها مائتان من المحال التجارية، كما يوجد دوائر للولاية، وستة عشر قصرًا للتصنيف⁽⁶¹⁾. وقد وصف الزركلي⁽⁶²⁾ المدرسة الراشدية عندما زار الطائف وقال: إن بناءها حسن: أي أن المدرسة مبنية من الحجر، وبها حوش وموقعها عند باب الريح بمحلة فوق في قبلة مسجد عنتر⁽⁶³⁾، وكان منزلًا لأحد الأهالي فشرته الحكومة التركية عام 1325هـ/1907م، وأقامت فيه مدرسة من الدرجة الرشيدية ذات ستة صفوف في ست سنين، ثم حولتها إلى ابتدائية، ثم مدرسة إناث⁽⁶⁴⁾، وكان التدريس باللغة التركية حتى أن قواعد اللغة العربية تُشرح باللغة التركية⁽⁶⁵⁾؛ ولهذا منع الأهالي إرسال أبناءهم للدراسة فيها؛ خوفًا من تغيير لغتهم العربية، وتكون وسيلة لانضمام أبنائهم إلى السلك العسكري⁽⁶⁶⁾، ولم يلتحق بها إلا أبناء الطبقة الحاكمة وأتباعهم من رجال الأعمال والموظفين وممن تربطهم علاقة قوية بالعثمانيين، أما عن أبناء الشعب فكان إقبالهم ضعيفًا⁽⁶⁷⁾. وبالنسبة لمدارس البنات فكانت توجد مدرسة واحدة، وهي التي حوّلت من المدرسة الراشدية إلى مدرسة إناث⁽⁶⁸⁾، وكان موقعها بمحلة فوق باب الريح بجوار برحة رزيق، وهو اليوم موقف سيارات للبلدية فوق دكاكين الصاغة بشارع هدية. وكانت معلمته تُدعى بأسماء رزيقة - من آل رزيق - وكانت المناهج تدرس وفق المناهج المتبعة بالمدارس الراشدية باللغة التركية، كما كان النشيد باللغة التركية⁽⁶⁹⁾. وكانت توجد مدارس أهلية في أواخر العهد العثماني ذكرها القنصل البريطاني في جدة بتقريره الذي رفعه إلى حكومته عام 1319هـ/1903م، وذكر أن توجد في الطائف مدرستان أهليتان، ولم يذكر اسمهما، وكان التعليم

فيهما شبه ابتدائي، وكان يُدرّس فيهما: القرآن الكريم، والقراءة والكتابة والإملاء، ومبادئ الحساب، والسيرة النبوية، وأحكام الصلاة، وكانت تقعان في منزل أصحابهما، ويظهر أنهما كانت مدرستين صغيرتين، وكانتا قائمتين على الأموال التي تحصل من أولياء الأمور، والمساعدات التي تُقدّم إليهما على شكل هبات، كما كان مؤسسهما يقوم بدور المعلم والمدير، ولم يذكر عدد الطلاب الذين التحقوا بهما⁽⁷⁰⁾.

ويتضح مما سبق؛ أن الطائف حظيت بإنشاء الكتاتيب كغيرها من المدن المجاورة، وأن الدولة العثمانية لم تغبّر طريقة التعليم المتعارفة في أرجاء الحجاز، فحتى إنشاء المدرسة النظامية لم يكن ذا تأثير فعال لأهل الطائف، بسبب تمسك المدرسة باللغة التركية مما جعل الكتاتيب تواصل تأدية دورها في نشر العلم.

هـ - التعليم في عهد الأشراف⁽⁷¹⁾ (358 - 1344 هـ / 1925 - 968 م):

اهتم الأشراف بالتعليم وتشجيع الطلاب، حيث حُوّلت المناهج التي كانت تُدرّس باللغة التركية إلى اللغة العربية، إضافة إلى أنها طُوّرت وقُدّمت للطلاب الكتب والدفاتر والأقلام والحبر مجاناً، كما جعل التعليم مجاناً⁽⁷²⁾؛ فقد بدأ الأشراف بإنشاء المدارس الحكومية في الطائف عام 1335 هـ / 1917 م⁽⁷³⁾، وعقب الحرب العالمية الأولى حوّلوا المدرسة الراشدية إلى المدرسة الخيرية الهاشمية⁽⁷⁴⁾ الراقية، ومع زيادة عدد الطلاب الملتحقين بها؛ انقسمت إلى مدرستين مشتركيتين بإدارة واحدة ومبنى واحد، وهما: المدرسة التحضيرية والمدرسة الراقية، وتحتويان على أربعة صفوف، وقد بلغ عدد طلابها تقريباً أربعين طالباً، ثم بسبب زيادة أعداد الطلاب والصفوف؛ فُصلت المدرستان عن بعضهما بإدارتين مستقلتين عام 1337 هـ / 1919 م، حيث نُقلت المدرسة الراقية إلى مبنى آخر في المدينة نفسها، بينما استمرت المدرسة التحضيرية في المبنى نفسه، وتتناول الباحثة كل مرحلة منهما على حدة⁽⁷⁵⁾.

أولاً: المرحلة التحضيرية:

تعدّ أول مرحلة دراسية في النظام التعليمي، حيث كان هدفها إعداد الطلاب للانتقال إلى المرحلة الراقية، وكانت مدة الدراسة بها سنتين، ويُشترط للقبول بها: ألا يقلّ عمر الطالب عن ست سنوات ولا يتجاوز الثانية عشرة، وقد بلغ عدد طلابها خمسة وستين، ويُدرّس فيها ثمان مواد وهي: القرآن الكريم، والتجويد، والفقه، والتوحيد، والقراءة العربية، والإملاء، وحسن الخط، ومبادئ الحساب، وقد تولى إدارة المدرسة عبد الله بن عبد الرحمن القاضي، رحمه الله⁽⁷⁶⁾.

ثانياً: المرحلة الراقية:

وهي ثاني مرحلة دراسية في السُّلم التعليمي، ومدة الدراسة بها أربعة أعوام، ولا يُشترط بها عمر معين للقبول، وقد بلغ عدد صفوفها أربعة صفوف، وتُدرّس بها إحدى وعشرون مادة، وهي: القرآن الكريم مجوداً، والتجويد، والتفسير وأصوله، والتوحيد، والفقه، والتربية، والحديث وأصوله، واللغة العربية وآدابها، والنحو، والصرف، والبلاغة، والإملاء، والخطابة، والتاريخ، والجغرافيا، والحساب، ومبادئ الهندسة، وأصول مسك الدفاتر، وحسن الخط، والرياضة البدنية، وقد تولى إدارة المدرسة عبد الرحمن بن سليمان قاضي - رحمه الله -⁽⁷⁷⁾ وصبحي الحلبي - رحمه الله -⁽⁷⁸⁾.

ومن المعلمين الذين درّسوا فيها⁽⁷⁹⁾:

عبد الله قاضي - رحمه الله- وهو من نبيه الطائف، كان يدرّس التفسير والحديث، والنحو والبلاغة، والتاريخ والأدب العربي، والتوحيد والإنشاء للصف الرابع.

صبيحي الحلبي - رحمه الله- وهو من أدباء الطائف، كان يدرّس الهندسة والجغرافيا والحساب، وقسم المعاملات من الفقه، والقراءة العربية. وقد حدّد موقع المدرسة محمد هيكل⁽⁸⁰⁾ عند زيارته للطائف وقال: بين الميدان وباب مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنه ممر يبلغ طوله بين الخمسة عشر مترًا والعشرين، وعرضه يبلغ نحو ستة أمتار أو سبعة، وإلى جهة اليسار من المسجد مباني يُذكر أنها مدرسة ومكتبة، وهي تشبه نظام المباني المتصلة بالمساجد القديمة في مصر، التي كانت مكاتب ومدارس إلى أول القرن العشرين، ووصف شكل المدرسة بأن لها نوافذ واسعة تتقاطع فيها قضب الحديد لتحول بين داخلها والخارج⁽⁸¹⁾. ويلاحظ ممّا سبق؛ أن العثمانيين هم أول من أدخلوا التعليم بشكل نظامي؛ ولكن لم يكن هدفهم نشر العلم وإظهار جيل مثقف، إنّما كان هدفهم فرض لغتهم على الدول التي يسيطرون عليها وإلغاء اللغة العربية؛ ممّا جعل الإقبال على مدارسهم ضعيفًا جدًّا من قبل أبناء الشعب، وكانت محتكرة على أبناء موظفي الدولة، وذلك على عكس عهد الأشراف، الذي سعى إلى تطوير التعليم والمناهج وإظهار جيل متعلم باللغة العربية، وكانت مدارس الأشراف تضم أعدادًا كبيرة من الطلاب.

الخاتمة:

وبعد إتمام البحث بفضل الله وتوفيقه توصلت الباحثة الى أبرز النتائج و التوصيات وذلك فيما يلي:

النتائج:

- حرص أهل الطائف على العلم و التعليم و تميزها بفصاحة اللسان جعل منها مركز استقطاب لأبناء القبائل العربية.
- تركيز الطائف على الاهتمام بفصاحة اللسان و الخط العربي و صحة الأملاء جعلها تمتلك نقاط قوة في التعليم وذلك منذ العصر النبوي.
- يعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية بداية التعليم و ذلك من أجل فهم الدين الجديد وتعلم مبادئه.
- اعتمد التعليم في بداية إنطلاقة على الكتاتيب التي كان من اهم أهدافها تعليم الصبيان و البنات الدين الإسلامي و اللغة العربية الفصيحة.
- ظهور المدارس النظامية في العهد العثماني خاصة في مكة والمدينة و التي كان من اهم أهدافها تدريس المناهج باللغة التركية سعيًا منهم للحفاظ على لغتهم و هويتهم التركية.
- حافظت دولة الاشراف على اللغة العربية بعدما حولت التعليم في المدارس من اللغة التركية الى العربية بالإضافة الى انها كانت تسعى جاهدة لحث و تشجيع الأهالي على تدريس أبنائهم في

— التعليم في مدينة الطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية عهد الأشراف في الحجاز (12 ق. هـ - 1344 هـ / 610 - 1925 م) —
(دراسة تاريخية تحليلية)

المدارس بتوزيع الأقلام و الكتب و الدفاتر مجاناً لهم.

التوصيات:

أوصت الباحثة بتكثيف البحث حول التعليم في مدينة الطائف خاصة في العهد الإسلامي و الحديث نظراً لقلّة المعلومات المتوفرة حول ذلك.
إجراء العديد من الأبحاث عن بداية تعليم المرأة في مدينة الطائف و الأدوات المستخدمة في تعليمهم.
البحث في الأرشيف العثماني عن وثائق متخصصة عن مدينة الطائف وتاريخها في عهدهم.

الهوامش:

- (1) سورة الفلق: آية (1).
- (2) سورة المجادلة: الآية (11).
- (3) سورة الجمعة: الآية (2).
- (4) حافظ أبي عيسى الترمذي: **الجامع الكبير**، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف: باب ما جاء في الفقه على العبادة، رقم الحديث (2682)، مج4، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1417هـ/1996م)، ص414.
- (5) الحِجَاز: بكسر الحاء وآخره زاي: جبل يمتد بين كل من غور تهامة ونجد، فهو حاجر منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج2، ص218.
- (6) مناحي ضاوي القثامي: **تاريخ الطائف قديماً وحديثاً**، ط3 (الطائف: نادي الطائف الأدبي الثقافي، 1436هـ/2014م)، ص92.
- (7) **الحيرة**: هم من عرب اليمن المهاجرة، قامت مملكتهم في جنوب العراق، وهي تابعة للدولة الفارسية، وأشهر ملوكهم: عمر بن عدي والنعمان بن المنذر، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد سنة 12هـ/633م، ثم دخلوا في الإسلام. أبو الفضل جمال الدين بن منثور: **لسان العرب**، مج12، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص34؛ أحمد معمر العسيري: **موجز التاريخ الإسلامي**، د.ط (د.م: دن، د.ت)، ص45.
- (8) **بنو سعد**: هم بنو سعد بن بكر بن هوزان، تقع ديارهم حول قرن المنازل بين الطائف ونخلة، ولا زالوا بها حتى اليوم؛ غير أن القسم الأكبر منهم انتقل إلى جنوب الطائف فملكوا أودية، وتنقسم بنو سعد إلى فرعين وهما: الثبته والبطنين. كما أن قبيلة عتيبة = تستوطن أحياء كبيرة في مدينة الطائف. يُنظر: عاتق بن غيث البلادي: **الرحلة النجدية**، ط2 (مكة المكرمة: دار مكة المكرمة، 1402هـ/1982م)، ص127.
- (9) **سوق عكاظ**: اختلف الباحثون في موقعه، فمنهم من قال: يقع في شرق الحوية، ومنهم قال: السيل الكبير، أو في السيل الصغير، أو في جنوب الطائف؛ لكن شكّلت لجنة لمعرفة موقعه، ثم حدّدت بأنه يقع شمال شرق الحوية، وقد دُمّرت الحرورية عام 129هـ/746م. كما اختلفوا في سبب تسميته بعكاظ، فمنهم من قال: لأن جميع القبائل كانت تجتمع فيه، فيعكظ بعضهم بعضاً في المفخرة؛ أي يقهره ويعركه. وقيل: إن عكاظ بمعنى التفاخر. ويبدأ موسم السوق في أول يوم من ذي القعدة ويستمر للعشرين منه، ويُقام السوق على أرض ثقيف وهوزان. يُنظر: ناصر بن علي الحارثي: **المعجم الأثري لمحافظة الطائف**، تقديم: فهد عبد العزيز بن معمر: ط1 (الطائف: لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، 1422هـ/2001م)، ص69؛ سعيد الأفغاني: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط3 (بيروت: دار الفكر، 1394هـ/1974م)، ص289-290.
- (10) صالح بن علي السندي: **سوق عكاظ**، مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية، ع11 (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد الرياض العلمي، 1412هـ/1992م)، ص34-36؛ سمية سعيد آل عبيد: **الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين 1-41هـ/661-622م**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك خالد، 1442هـ/2021م، ص114-115.

(11) **قبيلة ثقيف:** من القبائل العريقة التي سكنت الطائف، وتُنسب إلى قيس بن منبه بن بكر بن هوازن، الذي اشتهر بثقيف فعرف ولده من بعده بلقبه؛ حتى أصبح اسمه علماً على القبيلة، وقد تفرّعت إلى عدت بطون، منها: الحمدة، وطويرق، والنمور، وبنو سفيان، وبنو سالم، وعوف، وثمانة، وقريش، وأهل الصخيرة.

الشريف محمد بن منصور: قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط2 (د.م: د.ن، 1401هـ/1981م)، ص 21.

(12) **العصر الجاهلي:** هو العصر الذي انتشر فيه الخرافات والجهل قبل بعثة محمد ﷺ واستمر قرابة قرن

ونصف. أحمد العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، ص2-5.

(13) سمية آل عبيد: الحياة الاقتصادية في الطائف، ص113.

(14) **عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -** : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ، والدته

حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن كعب، يكنى بأبي حفص، عُرف جده

بالشرف حتى أن قریش كانت تذهب تتحاكم إليه، وُلد ونشأ بمكة في عام أربعين قبل الهجرة، وأسلم

في السنة السادسة من بعثة محمد ﷺ ولُقّب بالفاروق، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وهو ثاني

الخلفاء الراشدين، تميّز عهده بالفتوحات الكثيرة، وقد قُتل وهو يصلي صلاة الفجر على يد لؤلؤة

المجوسي سنة 644/هـ 24، ودُفن يوم الأحد بالحجرة النبوية بالقرب من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

- أحمد بن يحيى البلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار وآخرون: ج10، د.ط

(د.م: دار الفكر، د.ت)، ص286؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات

السياسية، ط2 (بيروت: دار النفاس، 1432هـ/2011م)، ص 173- 323- 359 .

(15) **قریش:** تنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهي من القبائل العريقة

التي تسكن في مكة والطائف، وهي مجاورة لقبيلة ثقيف، وتنقسم قریش مكة إلى قسمين: قریش

البطح، وقریش الظواهر، وكل قسم ينقسم إلى عدة بطون، وتنقسم قریش الطائف إلى قسمين بدو

وحضر، وكل قسم ينقسم إلى عدة بطون. يُنظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم قبائل الحجاز، ط2 (مكة

المكرمة : دار مكة المكرمة، 1403هـ/1983م)، ص 417- 418.

(16) **أبو عبيد القاسم الهروي:** فضائل القرآن، حققه و شرحه وعلق عليه: مروان العطية وآخرون: د.ط

(بيروت: دار ابن كثير، د.ت)، ص 340.

(17) **عثمان بن عفان - رضي الله عنه -** : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، والدته أروى بنت

كريز بن ربيعة بن حبيب بن قصي، وُلد سنة 23هـ/644م، وكان يُكنى في الجاهلية بأبي عمرو، ولما تزوّج

رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأنجبت له عبد الله تكنى بأبي عبد الله، تزوّج ابنتي الرسول

ولُقّب بذي النورين، شارك في جميع الغزوات باستثناء غزوة بدر، وهو من العشرة المبشرين بالجنة،

وثالث الخلفاء الراشدين، قُتل سنة 35هـ/656م، ودفن في مقبرة البقيع. أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ

الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد إبراهيم: ج4، د.ط (مصر: دار المعارف، د.ت)، ص 417-

419- 420؛ محمد طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص365.

(18) **هذيل:** تُنسب إلى مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، يسكنون حول مكة من جهة

الشرق والجنوب والشمال، وتمتد من الشرق إلى سروات الطائف، وقد اشتهرت بالفصاحة والشعر،

- وتنقسم حسب موقع سكنها في مكة إلى: هذيل الشام وهذيل اليمن، فمن يسكن شمال مكة يُعرف بهذيل الشام، ومن يسكن في جنوب مكة يُعرف بهذيل اليمن، وكل حزب منهم ينقسم إلى عدة بطون. يُنظر: أبو محمد علي الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون: ط5 (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص 480؛ الشريف محمد: **قبائل الطائف**، ص 35.
- (19) علاء الدين علي الهندي: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبطه و فسر غريبه: بكري حياني: صححه ووضع فهارسه و مفتاحه: صفوة السقا: ج2، ط5 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م)، ص 587.
- (20) حماد بن حامد السالمي: **قبيلة ثقيف حياتها وفنونها وألعابها الشعبية**، ط2 (د.م: د.ن، 1419هـ/1998م)، ص 49-46-51.
- (21) **شرحبيل الثقفي**: هو شرحبيل بن غيلان بن سلمة بن متعب الثقفي، والدته رائطة بنت وهب بن متعب، سكن الطائف وتوفي سنة 680/هـ60م. أحمد بن علي العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية: ج5، ط1 (القاهرة: د.ن، 1429هـ/2008م)، ص 100-102؛ عز الدين بن الأثير الجوزي: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق وتعليق: علي محمد وآخرون: قدم له وقرظه: محمد عبدالمنعم وآخرون: ج2، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص 623.
- (22) **المغيرة الثقفي**: هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، والدته أمامة بنت الأفقم أبي عمر، وُلد في العشرين قبل الهجرة بالطائف، شهد فتح الشام والعراق واليمامة وغيرها، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سُلّم عليه بالإمارة، وكان يكنى أبا عبد الله، أو أبا عيسى، أسلم عام الخندق، ووُصف بالدهاء، وعُيّن واليًا على الكوفة، توفي سنة 50هـ/670م بالكوفة. أحمد العسقلاني: **الإصابة**، ج10، ص 301-300؛ خير الدين الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين**، ج7، ط15 (بيروت: دار العلم للملايين، 1423هـ/2002م)، ص 277؛ عز الدين الجوزي: **أسد الغابة**، ج5، ص 238-239.
- (23) **جبير الثقفي**: هو جبير بن حية بن مسعود الثقفي، هو ابن عم المغيرة بن شعبة، وابن أخي عروة بن مسعود، شهد جميع الفتوح التي كانت في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم قدم إلى العراق فاستقر بها وعُيّن كاتبًا في الديوان، ثم عُيّن واليًا على أصبهان، توفي في خلافة عبد الملك. أحمد العسقلاني: **الإصابة**، ج2، ص 167-168.
- (24) أحمد العسقلاني: **الإصابة**، ج2، ص 168.
- (25) **عيسى الثقفي**: هو أبو عمرو بن عيسى بن عمر الثقفي النحو البصري، يُقال: إنه مولى خالد بن الوليد، نزل إلى قبيلة ثقيف وانتسب إليهم، ولُقّب بشيخ سيويه وأبي عمرو بن العلاء، والخليل، وهو أول من هذّب النحو ورتبه، وعلى طريقته مشى سيويه، وهو من البصرة، توفي سنة 149هـ/766م. أبو العباس شمس الدين خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس: ج3، د.ط (بيروت: دار صادر، 1389هـ/1969م) ص 486؛ شهاب الدين أبو الفلاح الدمشقي: **شذرات الذهب في أخبار من**

- ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون: مج2، ط1 (بيروت: دار ابن كثير، 1414هـ/1993م)
ص224؛ أبو بكر محمد الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد إبراهيم: ط2 (مصر: دار المعارف، د.ت)، ص23؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص1064.
- (26) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، ط2 (د.م، دن، 1413هـ/1993م)، ص54؛ شهاب الدمشقي: شذرات الذهب، مج2، ص224؛ صالح محمد أبو شارب: عيسى بن عمر الثقفي: آراؤه اللغوية وقراءاته، رسالة ماجستير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، 1432هـ/2011م، ص26.
- (27) غيلان الثقفي: هو غيلان بن سلمة بن متعب بن مالك الثقفي، ينتمي إلى بني كنة، والدته سبيعة بنت عبد شمس، سكن في الطائف، وعُرف بالفصاحة والشعر، وفد على كسرى وبني له حصناً في الطائف، أدرك الإسلام فأسلم وأمره رسول الله أن يختار أربعة من زوجاته ويطلق ست منهن، وأولاده هم: عامر وعمار ونافع وبادية، توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب سنة 23هـ/644م. أحمد العسقلاني: الإصابة، ج8، ص490؛ عز الدين الجوزي: أسد الغابة، ج4، ص328-329؛ أحمد البلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج13، ص432؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص124.
- (28) عز الدين الجوزي: أسد الغابة، ج4، ص329؛ أحمد البلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج13، ص432؛ سمية آل عبيد: الحياة الاقتصادية في الطائف، ص114.
- (29) الحجاج الثقفي: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، يكنى بأبي محمد، والدته فارعة بنت عروة بن مسعود الصحابي المشهور، وُلد في الطائف سنة 40هـ/660م، وترعرع فيها، وعُيّن والياً على المدينة ومكة واليمامة والعراق، توفي سنة 95هـ/714م، وكان عمره أربع وخمسين سنة. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص168؛ أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ط1 (بيروت: المكتبة العصرية، 1425هـ/2005م)، ص107-138؛ أبو العباس خلكان: وفيات الأعيان، مج2، ص29؛ عمر فروخ: الحجاج بن يوسف الثقفي، د.ط (بيروت: مكتبة منيمنة، 1360هـ/1941م)، ص3.
- (30) العصر الأموي: بدأ العصر الأموي عام 41هـ/661م، ودام حكمهم أحد وتسعين عاماً هجرياً وتسعة وثمانين عاماً ميلادياً، وقد تولى الخلافة أربعة عشر خليفة، أولهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم الخليفة مروان بن محمد الجعدي. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ط7 (بيروت: دار النفاس، 1431هـ/2010م)، ص15؛ عمر فروخ: الحجاج بن يوسف الثقفي، ص3؛ سليمان صالح آل كمال: التعليم في الطائف وبعض رجاله في القرن الرابع عشر الهجري، ط1 (د.م، دن، 1418هـ/1998م)، ص10.
- (31) يوسف الثقفي: هو يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، والده الحجاج بن يوسف الثقفي أصله من أهل الطائف، واشتهر بأنه فاضل ومن خير المسلمين، توفي سنة 60هـ/679م. أبو العباس شمس الدين خلكان: وفيات الأعيان، مج2، ص29؛ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبطه نصه وعلق عليه: بشار معروف: مج2، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م)، ص734؛ يزيد بن أبي كبشة: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: سكيئة الشيباني: ج18، ط1 (دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1989م)، ص78-79.

(32) أبو محمد عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة: ط4 (د.م: دار المعارف، د.ت)، ص548؛ حماد فرحان المحمدي: دور الحجاج بن يوسف الثقفي في الإصلاح اللغوي في القرآن الكريم 95-75هـ/694-714م، مجلة كلية التربية للبنات، ع3(بغداد: جامعة بغداد - كلية التربية للبنات، 1440هـ/2018م)، ص2550.

(33) عبدالله بن عباس: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وُلد في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، لُقّب بترجمان القرآن وحبر الأمة، وهو ابن عم الرسول ﷺ والدته أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وهو موسوعة علمية بالفقه والشعر والأنساب والأيام والحساب، توفي بالطائف سنة 68هـ/687م. أحمد العسقلاني: الإصابة، ج6، ص228-229؛ وأبو عمر يوسف عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ومعه الإنباء في ذكر القبائل الرواة، الاستدراك على الاستيعاب: لابن الأمين: و حواشي الاستيعاب: لبسط ابن العجمي: تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز للبحوث و الدراسات العربية الإسلامية: ج4، ط1(د.م: دن، 1440هـ/2019 م)، ص421-420-423؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص95؛ محمد حسني مصطفى: أعلام عصر الصحابة، ط1(سوريا: دار الرفاعي- دار القلم العربي، 1426هـ/2005م)، ص401-402.

(34) عمرو القرشي: هو عمرو بن شعيب بن محمد القرشي، يكنى بأبي إبراهيم أو أبي عبد الله، والدته حبيبة بنت مرة الجمحية، سكن بمكة، وهو فقيه أهل الطائف، كان محباً لنشر العلم، توفي بالطائف سنة 118هـ/736م. شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج8، دط (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ص48؛ شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ج5، ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402هـ/1982م)، ص165؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص79.

(35) شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص165؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص10.

(36) أبو العباس الميوزقي: هو المؤرخ أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الميوزقي - نسبة إلى ميوزقة التي وُلد فيها بالمغرب- وقد سكن في الطائف لمدة سنتين، ثم سكن في مكة، وتوفي سنة 678هـ/1279م في الطائف، ودفن في مقبرة تجاه ركن مسجد ابن عباس بالطائف، أُلّف كتاب بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج. أبو العباس الميوزقي: عقود اللطائف في محاسن الطائف، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم (3515)، ص3-4؛ محمد سعيد كمال: الطائف في كتب المؤرخين، ط2 (الطائف: مكتبة المعارف، 1434هـ/2013م)، ص40-41.

(37) جار الله بن فهد: هو جار الله بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي، يُعرف بابن فهد، وُلد وترعرع بمكة سنة 891هـ/1486م، ورحل إلى مصر والشام، ومن مؤلفاته: التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وتحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج الطائف، توفي بمكة سنة 954هـ/1547م. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص209؛ شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، دط (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ص52.

(38) ابن عراق الكتاني: هو محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الدمشقي، وُلد وترعرع بدمشق سنة 878هـ/1473م، رحل إلى المدينة، وكان موسوعة علمية في الحديث والقراءات والحساب والشعر، وكان

محباً لنشر العلم، من مؤلفاته: نشر اللطائف في قطر الطائف، توفي في المدينة سنة 933 هـ/1526 م. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص290؛ شهاب الدين الدمشقي: شذرات الذهب، ج10، ص273؛ محمد سعيد: الطائف في كتب المؤرخين، ص107؛ طارق منصور: مدرسة الطائف التاريخية في العصر المملوكي، أشغال الملتقي الدولي السادس حول الكتابة التاريخية في العالم العربي الإسلامي في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، د.ط (تونس: جامعة تونس-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1431 هـ/2010 م)، ص218.

(39) الدولة العثمانية: أكبر دولة إسلامية نشأت في القرن 13 م/627 هـ، وامتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وأفريقيا، وأصلهم من قبيلة تركمانية، وقد تولى الحكم خمسة وثلثون سلطاناً، وأشهر ملوكها محمد الفاتح، واستمر حكمهم أكثر من ستة قرون. فائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة (1293-1334 هـ/1876-1916 م) د.ط (د.م: دن، 1398 هـ/1978 م)، ص9؛ إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416 هـ/1996 م)، ص5.

(40) مسجد ابن عباس: يُقال إن أول من بناه الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله سنة 592 هـ/1195 م، ويقع خلف قصر أفراح المثناة بأسفل جبل المدهون، والمسجد عبارة عن شكل مربع، يوجد به فناء مكشوف مستطيل الشكل، ويُدخل إلى الفناء من الطرف الجنوبي بالجدار الشرقي، ويُدخل إلى المسجد من باب بمنصف الجدار الشرقي للمسجد، ويحفّ بهذا الباب نافذتان مستطيلتان الشكل، وينقسم المسجد من الداخل إلى بائكتين، يفصلهما جدار به ثلاث فتحات معقودة، وفي منتصف الجدار الغربي يقع المحراب وهو مجوّف الشكل، ومتوّج بعقد مفصص، وقد تهدّم الجدار الشمالي للمسجد، وجُدّد أكثر من مرة، وكان آخرها في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود. ناصر الحارثي: المعجم الأثري لمحافظة الطائف، ص113-112؛ أسماء حسن الغامدي: الحياة العلمية في مدينة الطائف خلال الفترة (1384-1426 هـ/1964-2005 م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، 1436 هـ/2014-2015 م، ص179.

(41) محمد عبد الرحمن الشامخ: التعليم في مكة و المدينة آخر العهد العثماني، د.ط (د.م: دار العلوم، 1405 هـ/1985 م)، ص90.

(42) قبيلة الظفارين: هم من بدو قبيلة طويرق من بطون ثقيف التي تسكن في مدينة الطائف. محمد سعيد آل كمال: الطائف جغرافيته - تاريخه - أنساب قبائله، د.ط (الطائف: مكتبة المعارف، 1416 هـ/1995 م)، ص77؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، هامش (2)، ص18.

(43) حي فوق: حارة تقع داخل السور خلف باب الريع من ناحية الركن الغربي الجنوبي داخل السور المطل على ضاحيتي السلامة والمثناة، يحدها من جهة الشرق والجنوب مسجد ابن عباس رضي الله عنه ، ومن جهة الغرب السور، ومن جهة الشمال زقاق الفتات. عيسى بن علوى القصير: الطائف القديم داخل السور في القرن الرابع عشر الهجري وهج حضارة ونبض الحياة، ط2 (الطائف: مكتبة المصيف، 1434 هـ/2013 م)، ص83.

- (44) عبد الحي بن حسن كمال: الطائف وأسماء أسرة القديمة وبعض عاداتهم، د.ط (الطائف: دار الحارثي، د.ت)، ص 23، 27؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص18.
- (45) آل خادم: هم من الذين سكنوا الطائف، وخدموا مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وانقسم سكان آل خادم إلى قسمين: قسم سكن بمحلة فوق، وقسم سكن بمحلة أسفل، وسكن بعضهم خارج السور، سكنوا في قرية أم خبز ثم سُميت باسم الخدام نسبة لهم، وهي اليوم تُعرف بحي الفيصلية، كما لهم مزارع وأملاك بوادي الصخيرة ووادي لية، وينقسم الخدام في وقتنا الحالي إلى: ذوي مهدي، وآل الشيخ، والداموك، والمخرج، وأبي خيش. سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، هامش(1)، ص19؛ حسن بن علي العجيمي: إهداء للطائف من أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر: د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ص86؛ عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسر القديمة، ص43؛ سليمان بن صالح آل كمال: مساجد الطائف داخل السور: تاريخ عمارتها ودورها العلمي، ط1(د.م: دن، 6141هـ/5991م)، ص 32.
- (46) عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسر القديمة، ص27؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص18.
- (47) سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص19.
- (48) المرجع السابق: ص19.
- (49) محمد علي مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، د.ط (جدة: تهامة، د.ت)، ص 125.
- (50) محمد مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص123.
- (51) عبد الله الصالح العثيمين: المملكة العربية السعودية، ج2، ط6 (د.م: دن، 1425هـ/2004م)، ص 324.
- (52) الحصر: يعني منسوج من دُوم يُقال: إنه يعمل من السعف أو من قشوره. أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، مج11، ص407.
- (53) حنبل: يعني الفرو. المرجع السابق: مج11، ص182.
- (54) الطَّلُحُ: هي شجرة تنبت في الجبال، ووُصفت بأنها شجرة أم غيلان، وهي طويلة حجازية لها أشواك ومنابتها بطون الأودية، ولها أغصان طويلة وساق عظيمة وتُأكل منها الإبل. المرجع السابق: مج2، ص532.
- (55) الأثل: هي شجرة تشبه الطرفاء؛ لكنها أعظم منها بجودة العود حيث تُصنع منها الأقداح الصفر الجياد، ومنها تُتخذ منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويُعدُّ منها الأبواب، كما يُصنع منها القصاع والجفان. المرجع السابق: مج11، ص10.
- (56) عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسر القديمة، ص26-27.
- (57) ابتسام محمد كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (1000-923هـ/1517-1591م)، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، 1422هـ/2001م، ص 184.
- (58) محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص 81.

- (59) محمد سعيد: الطائف جغرافية، ص 40.
- (60) وفيما يتعلّق بالكتاتيب التي ظهرت في الطائف، يُنظر ص-109 .
- (61) أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي وآخرون: ط1 (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1419هـ/1999م)، ص-143 144.
- (62) خير الدين الزركلي: هو المؤرخ خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، وُلد في بيروت يوم 6 شهر ذي الحجة سنة 1310هـ/25 يونيو 1893م، وأبواه دمشقيان من أسرة سورية الأصل، نشأ في دمشق ودرس بمدرسة أهلية، ثم انتقل إلى بيروت، وشارك في عدة مجلات، كما أصبح عضواً في مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العراقي، توفي عام 1369هـ/1976م، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الأعلام. خير الدين الزركلي: ما رأيته وما سمعت، ص5-3.
- (63) مسجد باعنتر: بناء على يد الشيخ أحمد باعنتر الحضرمي وهو بُناء قديماً، وقد استحدثت عمارته نزيل الصائف عندما نزل إلى مدينة الطائف، كما ساعد الشيخ أحمد عبد الله على إقامة الصلوات فيه، ونشر العلم ومدارسه. سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، هامش(5)، ص37؛ حسن العجيمي: إهداء اللطائف، 63؛ محمد الزايدي: المرجع في تاريخ الطائف، ط3 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1438هـ/2017م)، ص105.
- (64) خير الدين الزركلي: ما رأيته وما سمعت، ص 116.
- (65) عبد اللطيف بن عبد الله بن هيش: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز في عام 1302هـ - 1885م: دراسة وتحليل، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثاني: دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور (الرياض: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1421هـ/2000م)، ص348.
- (66) محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص33.
- (67) إبراهيم فوزان الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د.ط (الرياض: دن، 1401هـ/1981م)، ص314.
- (68) خير الدين الزركلي: ما رأيته وما سمعت، ص116؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص39.
- (69) عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسر القديمة، ص 27-24؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص39.
- (70) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش: المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني، مجلة الدارة، مج10، ع3 (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1404هـ/1984م)، ص165.
- (71) عهد الأشراف: استقل الأشراف بإمارة مكة المكرمة منذ عام 968هـ/968م، حيث تناوبت أسر الأشراف على الحكم لمدة عشرة قرون، ابتداء من الموسويين والسليمانيين والهواشم، وانتهت في أثناء حكم الشريف علي بن الحسين، الذي يعود نسبه إلى أبي نفي محمد الثاني بن بركات عام 1344هـ/1925م. عبد الله الغازي المكي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام: دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش: ط1 (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 1430هـ/2009م)، ص 74؛ الشريف أحمد ضياء الحسيني: معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، تقديم: الشريف سامي بن محسن وآخرون: مج3، ط1 (بيروت- لبنان: مؤسسة الريان، 1426هـ/2005م)، ص 1503-1504؛

الشریف بن منصور: قبائل الطائف، ص 39-40؛ سامية محمد بشاوري: إمارة الشریف غالب بن مساعد في مكة (-1202 1228هـ/1787-1812م)، رسالة ماجستير منشور، جامعة الملك سعود، 1403هـ/1983م، ص29.

(72) خير الدين الزركلي: ما رأيت وما سمعت، ص 77؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص38.
(73) متعب ماطر البلادي: التعليم الحكومي في الطائف في الفترة ما بين (1334-1343هـ/1924-1916م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع53 (موريتانيا: جامعة نواكشوط- كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1443هـ/2021م)، ص215.

(74) المدرسة الخيرية الهاشمية: من المدارس التي أنشأها الحسين بن علي، وكان حريصاً على نشر العلم، وقد تطوّرت بشكل سريع في زمن وجيز. أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج1، د.ط (د.م، د.ن، 1419هـ/1999م)، ص 693-696؛ محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص52؛ محمد سعيد: الطائف جغرافية، ص40.

(75) متعب البلادي: التعليم الحكومي في الطائف، ص-215 216.
(76) عبدالله قاضي: هو عبد الله بن عبد الرحيم قاضي، وُلد عام 1315هـ/1897م بالطائف، وتلقّى تعليمه بالمدرسة الرشدية، ثم أكمل تحصيله العلمي على أيدي مشايخ الطائف ومكة، وعُيّن مدرساً بالمدرسة الرشدية ثم الخيرية الهاشمية. وزاول العديد من الوظائف، منها أنه عُيّن بمالية الطائف وغيرها، توفي عام 1377هـ/1957م بالطائف. سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص128؛ متعب البلادي: التعليم الحكومي في الطائف، ص-216 221.

(77) عبد الرحمن قاضي: هو عبد الرحمن بن سليمان قاضي، لم تعثر الباحثة على تاريخ ولادته، وقد بدأ حياته العلمية في مدينة الطائف بمهنة التدريس، ثم عُيّن بكتابة الضبط، ثم قاضياً في العقبة ومدينة جدة، وانتقل إلى الطائف وعُيّن مديراً للمدرسة الهاشمية الخيرية، توفي 1343هـ/1924م. عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسرهم القديمة، ص 36؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص127.

(78) صبحي الحلبي: هو صبحي بن طه الحلبي، لم تعثر الباحثة على تاريخ ولادته أو وفاته، وهو شاعر وأديب من أدباء مدينة الطائف، زاول مهنة التدريس حيث درّس بمدرسة الرشدية في زمن العهد العثماني والمدرسة الهاشمية الراقية بالطائف، ونُشر له قصيدة في جريدة القبلة، وكان من شعره النشيد الذي كان ينشده الطلاب بمدرسة الطائف. عبد الحي كمال: الطائف وأسماء أسرهم القديمة، ص33؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص-216 221 217.

(79) خير الدين الزركلي: ما رأيت وما سمعت، ص116-118؛ سليمان آل كمال: التعليم في الطائف، ص38-39.
(80) محمد هيكل: هو محمد بن حسين بن سالم هيكل، وُلد عام 1305هـ/1888م في قرية كفر غنام، وحصل على شهادة الدكتوراه في تخصص الحقوق، وفتح مكتباً للمحاماة، وهو كاتب صحفي ومؤرخ، اختير عضواً في المجمع اللغوي، كما أنه من رجال السياسة بمصر، وتولى وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ، وصدر له العديد من الإنتاج العلمي، توفي عام 1376هـ/1956م بالقاهرة. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص107.

(81) محمد حسين هيكل: في منزل الوحي، د.ط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت)، ص562.

المصادر و المراجع:

- (1) القرآن الكريم
- (2) ابتسام محمد كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (1000-923هـ/1591-1517م)، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، 1422هـ/2001م.
- (3) إبراهيم فوزان الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د.ط (الرياض: دن، 1401هـ/1981م).
- (4) أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ط1 (بيروت: المكتبة العصرية، 1425هـ/2005م).
- (5) أبو العباس الميوزقي: عقود اللطائف في محاسن الطائف، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم (3515).
- (6) أبو العباس شمس الدين خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مج3، د.ط (بيروت: دار صادر، 1389هـ/1969م).
- (7) أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مج12، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).
- (8) أبو بكر محمد الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد إبراهيم، ط2 (مصر: دار المعارف، د.ت).
- (9) أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد إبراهيم، ج4، د.ط (مصر: دار المعارف، د.ت).
- (10) أبو عبيد القاسم الهروي: فضائل القرآن، حققه و شرحه وعلق عليه: مروان العطية وآخرون: د.ط (بيروت: دار ابن كثير، د.ت).
- (11) أبو محمد عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة: ط4 (د.م : دار المعارف، د.ت).
- (12) أبو محمد علي الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون: ط5 (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
- (13) أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج1، د.ط (د.م، دن، 1419هـ/1999م).
- (14) أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج1، د.ط (د.م، دن، 1419هـ/1999م).
- (15) أحمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: ج5، ط1 (القاهرة: دن، 1429هـ/2008م).
- (16) أحمد بن يحيى البلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار وآخرون: ج10، د.ط (د.م: دار الفكر، د.ت).
- (71) أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، د.ط (د.م: دن، د.ت).
- (18) أسماء حسن الغامدي: الحياة العلمية في مدينة الطائف خلال الفترة (1426-1384هـ/1964-2005م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، 1437-1436هـ/2014-2015م.

- (19) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م).
- (20) أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي وآخرون: ط1 (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1419هـ/1999م).
- (21) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، ط2 (دم، دن، 1413هـ/1993م).
- (22) حافظ أبي عيسى الترمذي: الجامع الكبير، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مج4، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1417هـ/1996م).
- (23) حسن بن علي العجيمي: إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر: د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).
- (24) حماد بن حامد السالمي: قبيلة ثقيف حياتها وفنونها وألعابها الشعبية، ط2 (دم، دن، 1419هـ/1998م).
- (25) حماد فرحان المحمدي: دور الحجاج بن يوسف الثقفي في الإصلاح اللغوي في القرآن الكريم 75-95هـ/694-714م، مجلة كلية التربية للبنات، ع3 (بغداد: جامعة بغداد - كلية التربية للبنات، 1440هـ/2018م).
- (26) خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، ج7، ط15 (بيروت: دار العلم للملايين، 1423هـ/2002م)، ص277: عز الدين الجوزي: أسد الغابة، ج5.
- (27) خير الدين الزركلي: ما رأيته وما سمعت، تعليق: عبد الرزاق محمد سعيد كمال: د.ط (الطائف: مكتبة المعارف، د.ت).
- (82) سامية محمد بشاوري: إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة (1202- 1228هـ/1787-1812م)، رسالة ماجستير منشور، جامعة الملك سعود، 1403هـ/1983م.
- (92) سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية و الإسلام، ط3 (بيروت: دار الفكر، 1394هـ/1974م).
- (30) سليمان بن صالح آل كمال: التعليم في الطائف وبعض رجاله في القرن الرابع عشر الهجري، ط1 (دم، دن، 1418هـ/1998م).
- (31) سليمان بن صالح آل كمال: مساجد الطائف داخل السور: تاريخ عمارتها ودورها العلمي، ط1 (دم، دن، 1416هـ/1995م).
- (23) سمية سعيد آل عبيد: الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (41-1هـ/661-622م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك خالد، 1442هـ/2021م.
- (33) الشريف أحمد ضياء الحسيني: معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، تقديم: الشريف سامي بن محسن وآخرون: مج3، ط1 (بيروت- لبنان: مؤسسة الريان، 1426هـ/2005م).
- (34) الشريف محمد بن منصور: قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط2 (دم، دن، 1401هـ/1981م).
- (35) شمس الدين أبو عبد الله الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار معروف: مج2، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م).

(36) شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ج5، ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402 هـ/1982 م).

(37) شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، د.ط (بيروت: دار الجيل، د.ت).

(38) شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج8، د.ط (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

(39) شهاب الدين أبو الفلاح الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وآخرون: مج2، ط1 (بيروت: دار ابن كثير، 1414 هـ/1993 م).

(04) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي: معجم البلدان، مج4، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).

(41) صالح بن علي السنيدي: سوق عكاظ، مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية، ع11 (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد الرياض العلمي، 1412 هـ/1992 م).

(42) صالح محمد أبو شارب: عيسى بن عمر الثقفي: آراؤه اللغوية وقرآته، رسالة ماجستير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، 1432 هـ/2011 م.

(43) طارق منصور: مدرسة الطائف التاريخية في العصر المملوكي، أشغال الملتقي الدولي السادس حول الكتابة التاريخية في العالم العربي الإسلامي في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، د.ط (تونس: جامعة تونس-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1431 هـ/2010 م).

(44) عاتق بن غيث البلادي: الرحلة النجدية، ط2 (مكة المكرمة: دار مكة المكرمة، 1402 هـ/1982 م).

(45) عاتق بن غيث البلادي: معجم قبائل الحجاز، ط2 (مكة المكرمة: دار مكة المكرمة، 1403 هـ/1983 م).

(46) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج5، ط2 (مكة المكرمة: دار مكة المكرمة، بيروت: مؤسسة الريان، 1431 هـ/2010 م).

(47) عبد الحي بن حسن كمال: الطائف وأسماء أسرة القديمة وبعض عاداتهم، د.ط (الطائف: دار الحارثي، د.ت).

(48) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش: المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني، مجلة الدارة، مج10، ع3 (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1404 هـ/1984 م).

(49) عبد اللطيف بن عبد الله بن هيش: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز في عام 1302 هـ - 1885 م: دراسة وتحليل، مداوات اللقاء العلمي السنوي الثاني: دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور (الرياض: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1421 هـ/2000 م).

(50) عبد الله الصالح العثيمين: المملكة العربية السعودية، ج2، ط6 (د.م: دن، 1425 هـ/2004 م).

(51) عبد الله الغازي المكي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام: دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش: ط1 (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 1430 هـ/2009 م).

(52) عز الدين بن الأثير الجوزي: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي محمد وآخرون: قدم له وقرظه: محمد عبد المنعم وآخرون: ج2، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

(53) علاء الدين علي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه و فسر غريبه: بكري حياني: صححه ووضع فهارسه و مفتاحه: صفوة السقا: ج2، ط5 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ/1985 م).

- (54) عمر فروخ: **الحجاج بن يوسف الثقفي**، د.ط (بيروت: مكتبة منيمنة، 1360هـ/1941م).
- (55) عيسى بن علوي القصير: **الطائف القديم داخل السور في القرن الرابع عشر الهجري وهج حضارة ونبض الحياة**، ط2 (الطائف: مكتبة المصيف، 1434هـ/2013م).
- (56) فائق بكر الصواف: **العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة (1293-1334هـ/1876-1916م)** د.ط (د.م: دن، 1398هـ/1978م).
- (57) متعب ماطر البلادي: **التعليم الحكومي في الطائف في الفترة ما بين (1334-1343هـ/1924-1916م)**، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع53 (موريتانيا: جامعة نواكشوط- كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1443هـ/2021م).
- (58) محمد الزايدي: **المراجع في تاريخ الطائف**، ط3 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1438هـ/2017م).
- (59) محمد حسني مصطفى: **أعلام عصر الصحابة**، ط1 (سوريا: دار الرفاعي- دار القلم العربي، 1426هـ/2005م).
- (60) محمد حسين هيكل: **في منزل الوحي**، د.ط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت).
- (61) محمد سعيد آل كمال: **الطائف جغرافيته - تاريخه - أنساب قبائله**، د.ط (الطائف: مكتبة المعارف، 1416هـ/1995م).
- (62) محمد سعيد كمال: **الطائف في كتب المؤرخين**، ط2 (الطائف: مكتبة المعارف، 1434هـ/2013م).
- (63) محمد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات و الإنجازات السياسية**، ط2 (بيروت: دار النفاس، 1432هـ/2011م).
- (64) محمد سهيل طقوش: **تاريخ الدولة الأموية**، ط7 (بيروت: دار النفاس، 1431هـ/2010م).
- (65) محمد عبد الرحمن الشامخ: **التعليم في مكة و المدينة آخر العهد العثماني**، د.ط (د.م: دار العلوم، 1405هـ/1985م).
- (66) محمد علي مغربي: **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز**، د.ط (جدة: تهامة، د.ت).
- (67) محمد قاري عادل: **الشيخ عبد الحي كمال يتذكر 70 عامًا بين التدريس والقضاء**، مجلة الطائف، ع 79 (الطائف: الغرفة التجارية، 1407هـ/1986م).
- (68) مناحي ضاوي القثامي: **تاريخ الطائف قديمًا وحديثًا**، ط3 (الطائف: نادي الطائف الأدبي الثقافي، 1436هـ/2014م).
- (69) ناصر بن علي الحارثي: **المعجم الأثري لمحافظة الطائف**، تقديم: فهد عبد العزيز بن معمر: ط1 (الطائف: لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، 1422هـ/2001م).
- (70) يزيد بن أبي كبشة: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق: سكينه الشيباني: ج18، ط1 (دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1989م).

مدينة الإسكندرية في عيون الرحالة والجغرافيين (دراسة حضارية تحليلية مقارنة)

باحثة دكتوراه - قسم التاريخ- كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

أ. سلوى إبراهيم عبده زبيدي

المستخلص:

نالت مدينة الإسكندرية نصيباً من الوصف لدى بعض الرحالة والجغرافيين، الذين قاموا بوصفها من خلال رحلاتهم، ومن هذا المنطلق كان لابد من تسليط الضوء على كتاباتهم؛ لمعرفة مدينة الإسكندرية من خلال ذلك، وبناءً على هذا تجلّت أهمية الدراسة، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدينة الإسكندرية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي المقارن للوصول إلى النتائج المرجوة والتي من أهمها: أن مدينة الإسكندرية كانت تتمتع بالجمال والتطور العمراني والرقى الحضاري في القرنين السابع والثامن الهجريين والقرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهي الفترة التي زارها كلاً من الرحالة ابن جبير، والعبدي، والبلوي، وغيرهم. كما كانت هذه المدينة أيضاً تتمتع بالأمن والأمان خلال هذه الفترة من الزمن مما جعل سكانها يمارسون حياتهم وأعمالهم من مختلف جوانبها ليلاً في ظل هذا الأمن مثلما يمارسونها في النهار.

الكلمات المفتاحية: الإسكندرية، الرحالة، الجغرافيين، المقدسي، ابن حوقل، الإدريسي، ابن جبير، البلوي، العبدي.

The city of Alexandria in the eyes of travelers and geographers (A comparative analytical cultural study)

Mrs. Salwa Ibrahim Abdo Zubaidi - Doctoral researcher - Department of History - College of Sharia & Islamic Studies- Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia.

Abstract:

The city of Alexandria received a share of description by some travelers and geographers, who described it through their travels, In this sense it was necessary to shed light on their writings. To know the city of Alexandria through this, based on this, the importance of the study became clear. This study aims to shed light on the city of Alexandria through the writings of travelers and geographers. This study relied on the historical, analytical, descriptive, and comparative approach to reach the desired results, the most important of which are: The city of

Alexandria was characterized by beauty, urban development, and cultural sophistication in the seventh and eighth centuries AH and the thirteenth and fourteenth centuries AD, a period during which the city was visited by the travelers: Ibn Jubair, Al-Abdari, Al-Balawi, and others. This city also enjoyed security and safety during this period of time, which made its residents carry out their lives and work in various aspects at night under this security, just as they did it during the day.

Keywords: Alexandria, travelers, geographers, Al-Maqdisi, Ibn Hawqal, Al-Idrisi, Ibn Jubair, Al-Balawi, Al-Abdari.

المقدمة:

نالت الإسكندرية نصيباً من الوصف لدى بعض الرحالة والجغرافيين الذين قاموا بوصفها في الأمور التي شاهدها أثناء رحلتهم، أو التي نقلوها من المصادر الأخرى، ورغم ذلك إلا أننا نجدهم قد إختلفوا في وصفهم لبعض تلك الأمور، ربما يرجع ذلك؛ لإختلاف وجهات النظر، أو إختلاف العصور والفترات الزمنية التي زار فيها كل واحد منهم مدينة الإسكندرية، أو حسب الظروف التي صاحبت كل واحد منهم أثناء كتابة مشاهداته خلال رحلته، وعلى كلٍ فإن الأمور التي شاهدها في الإسكندرية، أو التي نقلوها من المصادر بعضها وُصفت وصفاً دقيقاً، وبعضها لم تتل حظاً وافراً من الوصف، فقد وُصفت بشكل عام دون التطرق لتفاصيلها، والبعض الآخر منها لم يتطرق لها الرحالة والجغرافيين في كتبهم، وعلى كلٍ فإن الأمور التي شاهدها الرحالة والجغرافيين في مدينة الإسكندرية وتناولوها بالوصف في كتبهم فهي كثيرة، ويطول بنا الأمر لو تحدثنا عنها جميعها، ولا مجال هنا للإسهاب في ذكرها وحصرها، ولذلك سنكتفي بذكر بعضها موجزاً في المحاور التالية:

المحور الأول: الموقع:

إنفردت الإسكندرية عن غيرها من المدن المصرية بموقعها الجغرافي المتميز، فقد ذكر أحد الجغرافيين كابن حوقل: أنها تقع «على نحر بحر الروم»⁽¹⁾، كما أشار المقدسي إلى موقع الإسكندرية حيث قال: «الإسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم»⁽²⁾، أما الإدريسي فقد ذكر أنها: «مدينة على نحر البحر الملح»⁽³⁾. وهكذا إتفق كلاً من الجغرافيين المقدسي والإدريسي مع ما ذكره ابن حوقل على أن الإسكندرية تقع على ساحل بحر الروم أي البحر المتوسط، إلا أننا نلاحظ أن الإدريسي قد انفرد في ذكره لمسمى بحر الروم حيث قال: «البحر الملح»، وربما أطلق على البحر الأبيض المتوسط مسمى البحر الملح؛ نظراً لملوحته.

المحور الثاني: وصف مدينة الإسكندرية وبنائها:

إمتدح بعض الرحالة العرب الذين زاروا مدينة الإسكندرية جمال بنائها وإتساعها وحسن منظرها وعلو مبانيها، ومن هؤلاء الرحالة ابن جبير حيث قال: «حسن وضع البلد وإتساع مبانيه، حتى إنا ما شاهدنا بلداً أوسع مسالك منه ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه، وأسواقه في نهاية من الإحتفال أيضاً. ومن العجب في وصفه أن بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها وأعتق وأمتن، لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضاً»⁽⁴⁾. يتضح من وصف ابن جبير أن المباني

في مدينة الإسكندرية كانت واسعة وعالية، كما يتضح أيضاً وجود الأزقة والمباني تحت الأرض، وهي أعتق وأمتن من المباني فوق الأرض، وكما ذكرت فاتن محمد الشيخ: «كانها مدينة أخرى للإسكندرية تحت الأرض»⁽⁵⁾.

لا يعتقد أن هذه المباني التي تحت الأرض هي مباني سكنية، فمن غير المعقول أن يقيم البشر تحت الأرض، لا سيما وأن مياة النيل تنجرف نحو هذه المباني، فالإنسان بطبيعته يبحث عن مسكن ليعيش فيه بأمان وليس ليعرض نفسه للخطر، ولذلك فمن غير المعقول أن يسكن سكان الإسكندرية تحت الأرض وهم يعلمون بإختراق مياة النيل لديارهم، ولذلك فإن تلك المباني التي هي تحت الأرض ربما كانت لأغراض عمرانية وليست لأغراض سكنية، وما يدل على ذلك هو أن بنيانها كان أقوى وأعتق وأمتن من المباني السكنية فوق الأرض، ربما لتقاوم سرعة إندفاع مياة النيل التي تخترقها تحت الأرض ولذلك تم بناءها بهذه المتانة. ولم يقتصر وصف المدينة على ابن جبير بل وصفها العبدري أيضاً الذي مرَّ بها وأمدنا بوصف شامل لها حيث قال: «مدينة فسيحة الميدان، صحيحة الأركان، مليحة البنيان، تسفر عن محيا جميل المنظر، وترنو بطرف ساج أحور. وتبسم عن ثغر كالأقحوان إذا نور، كأنه لم يرغب عنها شخص الإسكندر، بما ساس فيها من عجائب مبانيها ودبر، ناهيك بمدينة كلها عجب، قد ستر حسننها حسن غيرها وحجب، ووفي فيها الإتيقان حقه كما وجب، وقد أغنى عن تسطير وصفها ما سطره الأعلام، وضرب به الأمثال على المهارة بالأقلام»⁽⁶⁾. يعبر العبدري عن مدى جمال مدينة الإسكندرية وروعة المباني والجمال العمراني التي شاهدها أثناء رحلته، فهو يرى أن جمال الاسكندرية قد غطت على جمال البلدان التي زارها، حتى أنه من شدة جمالها شَعَرَ وكأن الإسكندر المقدوني الذي وضع أسس تلك المباني العجيبة لا زال على قيد الحياة، إذاً يتضح لنا من خلال وصف العبدري أن شخصية الإسكندر كانت معكوسة على جمال المباني وعجائبيها، فهو أول من وضع الأسس والتخطيط لمدينة الإسكندرية، فكان لهذا أثره الحضاري والعمراني فيما بعد في العصور الإسلامية والحديثة على مدينة الإسكندرية وعجائب مبانيها.

كما نال جمال الإسكندرية نصيباً من الوصف في كتابات الرحالة البلوي الذي لفت إنتباهه جمال هذه المدينة، فأبدى إعجابه من خلال كتاباته ليعطينا صورة كاملة عنها، حيث وصفها قائلاً: «فلم أر مدينة أحسن منها وضعاً ولا أبدع ربعةً، ولا أسع مسالك ولا أعلى مباني ولا أسمى مراقي، ولا أجمل مراسم، ولا أوضح معالم، ولا ألمح أزقة، ولا أعجب رونقاً ورقة، ولا أحسن تفصيلاً وجملة ... فكان محاسن الدنيا فيها مفروشة، وصورة الجنة فيها منقوشة، كوكبها يقظان، وجوها عريان، وحصاها جوهر ونسيمها معطر، وترابها مسك أذفر»⁽⁷⁾.

يصف البلوي الإسكندرية بجمالها وإتساعها وعلو مبانيها ووضوح معالمها، إلا أنه إنفرد عن ابن جبير والعبدري في وصفه لجغرافية الإسكندرية وصفاً جغرافياً دقيقاً، فقد ذكر بأن جوها نقي، وحصاها وحجارها تشبه الجواهر، وريحها معطر، وترابها كالمسك، فهذا يدل على أن خصائصها الجغرافية الطبيعية المميزة كانت مجذبة للسكان ولا سيما السياح.

ثم يكمل البلوي وصفه للإسكندرية قائلاً: «ومن عجيب صنعها أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها، بل أعتق وأمتن، لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها ويتخلل جميع أزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضاً»⁽⁸⁾.

نلاحظ أن أوصاف الإسكندرية عند البلوي تتطابق مع أوصاف ابن جبير، والأرجح أن البلوي قد نقل حرفياً عن ابن جبير مع قليل من التصرف، وما يؤكد هذا هو أن ابن جبير قد عاش في القرن السابع الهجري والقرن الثالث عشر الميلادي بينما البلوي فقد عاش في القرن الثامن الهجري والقرن الرابع عشر الميلادي، فهذا يعني أن البلوي قد جاء بعد ابن جبير ونقل عنه هذا النص. ومهما يكن من أمر فعند المقارنة نجد أن كلاً من الرحالة ابن جبير والعبدري والبلوي قد إتفقوا في وصفهم لمدينة الإسكندرية من حيث روعتها وإتساعها وجمالها العمراني، واحتوائها على الأزقة، وأنها تفوق في جمالها البلدان التي زاروها، إلا أن البلوي قد إنفرد عنهم في وصفه لمناخ الإسكندرية وتضاريسها وخصائصها الطبيعية.

إذاً نستشف من خلال وصف هؤلاء الرحالة لمدينة الإسكندرية مدى الجمال والتطور العمراني والرقى الحضاري التي كانت تتمتع بها مدينة الإسكندرية في القرنين السابع والثامن الهجريين والقرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهي الفترة التي زارها هؤلاء الرحالة ابن جبير والعبدري والبلوي.

المحور الثالث : أحوال البلد:

وصف ابن جبير أحوال البلد قائلاً: «ومن الغريب أيضاً في أحوال هذا البلد تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار في جميع أحوالهم»⁽⁹⁾. ولم يقتصر هذا الإستغراب على ابن جبير بل حتى البلوي قد إستغرب من أحوال الناس في الإسكندرية، ويتضح هذا من قوله: «ويومها غداة، وليلها سحر، وكفاها أن ليلها كالنهار في تصرف العباد، وإعادة مساكنها كصباحها، وهو غير المعتاد»⁽¹⁰⁾.

إذاً أجمع كلاً من الرحالة ابن جبير والبلوي على مدى الدهشة والإستغراب الذي أصابهما عندما شاهدا حال سكان الإسكندرية فإنهم يتصرفون في الليل كما يتصرفون في النهار فلا فرق عندهم، ويتضح من هذا أنهم كانوا يمارسون حياتهم بكل حرية من مختلف جوانبها في الليل مثلما يمارسونها في النهار، وهذا يدل على مدى الأمن والأمان التي كانت تتمتع به الإسكندرية في تلك الفترة من الزمن، فلو لم يشعر أهلها بالأمن والأمان في بلدتهم لما مارسوا أعمالهم في الليل كما يمارسونها في النهار، أما بالنسبة للرحالة العبدري فلم يذكر شيئاً من ذلك، ربما أن هذا الأمر لم يدهشه كما أدهش ابن جبير والبلوي، ولم يلفت نظره، ولذلك لم يتطرق له في كتاباته.

المحور الرابع: الأطعمة (السماك):

يعد السمك مصدراً مهماً من مصادر الدخل لجميع ساكني ساحل البحر المتوسط، والإسكندرية تعتبر أحد المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط⁽¹¹⁾، فمن الطبيعي أن تكون الأسماك أحد الأطعمة الرئيسية فيها، وقد أورد بعض الجغرافيين وصفاً دقيقاً لأحد أنواع تلك الأسماك، كالمقدسي الذي قال: «وبالإسكندرية سمك مخطط يسمى الشرب من أكل منه رأى منامات وحشة إلا أن يكون ممن يشرب الخمر فإنه لا يضره»⁽¹²⁾. وإتفق الجغرافي ابن حوقل مع المقدسي على وجود السمك في الإسكندرية حيث قال: «بالإسكندرية سمكة تُعرف بالعروس حسنة المنظر نقشةً لذيذة الطعم، إذا أكله الإنسان رأى في منامه كأنه يؤتى إن لم يتناول عليها الشراب أو يكثر من أكل العسل، بل يرى أن كثيراً من السودان يفعلون به، ورأيتهما وأكلتهما أنا وجماعة من ذوي التحصيل فشهدوا بكذب هذه الحكاية»⁽¹³⁾. وهكذا إتفقت ملاحظات الجغرافيين المقدسي وابن حوقل على وجود سمك معروف في مدينة الإسكندرية، إلا أنهما إختلفا في تسميته، ف يرى

المقدسي أن إسمه الشَّرب، أما ابن حوقل فيسميه العروس . ورغم ما ذكره من أن أكل ذلك السمك دون شرب الشراب أو الخمر يجعل آكله يرى في منامه وحشة إلا أن ابن حوقل في نهاية قوله يكذب هذا الخبر بعد أن أكله هو ورفقائه فلم يحصل لهم شيئاً مما ذكر، وفي هذا دلالة على أن المقدسي لم يتذوق ذلك السمك بعكس ابن حوقل الذي تذوقه فأدرك كذبة ذلك الخبر، وهذا يدل على أن قصة رؤية الوحشة في المنامات بعد أكل ذلك السمك دون شرب الخمر هي قصة خرافية كانت منتشرة في الإسكندرية في تلك الفترة بشكل كبير، مما دفع البعض إلى الكتابة عنها.

المحور الخامس : المساجد:

إن كثرة المساجد في مدينة الإسكندرية وإنتشارها جعل من الصعب حصر عددها ، وقد أشار بعض الرحالة إلى كثرة تلك المساجد منهم ابن جبير الذي قال: « وهو أكثر بلاد الله مساجد ، حتى إن تقدير الناس لها يطفّف ، فمنهم المكثّر والمقلّل، فالمكثّر ينتهي في تقديره إلى اثني عشر ألف مسجد ، والمقلّل ما دون ذلك لا ينضب ، فمنهم من يقول ثمانية آلاف ومنهم من يقول غير ذلك . وبالجملة فهي كثيرة جداً تكون منها الأربعة والخمسة في موضع وربما كانت مركّبة ، وكلّها بأئمة مرتّبين من قبل السلطان، فمنهم من له الخمسة دنانير مصرية في الشهر، وهي عشرة مؤمنية ، ومنهم من له فوق ذلك ومنهم من له دونه. وهذه منقبة كبيرة من مناقب السلطان . إلى غير ذلك مما يطول ذكره من المآثر التي يضيق عنها الحصر»⁽¹⁴⁾ . يتضح من خلال ما سجل ابن جبير عن المساجد أنه من كثرة عددها في الإسكندرية صعب على الناس حصر عددها بل اختلفوا في ذلك ، فالبعض يرى أن عددها إثني عشر ألف مسجد ، والبعض الآخر يرى بأنها ثمانية آلاف مسجد ، كما أنه من كثرة المساجد يصف ابن جبير بأنه كان في كل موضع من الإسكندرية أربعة أو خمسة مساجد ، وفيها من الأئمة الذين عينهم السلطان ، ورواتب البعض منهم خمسة دنانير مصرية شهرياً، والبعض الآخر كان له أكثر من خمسة دنانير، وهذا دلالة على كرم السلطان ، ومدى الإنتعاش الإقتصادي الذي كانت تتمتع به مدينة الإسكندرية في ذلك الوقت.

أما العبدري فقد أغفل عن ذكر مساجد الإسكندرية؛ لأنه كان مهتماً في رحلته بالجانب الديني والعلمي والثقافي للبلدة أكثر من الجانب العمراني ، فقد كان الهدف من رحلته هو أداء فريضة الحج ، وزيارة الأماكن المقدسة ، والإلتقاء بالعلماء والمشايخ والنقل عنهم ، وبناءً على هذا فإن مقصده من الرحلة كان مزدوجاً ما بين أداء فريضة الحج والإلتقاء بالعلماء والمشايخ ونقل عنهم ما تيسر له من العلوم⁽¹⁵⁾ . ومن هذا المنطلق ربما لم يكن مهتماً بالجانب العمراني للبلدة كثيراً، لذلك أغفل عن وصف مساجد الإسكندرية . بينما البلوي فقد أشار في كتابه إلى أن مدينة الإسكندرية قد تضمنت إثني عشر ألف مسجداً⁽¹⁶⁾ . إذاً فهو يرى أن عدد المساجد في الإسكندرية كانت إثني عشر مسجداً. وعلى كلٍ مهما اختلف تحديد عدد المساجد لدى بعض الرحالة فإن كثرتها في الإسكندرية فيها دلالة على مدى إنتشار الإسلام في تلك الفترة ، بالإضافة إلى كثرة الأئمة الذين تم تعيينهم في كل مسجد ، كما أن رواتبهم تدل على مدى الإنتعاش الإقتصادي التي كانت تعيشه مدينة الإسكندرية في تلك الفترة.

المحور السادس: أبرز المعالم والشواهد الأثرية: أ-عمود السواري:

يعتبر عمود السواري أحد أبرز المعالم والشواهد الأثرية البارزة في تاريخ وحضارة مدينة الإسكندرية⁽¹⁷⁾، وقد شاهدها عدد من الرحالة الذين زاروا مدينة الاسكندرية، فأسهبوا في وصفها، ومن هؤلاء الرحالة ابن جبير حيث وصفها قائلاً: «وعايناً فيها أيضاً من سَواري الرّخام وألواح كثرَ وعُلُوّاً واتّساعاً وحسناً ما لا يُتَخَيَّلُ بالوهم ، حتى إنَّكَ تُلْفِي في بعض الممرّات بها سَواري يَغْصُ الجوّ بها صعوداً لا يُدْرَى ما معناها ولا لمَ كان أصلُ وضعها . وذكّر لنا أنه كان عليها في القديم مبانٍ للفلاسفة خاصة ولأهل الرّئاسة في ذلك الزمان، والله أعلم ، ويشبه أن يكون ذلك للرّصد»⁽¹⁸⁾ .

يتضح من قول ابن جبير أنه رأى الكثير من السواري في مدينة الإسكندرية، وهي حسب ما وصفها ابن جبير من الرخام، بها ألواح كثيرة، وعالية وواسعة، وجميلة المنظر، وفي نفس الوقت يتساءل ابن جبير عن سبب وضع هذه السواري، ويعتقد أنها كانت لأهل الفلسفة والعلم وذوي الرئاسة، كما يعتقد أنها كانت للرصد. وتعتقد الباحثة أن هذه السواري لم تكن مبانٍ للفلاسفة وأهل الرئاسة كما يظن ابن جبير؛ لأن هناك فرق بين المباني والسواري، فلو كانت مباني كما يظن ابن جبير لوصفها كل من شاهدها بأنها مباني؛ لأن المباني وإن كانت قديمة فهي معروفة، ولكننا نجد أن كل من شاهدها وصفها بالسواري، ولذلك فهي كانت سواري وليست مباني، لا سيما وأن أغلب الكتب وصفتها بأنها سواري وليست مباني، فلو كانت مباني لوصفتها الكتب بأنها مباني ولكن لأنها سواري لذلك وُصفت بالسواري ، فمن غير المعقول أن يكون أغلب الذين وصفوا هذه السواري لا يستطيعون التمييز بينها وبين المباني لا سيما وأن أغلبهم من المتخصصين في التاريخ والآثار.

كما أنه من غير المعقول أن تُخصَّص مباني لأهل الفلاسفة فوق السواري أو داخلها، فأهل العلم والفلاسفة بطبيعتهم يتصفون بالتواضع، ويقيمون بين الناس لنشر العلم، فكيف بعد هذا أن يتميز الفلاسفة في ذلك الزمان عن الشعب في سكنهم وقيموا فوق السواري؟؟ لا يعقل هذا، كما أنه من غير المعقول أن تُخصَّص مباني لأهل الرئاسة فوق السواري أو داخلها لا سيما وأن أهل الرئاسة بطبيعتهم في كل زمان ومكان يقيمون في أماكن متخذين فيها الحيطة والحذر من الأعداء الذين يتربصون بهم، فمبانيهم دائماً تكون محاطة ومحصنة من الأعداء، فكيف بعد هذا كله لأهل الرئاسة أن يقيموا فوق السواري وهم يعلمون بأنهم معرضين للخطر من قِبَل أعدائهم؟؟ فلا يعقل هذا، ولهذا فلا يعتقد أن هذه السواري كانت لأهل الرئاسة، كما لا يُعتقد أنها كانت للرصد، فللرصد بناية خاصة، ومواصفات معينة حتى تُمكن الراصد من الرصد، فهل يعقل أن يقوم رئيس الدولة ببناء مثل هذه السواري العديدة الضخمة وبهذه الجمال في أنحاء مدينته كل هذا من أجل الرصد؟؟ لا يعقل هذا، ولذلك فإن الباحثة ترى بأن هذه السواري حسب وصف الرحالة بأنها كانت من المنشآت الجمالية العمرانية السياحية لإضفاء الجمال على مدينة الإسكندرية، لا سيما وأن الإسكندرية تقع على ساحل البحر المتوسط، ولذلك لا بد أن يكون بها عدد من السواري. ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ أن مشاهدات ابن جبير تتفق مع ملاحظات البلوي الذي وصف عمود السواري قائلاً: «وعاينت فيها من سواري الرخام وألواح كثرَ وعُلُوّاً واساعاً وحسناً ما لا يتخيل بالوهم ، ولقد نلّقي فيها سواري يقصد

الجو بها لا يدري معناها ، ولا لما كان أصل وضعها . ويذكر أنه كان عليها في الزمن القديم مبان الفلاسفة ولأهل الرياسة والله أعلم»⁽¹⁹⁾ .

إذاً لا تختلف مشاهدات البلوي عما كتبه ابن جبير في وصف السواري، وكما ذكرنا سابقاً الأرجح أن البلوي قد نقل حرفياً عن ابن جبير مع التصرف، وما يؤكد هذا هو أن ابن جبير قد عاش في القرن السابع الهجري والقرن الثالث عشر الميلادي، بينما البلوي فقد عاش في القرن الثامن الهجري والقرن الرابع عشر الميلادي، فهذا يعني أن البلوي قد جاء بعد ابن جبير ،ونقل عنه أوصاف الإسكندرية من خلال رحلته، إذاً نلتمس من رحلة البلوي أنه كان يميل إلى بعض النقولات عند الوصف، وما يؤكد هذا هو نقله عن ابن جبير في أكثر من موضع في كتاباته. وعلى كل فإن البلوي بعد أن وصف السواري بشكل عام نجده يخصص عمود السواري بوصف خاص حيث قال :«ومن أعجبها وأعظمها عمود السواري، له قاعدة مربعة هو عليها ، عددت في أحد جوانبها نيفاً على أحد عشر شبراً ، وطالعت في بعض التأليف أنه أعظم عمود على وجه الأرض واقف على كنز من الكنوز ، وأن طوله تسع وأربعون ذراعاً بالذراع الكبيرة التي فيها ذراعان ، وانه لا يتزحزح عن موضعه ولو تساقطت عليه الجبال»⁽²⁰⁾ .

يتضح من وصف البلوي بأن عمود السواري مبني على قاعدة مربعة، وطول عمود السواري تسع وأربعون ذراعاً، وأن بنيته قوية ومتينة ووثيقة، ومن كثر متانة البناية وثباتها وقوتها وسمكها فهي كما قال البلوي لا تتحرك عن موضعها حتى لو سقطت عليها الجبال . ولا يقتصر وصف عمود السواري على ابن جبير والبلوي بل وصفها أيضاً العبدري قائلاً: «ومن أغرب ما رأيت بها عمود من رخام بظاهرها يُعرف بعمود السواري . وهو حجرٌ واحدٌ مستديرٌ عالٍ جداً على قدر الصَّومعة المرتفعة، وهو يبدو من بعيدٍ بارزاً في غابة من النخيل مرتفعاً عنها، وقد أقيم على حجارةٍ منحوتةٍ مُربَّعةٍ على قدر الدكاكين العظام ، علَّوها أزيد من قامتين ، ولا يعلم كيف أُقيم عليها ، ولا كيف ثَبَّتَ هناك مع الرياح والعواصف ، وهو ممَّا لا يمكن تحريكه البتَّة فضلاً عن إقامته هناك »⁽²¹⁾ .

إذاً توسع العبدري في وصفه لعمود السواري بأنه مبني من الرخام، وشكله مستدير، مرتفع عال، بنيته قوية وثابتة لا يحركها الرياح، وعمود السواري قائم على قاعدة من الحجارة مربعة الشكل، إرتفاعها أزيد من قامتين، ويتضح من قوله أيضاً، بأن عمود السواري كان محاطاً بالكثير من النخيل، وأن طوله أطول من طول النخيل .

فعند المقارنة بين ما ذكره الرحالة نجد أن ابن جبير والبلوي قد وصفا السواري بشكل عام، وإن كان البلوي قد نقل عن ابن جبير مع التصرف، ثم نجد أيضاً أن البلوي والعبدري قد أجمعا في وصفهما على عمود السواري بأنه مبني من الرخام، وإمتاز بالإرتفاع، قائم على قاعدة مربعة، وأن بنيته قوية وثابتة لا تتحرك، إلا أننا نلاحظ أن البلوي قد انفرد عن العبدري في ذكره لطول عمود السواري وهو تسع وأربعون ذراعاً، أما العبدري فقد انفرد عن البلوي في أمرين هما : الأمر الأول: وهو ذكره لطول القاعدة المربعة التي قام عليها عمود السواري حيث ذكر أنها تزيد عن القامتين، أما الأمر الثاني الذي انفرد فيه: وهو وصفه لشكل عمود السواري حيث وصف شكله بأنه مستدير، وهذا يدل على مدى دقته، وبإلحاح حرصه في تدوين المشاهدات في رحلته.

ب- منارة الإسكندرية:

تعتبر منارة الإسكندرية من المعالم والآثار المشهورة⁽²²⁾، وقد أثار إعجابها عدد من الرحالة الذين زاروا مدينة الإسكندرية، فرصدوا بعض مشاهداتهم وملاحظاتهم عليها، ومن هؤلاء الرحالة ابن جبير ليعطينا صورة كاملة للمنارة قائلاً: «ومن أعظم ما شاهدناه من عجائبها المنار الذي قد وضعه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين وهداية للمسافرين، لولاه ما اهتدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، يظهر على أزيد من سبعين ميلاً. ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة طولاً وعرضاً، يزاحم الجو سموً وارتفاعاً، يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف، الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع. دَرَعْنَا أَحَدَ جَوَانِبِهِ الْأَرْبَعَةِ فَأَلْفِينَا فِيهِ نَيْفًا وَخَمْسِينَ بَاعًا. وَيُذَكِّرُ أَنَّ فِي طَوْلِهِ أَزِيدَ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ قَامَةً. وَأَمَّا دَاخِلُهُ فَمَرَأَى هَائِلًا، اتَّسَاعَ مَعَارِجٍ وَمَدَاخِلَ وَكَثْرَةَ مَسَاكِنَ، حَتَّى إِنَّ الْمُتَصَرِّفَ فِيهَا وَالْوَالِجَ فِي مَسَالِكِهَا رَهْمًا ضَلَّ. وَبِالْجَمْلَةِ لَا يَحْصِلُهَا الْقَوْلُ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِيهِ مِنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَبِيقِيهِ. وَفِي أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مُوصَفٌ بِالْبَرَكَةِ يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِالصَّلَاةِ فِيهِ، طَلَعْنَا إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْخَامِسَ لَذِي الْحِجَّةِ الْمُؤَرَّخِ وَصَلَّيْنَا فِي الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ الْمَذْكُورِ. وَشَاهَدْنَا مِنْ شَأْنِ مَبْنَاهُ عَجَبًا لَا يَسْتَوْفِيهِ وَصْفٌ وَاصِفٌ»⁽²³⁾.

يتضح من خلال ما سجل ابن جبير أن منارة الإسكندرية طولها أكثر من مائة وخمسين قامة، وبنائها تمتاز بالسّمك والقوة والمتانة طولاً وعرضاً، ومن ضخامة بنايتها فهي تعتبر كهداية للمسافرين حيث يرونها من بعيد فيدلون إلى بر الإسكندرية، وفي داخلها كثرة مساكن، وفي أعلاها مسجد يصلون فيه الناس. بينما كانت إنطباعات العبدري أدق وأشمل تفصيلاً، فقد أضاف مالم يلاحظه الرحالة ابن جبير حيث وصف المنارة وصفاً دقيقاً قائلاً: «وأما المنار فقد كتب الناس فيه وسطروا مافيه الكفاية، وقد دخلته وتاملته وما وصلت إلى أعلاه إلّا بعد جَهْدٍ، ولا يظهر له من خارج قَرُطٌ عُلُو. وهو خارجُ المدينة على أزيد من ثلاثَةِ أميالٍ وعلى تَلٍّ مرتفعٍ بشمالِ البلد، وقد أحاطَ به البحرُ شرقاً وغرباً حتى تَأْكُلَ حَجَرَهُ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ، قَدَعِمَ مِنْهَا بِنَاءٌ وَثِيقٌ اتَّصَلَ إِلَى أَعْلَاهُ وَزَيْدٌ دَعْمًا بِدَكَكَيْنِ مَتَسَعَةٍ وَثِيقَةٍ، وَضَعُ أُسَاسُهَا فِي الْبَحْرِ، وَرَفَعَتْ عَنْهُ نَحْوُ ثَلَاثِ قَامَاتٍ. وَبَابُ الْمَنَارِ مَرْتَفَعٌ عَنِ الْأَرْضِ نَحْوَ أَرْبَعِ قَامَاتٍ، وَبُنِيَ إِلَيْهِ بُنْيَانٌ حَذَاهُ، وَلَمْ يَتَّصِلْ بِهِ، وَوُضِعَتْ عَلَيْهِ أَلْوَاحٌ يُمَشِّي عَلَيْهَا إِلَى الْبَابِ، فَإِنْ أُزِيلَتْ لَمْ يَوْصَلَ إِلَيْهِ وَفَوْقَ الْبَابِ مِنْ دَاخِلِ مَوْضِعٍ مَتَسَعٍ لِحِرَاسَةِ الْبَابِ يَعْقُدُ فِيهِ الْحَارِسُ وَيَنَامُ فِيهِ، وَفِي دَاخِلِ الْمَنَارِ عِدَّةُ بَيُوتٍ رَأَيْتُهَا مَغْلَقَةً. وَسَعَةُ الْمَمَرِ فِيهِ سِتُّ أَشْبَارٍ وَفِي غَلِظِ الْحَائِطِ عَشْرَةُ أَشْبَارٍ، ذَرَعَتُهُ مِنْ أَعْلَاهُ. وَسَعَةُ الْمَنَارِ مِنْ رُكْنٍ إِلَى رُكْنٍ مِئَةٌ وَأَرْبَعُونَ شَبْرًا، وَفِي أَعْلَاهُ جَامُورٌ كَبِيرٌ عَلَيْهِ آخِرُ دُونِهِ، وَفَوْقَ الْأَعْلَى قُبَّةٌ مَلِيحَةٌ يُطْلَعُ إِلَيْهَا فِي دَرَجٍ مُشْرَعَةٍ إِلَى النَّوَاحِي، وَلَهَا مُحَرَابٌ لِلصَّلَاةِ»⁽²⁴⁾.

يتضح مما ذكره العبدري أن منار الإسكندرية كان عال ومرتفع جداً، ويقع خارج الاسكندرية على بعد أكثر من ثلاثة أميال في مكان مرتفع بشمال البلد، يحيط به البحر شرقاً وغرباً، وهو بناية وثيقة قوية متينة قاعدتها موضوعة في البحر، ومرفوعة عنه ثلاثة قامات، أما الباب المرتفع أربع مقامات، وتوجد فوق الباب من الداخل غرفة للحارس يقيم فيها، وعرض المنار مئة وأربعون شبراً، وداخله العديد من المنازل المغلقة، وفي أعلاه مصلى.

أما البلوي فيصفه قائلاً: «على منارها سرطان من رخام ، والمنار على أربعة أساطين ، وطوله ثلاثمائة ذراع ... وكان في القديم على منارها مرآة كبيرة ، صنعها الحكماء ، يتطلع بها على القسطنطينية وبلاد الروم حتى احتيل في إنزالها، فلم يستطع أحد على صرفها بهذا»⁽²⁵⁾ . يتضح من هذا أن الروم قد إحتالوا في إنزال المرأة؛ لأنها كانت في نظرهم تعتبر كوسيلة للتجسس عليهم، فقد كان يُتطلع منها عليهم ،وبناءً على هذا قاموا بإزالتها.

ثم يكمل البلوي وصفه قائلاً: «وهو بخارجها [أي خارج الإسكندرية] قد صعد كالبرج الأعظم في عنان السماء أساسه كله معقود بالرصاص ، وبنينا به الحجر المنجور الجاني يزاحم السماء سمواً وارتفاعاً ... هداية للمسافرين يهتدون به في البحر إلى بر الإسكندرية ، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً ، عرض أحد جوانبه الأربع ينيف على خمسين باعا ، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة ... والمرأة التي كانت بمنار الإسكندرية صح خبرها بالتواتر خاصة ، وإمّا عمل الروم في إفسادها خوفاً منها»⁽²⁶⁾ .

ويتضح من خلال وصف البلوي أن المنارة مبنية من الحجر المنجور الجاني، وطولها أكثر من مائة وخمسين قامة ،وعن طريق هذه المنارة يُهتدى من في البحر إلى بر الإسكندرية ،وكان عليها في القدم مرآة كبيرة يتطلع منها على القسطنطينية وبلاد الروم ،فخاف الروم من ذلك وعملوا في إفسادها . يتضح من هذا أن الروم قد عملوا في إفساد تلك المرأة التي كانت على المنارة وذلك؛ لأن تلك المرأة كانت في نظرهم تعتبر كوسيلة للتجسس عليهم، فقد كان يُتطلع منها عليهم ،ولذلك قاموا بإزالتها. وعند المقارنة بين ما ذكره الرحالة نجد أن العبدري كان أكثر تفصيلاً في وصفه للمنارة ،فقد إنفرد في وصفه بأن المنارة تقع شمال البلد في مكان مرتفع، يحيط به البحر شرقاً وغرباً ،وقد وُضع أساس المنارة في البحر، كما أشار إلى عرض المنارة بأنه مئة وأربعون شبراً ،كما أشار إلى باب المنارة بأنه مرتفع عن الأرض نحو أربع مقامات ،وفوقه يوجد موضع للحارس يقيم فيه، بينما البلوي فقد إنفرد في وصفه بأن بنيان المنارة من الحجر المنجور، وكان عليها مرآة كبيرة ولكن الروم قد عملوا على إزالتها . وهكذا نجد أن الاختلافات في مشاهدات الرحالة وانطباعاتهم ربما تكون عائدة إلى نظرة كل منهم للمنارة من الجانب الذي رأى أنه مهم فسجله ودونه.

الخاتمة:

1. نالت الإسكندرية نصيباً من الوصف لدى بعض الرحالة والجغرافيين الذين قاموا بوصفها في الأمور التي شاهدها أثناء رحلتهم أو التي نقلوها من المصادر الأخرى ،ورغم ذلك إلا أننا نجدهم قد إختلفوا في وصفهم لبعض تلك الأمور ربما يرجع ذلك لإختلاف وجهات النظر ،أو إختلاف العصور والفترات الزمنية التي زار فيها كل واحدٍ منهم مدينة الإسكندرية، أو حسب الظروف التي صاحبت كل واحد منهم أثناء كتابة مشاهداته خلال رحلته.
2. إن الأمور التي شاهدها الرحالة في الإسكندرية أو نقلوها من المصادر بعضها وُصفت وصفاً دقيقاً،وبعضها لم تتل حظاً وافراً من الوصف فقد وُصفت بشكل عام دون التطرق لتفاصيلها،والبعض الآخر منها لم يتطرق لها الرحالة والجغرافيين في كتبهم.
3. تميزت المباني في مدينة الإسكندرية بإتساعها وعلوها بالإضافة إلى وجود الأترة والمباني تحت الأرض ،وهي أعتق وأمتن من المباني فوق الأرض.

4. إن مباني الإسكندرية التي تحت الأرض ليست مباني سكنية؛ لأنه من غير المعقول أن يقيم البشر تحت الأرض لا سيما وأن مياة النيل تنجرف نحو هذه المباني، فالإنسان بطبيعته يبحث عن مسكن ليعيش فيه بأمان وليس ليعرض نفسه للخطر، ولذلك فمن غير المعقول أن يسكن سكان الإسكندرية تحت الأرض وهم يعلمون بإختراق مياة النيل لديارهم، ولذلك فإن تلك المباني التي هي تحت الأرض ربما كانت لأغراض عمرانية وليست لأغراض سكنية، وما يدل على ذلك هو أن بانياتها كان أقوى وأعتق من المباني السكنية فوق الأرض، ربما لتقاوم سرعة إندفاع مياة النيل التي تخترقها تحت الأرض، ولذلك تم بناءها بهذه المتانة.
5. إن شخصية الإسكندر كانت معكوسة على جمال المباني وعجائبها، فهو أول من وضع الأسس والتخطيط لمدينة الإسكندرية، فكان لهذا أثره الحضاري والعمراني فيما بعد في العصور الإسلامية والحديثة على مدينة الإسكندرية وعجائب مبانيها.
6. نال جمال الإسكندرية نصيباً من الوصف في كتابات الرحالة الذين لفت إنتباههم جمال هذه المدينة، فأبدوا إعجابهم من خلال كتاباتهم عنها.
7. إن البلوي قد نقل حرفياً عن ابن جبير مع بعض التصرف، وما يؤكد هذا هو أن ابن جبير قد عاش في القرن السابع الهجري والقرن الثالث عشر الميلادي بينما البلوي فقد عاش في القرن الثامن الهجري والقرن الرابع عشر الميلادي، فهذا يعني أن البلوي قد جاء بعد ابن جبير ونقل عنه أوصاف الإسكندرية من خلال رحلته، إذاً نلتمس من رحلة البلوي أنه كان يميل إلى بعض النقلات عند الوصف، وما يؤكد هذا هو نقله عن ابن جبير في أكثر من موضع في كتاباته.
8. إتفق الرحالة في وصفهم لمدينة الإسكندرية من حيث روعتها وإتساعها وجمالها العمراني، وإحتوائها على الأزقة، وأنها تفوق في جمالها البلدان التي زاروها.
9. نستشف من خلال وصف هؤلاء الرحالة لمدينة الإسكندرية مدى الجمال والتطور العمراني والراقي الحضاري التي كانت تتمتع بها الإسكندرية في القرنين السابع والثامن الهجريين والقرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهي الفترة التي زارها كلاً من الرحالة ابن جبير والعبدي والبلوي وغيرهم.
10. كان سكان الإسكندرية يمارسون حياتهم بكل حرية من مختلف جوانبها في الليل مثلما يمارسونها في النهار، وهذا يدل على مدى الأمن والأمان التي كانت تتمتع به الإسكندرية في تلك الفترة من الزمن، فلو لم يشعر أهلها بالأمن والأمان في بلدهم لما مارسوا أعمالهم في الليل كما يمارسونها في النهار.
11. تعتبر قصة رؤية الوحشة في المنامات بعد أكل السمك المسمى بالشرب أو العروس دون شرب الشراب أو الخمر هي قصة خرافية كانت منتشرة في الإسكندرية في تلك الفترة بشكل كبير، مما دفع البعض إلى الكتابة عنها، وقد أثبت هذا ابن حوقل بعد تذوقه لهذا السمك هو ورفاقه ولم يحصل لهم شيئاً مما ذكر.
12. إن كثرة المساجد في مدينة الإسكندرية وإنتشارها جعل من الصعب حصر عددها.

13. أغفل العبدري عن ذكر مساجد الإسكندرية؛ لأنه كان مهتماً في رحلته بالجانب الديني والعلمي والثقافي للبلدة أكثر من الجانب العمراني، ومن هذا المنطلق ربما أغفل عن وصف مساجد الإسكندرية.
14. إن كثرة المساجد في الإسكندرية فيها دلالة على مدى إنتشار الإسلام في تلك الفترة، بالإضافة إلى كثرة الأئمة الذين تم تعيينهم في كل مسجد، ومنحهم الرواتب، ففي هذا دلالة على مدى الإنتعاش الإقتصادي الذي كانت تعيشه الإسكندرية في تلك الفترة.
15. يعتبر عمود السواري والمنار من أبرز المعالم والشواهد الأثرية البارزة في تاريخ وحضارة مدينة الإسكندرية، وقد أثار إعجابهما عدد من الرحالة الذين زاروا مدينة الإسكندرية، فرصدوا بعض مشاهداتهم وملاحظاتهم على تلك المعالم الأثرية.
16. إن الاختلافات في مشاهدات الرحالة وانطباعاتهم ربما تكون عائدة إلى نظرة كل منهم للشيء من الجانب الذي رأى أنه مهم فسجله ودونه.
17. إن السواري التي كانت في الإسكندرية لم تكن مبان للفلاسة وأهل الرئاسة كما يظن البعض؛ لأن هناك فرق بين المباني والسواري، فلو كانت مباني لوصفها كل من شاهدها بأنها مباني؛ لأن المباني وإن كانت قديمة فهي معروفة، ولكننا نجد أن كل من شاهدها وصفها بالسواري ولذلك فهي كانت سواري وليس مباني لا سيما وأن أغلب الكتب وصفتها بأنها سواري وليس مباني فلو كانت مبان لوصفتها الكتب بأنها مباني ولكن لأنها سواري لذلك وصفت بالسواري، فمن غير المعقول أن يكون أغلب الذين وصفوا هذه السواري لا يستطيعون التمييز بينها وبين المباني لا سيما وأن أغلبهم من المتخصصين في التاريخ والآثار، كما أنه من غير المعقول أن تُخصَّص مباني لأهل الفلاسة فوق السواري أو داخلها فأهل العلم والفلاسة بطبيعتهم يتصفون بالتواضع، وقيمون بين الناس لنشر العلم، فكيف بعد هذا أن يتميز الفلاسة في ذلك الزمان عن الشعب في سكنهم وقيموا فوق السواري؟ لا يعقل هذا، كما أنه من غير المعقول أن تُخصَّص مباني لأهل الرئاسة فوق السواري أو داخلها لا سيما وأن أهل الرئاسة بطبيعتهم في كل زمان ومكان يقيمون في أماكن متخذين فيها الحيطة والحذر من الأعداء الذين يترصون بهم، فمبانيهم دائماً تكون محاطة ومحصنة من الأعداء، فكيف بعد هذا كله لأهل الرئاسة أن يقيموا فوق السواري وهم يعلمون بأنهم معرضين للخطر من قِبَل أعدائهم؟ فلا يعقل هذا، ولهذا فلا يعتقد أن هذه السواري كانت لأهل الرئاسة، كما لا يعتقد أنها كانت للرصد، فللرصد بناية خاصة ومواصفات معينة حتى تُمكن الراصد من الرصد، فهل يعقل أن يقوم رئيس الدولة ببناء مثل هذه السواري العديدة الضخمة وبهذه الجمال في أنحاء مدينته كل هذا من أجل الرصد؟ لا يعقل هذا، ولذلك فإن الباحثة ترى بأن هذه السواري حسب وصف الرحالة بأنها كانت من المنشآت الجمالية العمرانية السياحية لإضفاء الجمال على مدينة الإسكندرية، لا سيما وأن الإسكندرية تقع على ساحل البحر المتوسط ولذلك لا بد أن يكون بها عدد من السواري.
18. إن عمود السواري كان محاطاً بالكثير من النخيل، وأن طوله أطول من طول النخيل.
19. كان الروم يرون أن المرأة الكبيرة التي على منارة الإسكندرية هي وسيلة للتجسس عليهم، لا سيما وأنه كان يُتطلع منها على القسطنطينية وبلاد الروم، ولذلك عملوا على إزالتها خشيةً منها.

الملاحق

ملحق رقم (1)

«عمود السواري»⁽²⁷⁾.



ملحق رقم (2)

«منارة الإسكندرية»⁽²⁸⁾.



ملحق رقم (3)
«منار الإسكندرية وفقاً لوصف المؤرخين»⁽²⁹⁾.

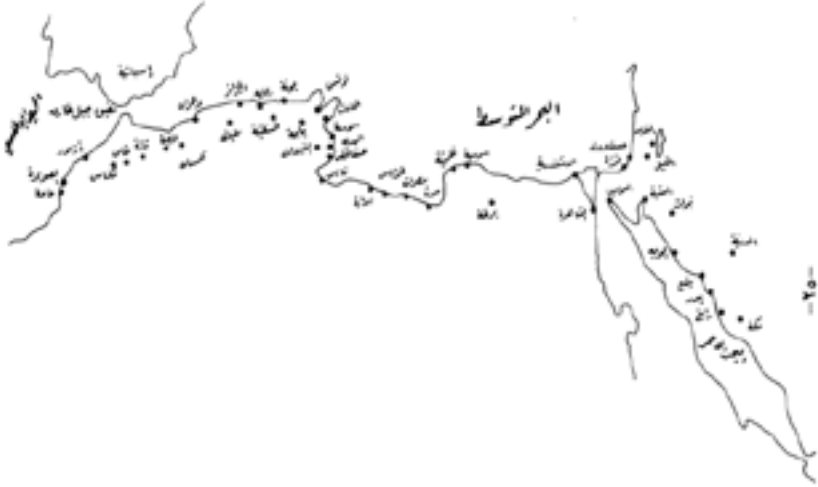


ملحق رقم (4)
«الإسكندرية عند ابن جبر»⁽³⁰⁾.



ملحق رقم (5)

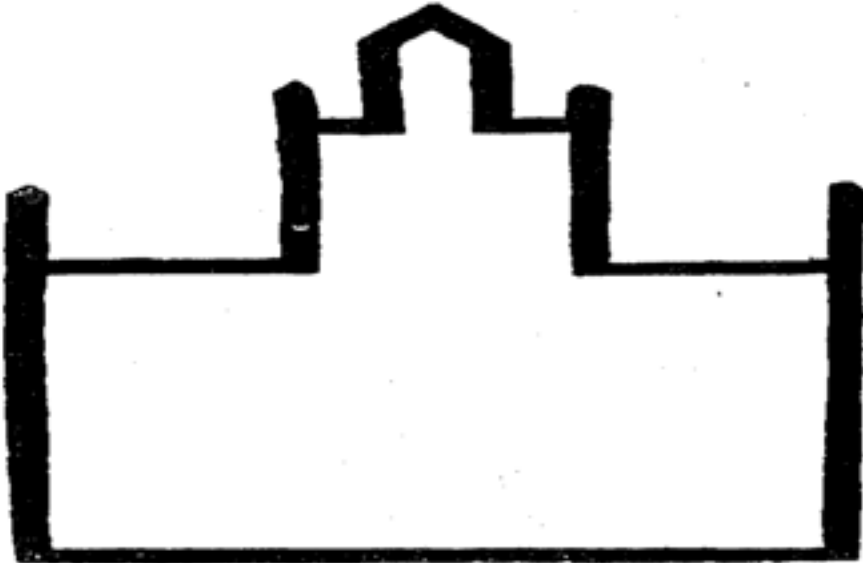
«خط سير العبدري في رحلته»⁽³¹⁾.



خط سير العبدري في رحلته

ملحق رقم (6)

«صورة المنارة الباقية الآن»⁽³²⁾.



الهوامش:

- (1) أبي القاسم محمد بن علي ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م): كتاب صورة الأرض ، د.ط، 1992م، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص141.
- (2) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3 ، 1411هـ/1991م ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ص196.
- (3) محمد بن محمد الإدريسي (ت 560هـ/1164م):نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، د.ط، 1422هـ/ 2002م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج1 ، ص319.
- (4) محمد بن أحمد بن جُبَيْر (ت 614هـ/1217م): رحلة ابن جُبَيْر ، د.ط، د.ت ، دار صادر ، بيروت ، ص14.
- (5) فاتن محمد الشيخ: الإسكندرية عند ابن جبير ، دورية كان التاريخية، ع13، 2011م، ص31.
- (6) أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري (ت بعد عام 700هـ/ 1300م):رحلة العبدري ، حققها وقدم لها : علي إبراهيم كردي، قدم لها : شاكِر الفحام ، ط2، 1426هـ/ 2005م ، دار سعد الدين ، دمشق، ص211-212.
- (7) خالد بن عيسى البلوي (ت قبل 780هـ/1378م) : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، مقدمة وتحقيق: الحسن السائح ، د.ط، د.ت، مطبعة فضالة ، المغرب ، ج1، ص198.
- (8) البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، ص198.
- (9) ابن جُبَيْر : رحلة ابن جُبَيْر ، ص17.
- (10) البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، ص198.
- (11) سمية حسن محمد إبراهيم: الإسكندرية ومعالمها السياحية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7، عدد خاص، 2010م، ص1.
- (12) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص208-209.
- (13) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص146-147.
- (14) ابن جُبَيْر : رحلة ابن جُبَيْر ، ص17.
- (15) العبدري: رحلة العبدري ، ص10-11.
- (16) البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، ص200.
- (17) سمية حسن محمد إبراهيم: الإسكندرية ومعالمها السياحية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7، عدد خاص، 2010م، ص1؛ طاهر حسن محمد عبد الحميد : تميز الإسكندرية : دراسة تطبيقية على بعض المناطق السياحية والأثرية بمدينة الإسكندرية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7، عدد خاص ، 2010م، ص109-110.
- (18) ابن جُبَيْر : رحلة ابن جُبَيْر ، ص14.
- (19) البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، ص198-199.
- (20) المصدر السابق ، ج1، ص199.
- (21) العبدري: رحلة العبدري ، ص212-213.

- (22) السيد عبدالعزيز سالم : تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، د.ط ، د.ت ، دار المعارف، لبنان ، ص48 ؛ عمار مرضي علاوي : مصر وفلسطين في رحلة البلوي (ت.قبل 780هـ) دراسة مقارنة ، مجلة كان التاريخية، س10 ، ع37 ، 2017م ، ص11.
- (23) ابن جُبَيْر : رحلة ابن جُبَيْر ، ص14-15.
- (24) العبدري :رحلة العبدري ، ص213-214.
- (25) البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج1 ، ص198.
- (26) المصدر السابق ، ج1 ، ص199-200.
- (27) سمية حسن محمد إبراهيم: الإسكندرية ومعالمها السياحية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7 ، عدد خاص، 2010م، ص16.
- (28) سمية حسن محمد إبراهيم: الإسكندرية ومعالمها السياحية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7 ، عدد خاص، 2010م، ص16.
- (29) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي (حتى الفتح العثماني) ، ط1 ، 1961م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص25.
- (30) فاتن محمد الشيخ: الإسكندرية عند ابن جبير ، دورية كان التاريخية، ع13 ، 2011م، ص29 .
- (31) العبدري :رحلة العبدري ، ص25.
- (32) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ / 1283م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، د.ط ، د.ت ، دار صادر ، بيروت، ص146.

المصادر والمراجع :

- (1) الإدريسي ، محمد بن محمد (ت 560هـ/1164م) ،. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، د.ط ، 1422هـ/ 2002م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج1.
- (2) البلوي، خالد بن عيسى (ت قبل 780هـ/1378م) ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، مقدمة وتحقيق: الحسن السائح ، د.ط ، د.ت، مطبعة فضالة ، المغرب ، ج1.
- (3) ابن جُبَيْرٌ ، محمد بن أحمد (ت 614هـ/1217م) ،. رحلة ابن جُبَيْرٌ ، د.ط، د.ت ، دار صادر ، بيروت.
- (4) ابن حوقل النصيبي ، أبي القاسم محمد بن علي (ت 367هـ/977م). كتاب صورة الأرض ، د.ط، 1992م، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- (5) لعبدري ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت بعد عام 700هـ/ 1300م).
- (6) رحلة العبدري ، حققها وقدم لها : علي إبراهيم كردي، قدم لها : شاكِر الفحام ، ط2، 1426هـ/ 2005م، دار سعد الدين ، دمشق.
- (7) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد ، د.ط ، د.ت ، دار صادر ، بيروت.
- (8) المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 083هـ/ 099م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، 1141هـ/1991م ، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ثانياً: المراجع :

- (1) السيد عبدالعزيز سام : تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي ، د.ط ، د.ت ، دار المعارف ، لبنان.
- (2) تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي (حتى الفتح العثماني) ، ط1، 1691م ، دار المعارف ، القاهرة .

ثالثاً: الدوريات :

- (1) سمية حسن محمد إبراهيم. الإسكندرية ومعالمها السياحية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7، عدد خاص، 0102م.
- (2) طاهر حسن محمد عبد الحميد. تميز الإسكندرية : دراسة تطبيقية على بعض المناطق السياحية والأثرية بمدينة الإسكندرية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ، مجلد7 ، عدد خاص ، 0102م.
- (3) عمار مرضي علاوي. مصر وفلسطين في رحلة البلوي (ت.قبل 087هـ) دراسة مقارنة ، مجلة كان التاريخية، س01 ، ع73 ، 7102م .
- (4) فاتن محمد الشيخ.الإسكندرية عند ابن جبير ، دورية كان التاريخية، ع13، 2011م.